

تشاك پالانىك



15.5.2015

الناجى الأخير



تَشَاكُ بِالْأَنْيَاكِ

النَّاجِي الْأَخِيرُ

@ketab_n

ترجمة

هشام فهمي



تَشَاكُ بِاللَّانِيكَ
النَّاجِي الْأَخِيرِ

الكتاب: الناجي الأخير
المؤلف: تشاك بالانيك
المترجم: هشام فهمي

عدد الصفحات: 336 صفحة

التقييم الدولي: 9-01-6483-977-978

رقم الناشر: 2014/15505

هذه ترجمة لكتاب:

Survivor

Copyright © 2002 by Chuck Palahniuk

الطبعة الأولى: 2015

جميع الحقوق محفوظة ©

الناشر:



منشورات الرمل – مصر

مصر: القاهرة-وسط البلد-19 عبد السلام عارف (البيستان سابقًا)-الدور 8-شقة 82

هاتف: 0020223921332 فاكس: 0020227738932

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

توزيع دار التنوير

بيروت - القاهرة - تونس

خاطرة من تشاك⁽¹⁾

في الحكي لا يكون باطن الأشياء كظاهاها أبداً، وهذه الرواية - في جَوهرها - تتكلم عن نظامنا التعليمي، لأنني أشعر في أحيان كثيرة أن الأطفال لا يتم إلا تعليمهم أو تدريبهم على أن يصيروا أفضل تروس ممكنة في ماكينات الشركات الكبرى لا أكثر، لكنهم لا يتعلمون أبداً كيف يُصبحون أقوياء فعّالين وكيف يفتتحون شركاتهم الخاصة، في سبيل أن يُشكّلوا حياتهم ويُقرّروا مصائرهم بأنفسهم. إنهم يُعلّمونهم أن يكونوا مجرد موظفين مجتهدين لا غير، أن يصيروا جزءاً من القطيع.

(1) آثرنا أن نكتب اسم تشاك بالانليك كما يُكتب بالإنجليزية، بدلا من كتابته كما يُنطق «بولانيك». (الناشر).

إلى مايك كيف ومايك سميث، إلى شون جرانت وهايدي ويدن
ومات بالانيك.

وكيل الأعمال في هذا الكتاب ليس إدوارد هيبيرت، الذي يُمثل كتاباتي
بكلِّ ما لديه من حِسِّ دعاية وحيويَّة وبراعة.

لا أحد في هذا الكتاب يملك مهارة مُحرِّره چيري هوارد، ولا أحد في
أيِّ مكانٍ يملك ما لدى لويس روزنثال من التزام وقُدرة على المساعدة.
لم يكن هذا الكتاب ليُخرُج إلى النور من دون ورشة الكتابة كل ليلة
ثلاثاء في منزل سوزي.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة... اختبار، اختبار، واحد، اثنان،
ثلاثة...

لا أدري إن كان هذا الشيء يعمل، لا أدري إن كنت تسمعي.
لكن إذا كان يمكنك أن تسمعي، فأريدك أن تُصغي. وإذا كنت
تُصغي، فما عثرت عليه هو قصة كل الأخطاء التي ارتكبت. هذا هو
مُسجَل الرحلة 2039، أو الصندوق الأسود كما يُطلقون عليه، على الرغم
من أنه برتقالي اللون، وبداخله حلقة من الأسلاك هي بمثابة التسجيل
الدائم لكل ما تبقى. إن ما وجدته هو قصة كل ما حدث.
هلم...

يمكنك أن تُسخن هذه الأسلاك إلى أن تتقد، ولن تختلف تفاصيل
القصة التي ستُخبرك بها في أي شيء.
اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

وإذا كنت تُصغي، فيجب أن تعرف من البداية أن المسافرين آمنون
بعد أن تركتهم ينزلون من الطائرة في جُزر نيو هبرايدز⁽¹⁾، ثم بعد أن لم
يعد هناك سواي وسواه على متن الطائرة التي عادت تُحلّق، وثب الطيار
بالمظلة في مكان ما إلى سطح مائي، في المحيط على ما أعتقد.
سوف أرددها مرّة بعد مرّة: أنا لست بقاتل، وهذه هي الحقيقة. إنني
وحدّي تمامًا هنا، السفينة الشبح.

(1) مجموعة جزر تقع شرق أستراليا.

وإذا كنت تُصغي لهذا، فيجب أن تعرف أنني بمفردي في قمرة القيادة على متن الرحلة 2039 مع حفنة كاملة من تلك الزجاجات الصغيرة من الفودكا والچين، الفارغة غالبًا، المصفوفة على البقعة التي تجلس عليها، قبالة النوافذ الأمامية، لوحة التحكم. في كابينة الركاب تقبع الأطباق الصغيرة التي تحمل وجباتهم -تشيكن كيبف وبيف ستراجونوف- نصف مأكولة، وقد أخذ مُكيّف الهواء يسحب أيّ رائحة طعام عالقة في الجو، ولا تزال المجلات مفتوحة على الصفحات التي كانوا يقرأونها. مع خواء جميع المقاعد من أصحابها، يمكنك أن تتظاهر بأن الجميع قد دخلوا الحّمّام. من سمّاعات الرأس الستريو البلاستيكية يمكنك سماع طنينٍ منخفّض لموسيقا مُسجّلة.

هنا، فوق السحاب، ليس هناك سِواي في كبسولةٍ زمنيةٍ من طراز بوينج 747-400، ومعِي مائتا قطعة تقريبًا من بقايا طبق الحلوى، كعكة الشوكولاتة، وبيانو بار في الطابق العلوي يمكنني أن أصعد إليه على السلالم الحلزونية وأخلط لنفسي شرابًا صغيرًا آخر.

لن أثير مللك بجميع التفاصيل لا سَمَحَ الله، لكن القيادة هنا للطيار الآلي حتى ينفذ الوقود تمامًا. يُسمّي الطيار هذه العملية انطفاء المحرّكات، حيث ستنطفئ محرّكات الطائرة كلها واحدًا تلو الآخر كما قال. أرادني الطيار أن أتوقّع ما سيحدث، فشرعَ يقتلني مللاً بعشرات التفاصيل عن محرّكات الطائرات وتأثير فتتوري⁽¹⁾ وزيادة الارتفاع بزيادة انحناء القلابات، وشرّح لي كيف ستحوّل البوينج إلى طائرةٍ شراعيةٍ تزن 450 ألف رطل بعد انطفاء جميع المحرّكات الأربعة. ولأن الطيار الآلي مُبرمج على الطيران في خطّ مستقيم، فستبدأ الطائرة الشراعية الجزء الذي يُسميه الطيار الهبوط المحكوم.

(1) انخفاض ضغط الموانع عند مرورها من ضيق في متصف أنوب.

أقول له إن هذا النوع من الهبوط سيكون لطيفًا على سبيل التغيير، فهو لا يعرف ما مررت به طوال هذه السنة الماضية.

تحت المظلة كان الطيار لا يزال يرتدي بذلته سخيفة الألوان التي تبدو كتصميم هندسي. في ما عدا ذلك كان مفيدًا تمامًا، بل أكثر مني لو كنت في مكانه وأحدهم يُصوّب مسدسًا إلى رأسي ويسألني عن كمية الوقود المتبقي وإلى أيّ مدى ستصل الطائرة قبل أن ينفد. شرّح لي كيف أعود بالطائرة إلى ارتفاع الملاحه بعد أن يقفز في المحيط، وأخبرني بكلّ شيء عن الصندوق الأسود.

المحرّكات مُرَقَّمة من واحد إلى أربعة، من اليسار إلى اليمين.

الجزء الأخير من الهبوط المحكوم سيكون عبارة عن نزول رأسي بأنف الطائرة إلى الأرض، وهو ما يُطلق عليه الطيار المرحلة الأخيرة من الهبوط، مع انقضااض الطائرة على الأرض بسرعة 32 قدمًا في الثانية. يُسمونها السرعة النهائية⁽¹⁾، عندما تتحرّك جميع الأجسام ككتلة واحدة بالسرعة نفسها. ثم يدخل الطيار في كثيرٍ من التفاصيل عن فيزياء نيوتن وبرج بيزا.

يقول: «لكن لا تستشهد بكلامي عن أيّ شيء من هذا، فلم أتعرّض لأيّ اختباراتٍ منذ زمن».

ويضيف أن وحدة الطاقة المساعدة سوف تستمر في توليد الكهرباء حتى اللحظة التي تصدم فيها الطائرة الأرض.

- «سوف تستمتع بالهواء المكيف وموسيقا الستريو إلى أن تكفّ عن الشعور بأيّ شيء».

أقول له إن آخر مرّة شعرت فيها بأيّ شيء كانت منذ زمنٍ طويل، منذ

(1) أقصى سرعة ثابتة يصل إليها الجسم الساقط تحت تأثير الجاذبية الأرضية.

سنةً تقريبًا، أما الأولوية الآن فهي لمغادرته الطائرة كي أستطيع وضع المسدّس أخيرًا.

إنني أصوّب هذا المسدّس منذ فترةٍ طويلة، وفقدت كلّ إحساسٍ في ذراعي.

ما تنساه وأنت تُخطّط لاختطاف طائرة بنفسك أنك قد تضطر في مرحلةٍ ما لأن تتخلّى عن مراقبة رهائنك لدقائق تدخل فيها الحماّم.

قبل أن نهبط في پورت فيلا⁽¹⁾، كنت أهرع من مكانٍ إلى مكانٍ عبر الكابينة حاملًا مسدّسي، لأتأكد من حصول المسافرين والطاقم على وجباتهم. هل يحتاج أحدهم مشروبًا طازجًا؟ من يريد وسادة؟ سألت الجميع أيهما يُفضّلون، الدجاج أم اللحم؟ القهوة منزوعة الكافيين أم العادية؟

الطعام وما يتعلّق به هو الشيء الوحيد الذي أبرع فيه حقًا، لكن المشكلة كانت أن تقديم كل هذا الطعام والهروع جيئةً وذهابًا في الكابينة كان بيدٍ واحدةٍ بالطبع، لأنني لم أتخلّ عن المسدّس لحظة. عندما هبطنا وأخذ المسافرون يغادرون الطائرة، وقفت عند باب الكابينة الأمامي وأخذت أردّد أنني آسف، وأعتذر عن الإزعاج الذي سبّبته. أتمنى لكم رحلة آمنة ممتعة، وشكرًا لكم للسفر على خطوط طيران إلخ... إلخ...

ثم إننا حلّقنا مرّةً أخرى بعدما لم يعد هناك سواي والطيار. قبل أن يقفز مباشرةً، يقول لي الطيار إنه بمجرد أن يتوقّف كل محرّك سيعلن الإنذار عن انطفاء المحرّك الأول أو الثالث أو غيرهما مرّةً بعد مرّةً، وبعد انطفاء المحرّكات كلها، فالوسيلة الوحيدة لمواصلّة الطيران هي أن تظل مقدّمة الطائرة مرفوعة. كل ما عليك هو أن تسحب المقود -أو النّير كما يُطلق عليه- إلى الخلف كي تُحرّك الرافعات في الذيل.

(1) عاصمة فانواتو وتقع شرق أستراليا.

سوف تفقد السرعة، لكنك ستحافظ على الارتفاع. سيبدو لك أنك تملك الاختيار بين السرعة أو الارتفاع، لكنك ستصدم الأرض في النهاية في كلتا الحالتين.

أقول له إن هذا يكفي. إنني لا أُنشد الحصول على رخصة طيران على كلِّ حال. فقط أريد قضاء حاجتي دون إزعاج، أريده أن يغادر الطائرة.

ثم إننا نخفض السرعة إلى 175 عقدة. لا أريد أن أثير مللك بالتفاصيل، لكننا نهبط إلى ارتفاع أقل من عشرة آلاف قدم ونفتح باب الكابينة الأمامي، ثم يقفز الطيار، وقبل أن أغلق الباب أقفَّ على العتبة وأقضي حاجتي وراءه؛ ودعني أقول لك إن لا شيء في حياتي مَنَحَنِي هذا الشعور الرائع من قبل. لن يُمثل هذا مشكلةً للطيار في طريقه إلى أسفل على كلِّ حال إذا كان السير إسحق نيوتن على حق.

وهكذا، ها أنا الآن أحلِّق غربًا بسرعة 0.83 ماخ أو 455 ميلًا في الساعة، سرعة جويَّة حقيقيَّة، وبهذه السرعة وعلى هذا الارتفاع تظل الشمس عالقةً في مكانٍ واحد طوال الوقت. الزمن متوقَّف. أحلِّق فوق السحاب بارتفاع ملاحه يبلغ 39 ألف قدم فوق المحيط الهادي. أحلِّق نحو الكارثة، نحو أستراليا، نحو نهاية قصَّة حياتي في خطِّ مستقيم إلى الجنوب الغربي حتى تنطفئ المحرَّكات الأربعة.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

مرَّة أخرى، أنت تُصغي لمُسجِّل الرحلة 2039. وعلى هذا الارتفاع -اسمع- وبهذه السرعة، ومع خلو الطائرة، يقول الطيار إن ما تبقي من الوقود يكفي ست أو سبع ساعاتٍ تقريبًا من الطيران، لذا سأحاول أن أكون سريعًا. سوف يُسجِّل الصندوق الأسود كلَّ كلمةٍ أقولها هنا في قمرة القيادة، ولن تتحوَّل قصتي إلى زليون شظيَّة مكسورة دامية ثم تحترق مع حطام طائرةٍ تزن ألف طن. عندما تتحطَّم الطائرة سيبحثون عن الصندوق الأسود، وستنجو قصتي.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

قبل أن يقفز الطيار مباشرة، وباب الكابينة مفتوح إلى الداخل والسُّفْن الحربية تراقبنا والرادار الخفي يتعقّبنا، ونحن على عتبة الباب وسط صراخ المحرّكات وعواء الرياح، التفت إليّ الطيار بمظلته وصاح:
- «لكن لماذا هذه الرغبة القويّة في الموت؟».

صحت فيه أن يتأكّد من سماع التسجيل فيما بعد، فصاح:

- «تذكّر إذن أن لديك ساعات قليلة فقط. وتذكّر، إنك لا تعرف متى سينفد الوقود بالضبط. هناك دائمًا احتمال أن تموت في منتصف القصة».
صحت أن لا شيء جديدًا في هذا، وصحت أن يقول لي شيئًا لا أعرفه.
وقفز الطيار، وأفرغت مثانتني، ثم أغلقت باب الكابينة.

في قمرة القيادة أَدفع دَوّاسة الصّمام الخائق إلى الأمام وأسحب المقود إلى الخلف حتى أرتفع مرّة أخرى. كل ما عليّ فعله الآن هو ضغط زر الطيار الآلي ليتولّى القيادة، وهو ما يقودنا إلى اللحظة الحالية.
فإذا كنت تُصغي لهذا، إلى صندوق الرحلة 2039 الأسود الذي لا يمكن تدميره، يمكنك أن تذهب وتعرف البقعة التي انتهت إليها هذه الطائرة وما تبقى منها. ستعرف أنني لست طيارًا عندما ترى الدمار والحفرة الهائلة التي أحدثتها الطائرة في الأرض. إذا كنت تُصغي إلى هذا، فأنا ميت.
أما الآن فلديّ بضع ساعاتٍ أحكي فيها قصتي، لذا أعتقد أن هناك فرصة لأن أحكي هذه القصة كما ينبغي.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

السماء زرقاء جميلة في كلّ اتجاه، والشمس مكتملة حارقة أمامي مباشرةً.

إننا فوق السُّحُب، واليوم يومٌ جميلٌ إلى الأبد.

دعني أبدأ من البداية إذن.

أيها الصندوق الأسود، إليك ما حدث حقاً.

...

بالمناسبة، إن شعوري الآن شديد الروعة بحق.

...

لقد ضيَّعت عشر دقائقٍ بالفعل.

...

أكشن!

الطريقة التي أعيش بها تجعلني أجد من الصعب أن أغلف شريحة من اللحم البتلو بالبقسماط، أو قطعة من السمك أو الدجاج، حسب طعام هذه الليلة أو تلك. لكن في جميع الأحوال، بمجرد أن أغطي يدي بالبيض النيء وأمسك قطعة اللحم باليد الأخرى، يتصل بي أحدهم قائلاً إنه في مأزق.

يحدث هذا في كل ليلة تقريباً من حياتي الآن.

اللية تتصل بي فتاة من نادٍ صاخب للرقص، والكلمة الوحيدة التي أستطيع أن أتبينها منها هي (الخلف).

تقول مهافتي:

- «الحقير!».

وتقول كلمة أخرى لم أسمعها جيداً، من الممكن أن تكون *Muffin* أو *Nothing* الحقيقة أنك لا تستطيع ملء الفراغات في عباراتها، وهكذا تجدني أقف في المطبخ وحيداً أصبح كي يعلو صوتي فوق صخب الموسيقى الراقصة. يبدو صوتها شاباً مُنْهَكًا، فأسألها إن كانت تستطيع أن تثق بي. هل تعبت من الألم؟

أسألها: إذا كانت هناك وسيلة وحيدة لإنهاء ألمها، فهل ستبعتها؟

تسبح سمكتي الذهبية في حماس في حوضها الموضوع فوق الشلاجة، فأمد يدي وأسقط حبة من الفاليوم في الماء.

أصبح في الفتاة: هل اكتفيت؟

أصبح فيها أنني لن أقف في مكاني هنا وأصغي إليها إذ تجأ بالشكوى.
وقوفي هنا ومحاولة إصلاح حياتها مضيعة كبيرة للوقت لا أكثر. لا
أحد يريد إصلاح حياته، لا أحد يريد الخلاص مما يُعانيه من مشاكل،
لا أحد يريد حلاً لما في حياته من دراما، أو نهايةً لما يشعر به من حيرة،
لا أحد يريد خاتمةً لقصته أو لكلِّ الفوضى المتغلِّغلة في دُنياه، لأن... ما
الذي سوف يتبقى في النهاية حقاً؟ لا شيء إلا بقعة ضخمة من المجهول
المخيف.

معظم من يتصلون بي يعرفون ما يريدون بالفعل. بعضهم يريد
الموت لكنه ينتظر الإذن مني. بعضهم يريد الموت لكنه يحتاج إلى بعض
التشجيع، إليّ دَفعةٌ صغيرة. المُصمَّم على الانتحار لا يتبقى لديه الكثير
من حِسِّ الدَّعابة، ومن شأن كلمة خاطئة واحدة أن تُحيله إلى نعي في
صفحة الوَفَيَّات في الأسبوع التالي مباشرةً. معظم الاتِّصالات التي تأتيني
أكون نصف مُصنَّع لها على كلِّ حال، ومعظم المتَّصلين أقرُّ من نبرة
صوته من منهم يعيش ومن يموت.

ليس هناك طائل من الفتاة التي تُهاثني من نادي الرقص، فأقول لها
أن تقتل نفسها.

تقول:

- «ماذا؟».

- «اقتلي نفسك».

تقول:

- «ماذا؟».

أقول لها أن تُجرب الباربيتورات⁽¹⁾ والكحول أثناء وضع رأسها داخل
ماكينة التنظيف الجاف.

(1) مجموعة أدوية مهدئة.

تقول:

- «ماذا؟».

لا يمكنك أن تُغلف شريحة من اللحم البتلو بيد واحدة وتحصل على نتيجة مرضية، فأقول لها الآن أو لا للأبد. اجذبي الزناد أو لا تفعلني. إنني معها الآن فلن تموت وحيدة، لكني لا أملك الليل بطوله. تنفجر في البكاء، فيبدو بكاؤها كجزء من الموسيقى الراقصة، وأضع السماعة.

عليّ تغليف قطعة اللحم بالبسماط، وفوق هذا يريد هؤلاء الناس مني أن أجعل حياتهم أفضل.

أمسك الهاتف بيدٍ وأحاول أن أجعل البسماط يلتصق بيدي الأخرى. ليس من المفترض أن يكون هناك شيء بهذه الصعوبة. كل ما عليك هو أن تُقَلِّب قطعة اللحم في البيض النيء، ثم تنفضها كي يسقط عنها البيض الزائد، ثم تضعها في البسماط. مشكلتي مع قطعة اللحم هذه أنني لا أستطيع ضبط غلاف البسماط عليها، إذ تظل في بعض الأماكن عارية، وفي أماكن أخرى يكون الغلاف شديد السُمك فلا يمكنك تخمين كنه الموجود تحته.

كان هناك الكثير من المرح فيما سبق. يتصل بك أشخاص على حافة الانتحار، وتتصل بك نساء، وأنا وحدي مع سمكتي الذهبية في مطبخي القذر أغلف قطعة من اللحم بالبسماط مرتدياً البوكسرز فقط. كلُّ هذا وأنا أسمع التضرُّعات وأمنح النصيحة وأنزل العقاب.

يتصل بي رجل بعد أن أعيب في النوم طبعاً (لأن هذه الأشياء تحدث دائماً)، والشيء الوحيد الذي يمنع مجيء هذه المكالمات طوال الليل هو أن أفضل الهاتف. الليلة سيتصل فاشل ما بعد أن تُغلق البارات أبوابها ليقول إنه جالس الآن عاقداً قدميه على الأرضية في شقته. يقول إنه لا

يستطيع النوم دون أن يرى تلك الكوابيس الشنيعة. في أحلامه هذه يرى طائراتٍ مليئةً بالناس تسقط وتتحطم. الأحلام تبدو حقيقيةً تمامًا، وهو لا يجد أحدًا يُساعده. لا يمكنه النوم، ولا يمكنه العثور على مساعدة، والآن يقول لي إنه يُسند ذقنه إلى فوهة بندقيّة ويطلب مني أن أعطيه سببًا واحدًا يمنعه من صُغْط الزناد.

لا يمكنه مواصلة الحياة وهو يعرف ما يحمله المستقبل ودون أن يستطيع إنقاذ أحد.

يتصل بي هؤلاء الضحايا أصحاب المعاناة المزمنة. يتصلون بي ويكسرون رتابة الحياة، ما اعتبره أفضل من مُشاهدة التلفزيون.

أقول له أن هلمّ، اقتل نفسك وأنا نصف مستيقظ. إنها الثالثة بعد منتصف الليل ولديّ عمل في الصباح. أقول له أن يُسرِع ويضغَط الزناد قبل أن أُغيب في النوم من جديد.

أقول له إنه ليس شيئًا جميلًا أن يبقى في هذا العالم الذي نعيش فيه ويعاني، هو ليس عالمًا جديرًا بالحياة.

عملي أغلب الوقت هو خدمات نظافة المنازل. مواطن من الطبقة الكادحة بدوام كامل، وإله بنصف دوام.

علّمتني التجارب السابقة أن أبعد سمّاعة الهاتف عن أذني عندما أسمع تكّة زناد البندقيّة. هناك ذلك الانفجار من الاستاتيكية، وفي مكانٍ ما تسقط سمّاعة هاتف على الأرض. إنني آخر شخص يتحدّث إليه، وقبل أن يصمت الرنين في أذني أكون قد غُبت في النوم مرّة أخرى.

سوف يُنشر النعي الأسبوع القادم؛ ست بوصاتٍ تُكوّن عمودًا كُتبت فيه أشياء عن لا شيء يهم أحدًا حقًا. إنك تحتاج إلى أن يُنشر النعي فقط، وإلا لن تتأكد إن كان قد مات حقًا أم أنه كان مجرد حلم. لا أتوقع منك أن تفهمني.

إنه نوعٌ آخر من الترفيه، نشوةٌ يُولِّدها كونك تملك هذه الدرجة من التحكم. الرجل الذي انتحر بالبنديقية كان اسمه ترفور هو ليس في النعي، ومعرفتي الآن بأنه كان شخصاً حقيقياً تمنحني شعوراً رائعاً. إنه قَتْلُ عَمْدٍ، لكنه ليس كذلك بالضبط، حسب الدور الذي لعبته.

الحقيقة أن هذا عالم بشع، وأنا أنهيت معاناة الرجل. جاءني الفكرة مصادفةً عندما نشرت إحدى الصُّحف موضوعاً عن خطأ ساخن حقيقي للأزمات، وبسبب خطأ مطبعي نُشر رقمي أنا في الصحيفة، ولم يقرأ أحد تقريباً التصحيح الذي نُشر في اليوم التالي، وهكذا بدأ الناس يتصلون بي ليل نهار بمشاكلهم.

أرجوك ألا تحسب أنني هنا لإنقاذ الأرواح. أكون أو لا أكون؛ إنني لا أبذل مجهوداً في اتخاذ القرار. ولا تحسب أنني أسمى من أن أتكلّم مع الناس بتلك الطريقة، والنساء الجريحات، وأصحاب العاهات النفسية.

كادوا يُعيّنوني في مكدونالدز ذات مرّة، ولم أكن قد قدّمت طلباً للوظيفة إلا كي أقابل فتياتٍ أصغر مني في السن. فتيات سوداوات، هسبانيات، بيضاوات، صينيّات؛ هذا هو المكتوب على طلب الوظيفة الذي يقول إن مكدونالدز يُعيّن عاملين من مختلف الأعراق. فتيات، فتيات... بوفيه مفتوح من الفتيات. يقول طلب الوظيفة أيضاً إنك لا تستطيع العمل في مكدونالدز إذا كنت مصاباً بأحد الأمراض التالية: التهاب الكبد البائي، السلمونيلا، الشيغيلا، البكتيريا العنقوديّة، طفيليات الجيارديّة، أو البكتيريا الملتويّة. هذا مضمون أكثر من فرصة لقائك بالفتيات في الشارع. لا يمكنك أن تكون حذراً أكثر من اللازم، فعلى الأقل قدّمت كلُّ واحدةٍ منهن إفادةً لمكدونالدز تقول إنها نظيفة من الأمراض، بالإضافة إلى أن هناك فرصة لا بأس بها على الإطلاق أن تكون صغيرة السن، صغيرة بحيث لا تزال لديها بثور في وجهها وثقّقه على كل شيءٍ سخيف، صغيرة وسخيفة وحمقاء مثلي.

فتيات في الثامنة عشرة، التاسعة عشرة، العشرين من عمرهن. أريد أن أتكلّم معهن فقط. فتيات المعاهد والسنة الأخيرة من الثانوية، القاصرات المتحرّرات. لا يختلف هذا عن الانتحاريّات اللاتي يتّصلن بي، فمعظمهن في سنّ صغيرة. يتّصلن بي باقيات يطلبن النجدة من هاتفٍ عمومي ما وقد بلّل المطر رؤوسهن، يتّصلن بي وقد تكوّرن في الفراش ولم يغادرنه لأيام. أنا المُخلّص... ويتّصلن بي... أنا المُنقذ... ويُنهنهن ويختنقن بدموعهن ويُخبرني بما أطلبه منهن بأدقّ التفاصيل.

في بعض الليالي يكون من الرائع حقاً أن تسمعهن في الظلام. تمنحني الفتاة ثقتها بمنتهى البساطة، وأمسك الهاتف بيد وأتخيّل أن يدي الأخرى هي الفتاة نفسها.

ليست المسألة أنني أريد أن أتزوِّج، مع أنني أحمل إعجاباً لا شكّ فيه لمن يستطيعون قضاء بقية حياتهم مع شيءٍ ما لا يتبدّل، حتى إذا كان مجرد وشم.

بدأت المكالمات تقل شيئاً فشيئاً بعد أن صحّحت الصحيفة رقم الهاتف. كل من اتّصلوا بي في البداية كانوا الآن موتى أو يشعرون بالحقن عليّ ولم يعد هناك متّصلون، وفي مكدونالذر رفضوا تعييني، فصنعت مجموعة من الملصقات الكبيرة. كان يجب أن تكون هذه الملصقات بارزة للعيان، ومن المفترض أن تكون سهلة القراءة ليلاً لكلّ من يبكي وقد ذهبت المخدّرات أو الكحول بعقله. الملصقات التي أستخدمها عبارة عن خلفيّة بيضاء عليها حروف سوداء تقول: «أعطِ لنفسك، لحياتك، فرصةً أخرى. اتصل بي للمساعدة».. ثم رقم الهاتف.

وكان اختياري الثاني: «إذا كنت فتاة شابة غير مسؤولة جنسياً، وتعانين من مشكلة مع الكحوليات، فاحصلي على المساعدة التي تحتاجينها. اتصلي على--» ورقم الهاتف.

ثِق بما أقول لك ولا تصنع هذا النوع الثاني من الملصقات إلا إذا كنت ترغب في زيارة من الشرطة. رقم هاتفك وحده يتيح لهم وَضْع اسمك على قائمة من المُشْتَبَه بهم باعتبارك مجرمًا محتملًا، وبعدها سوف تسمع صوت الكليك-كليك-كليك المميّز للهواتف المراقبة مع كلِّ مكالمة تُجرىها إلى الأبد.

ثِق بي ...

إذا استخدمت الملصق الأول، سيَتصل بك الناس للاعتراف بخطاياهم والشكوى وطلب النصيحة والبحث عنم يُبدي لهم الاستحسان.

الفتيات اللاتي تلتقي بهن لسن بعيداتٍ كثيرًا في الحقيقة عن أسوأ سيناريو يمكن أن يقع لهن. سوف تتصل بك قائمة كاملة من نساءٍ يقبضن بأيديهن على الهاتف وهُن على حافة الانهيار، يطلبن منك أن تعاود الاتصال بهن.

اتصل، أرجوك، اتصل ...

اعتبرني مجرمًا جنسيًا ضارياً، لكنني عندما أفكّر في الضواري أجدني أفكّر في الأسود والنمور والقِطَط الكبيرة والقروش. وهذه ليست علاقة بين ضارٍ وفريسته أصلاً. هذا ليس حيوانًا يقتات على الجيفة أو نسرًا أو ضبعًا ضاحكًا يحوم حول جثة، ليس طفيلًا في مواجهة عائل. كلنا في البؤس سواء.

هذا هو عكس الجريمة التي بلا ضحية.

أهم شيء أن تُعلّق الملصقات في كبائن الهواتف العمومية. جرّب الكبائن المتسخة القريبة من الجسور القابعة فوق المياه العميقة، وجرّب بالقرب من الحانات التي يذهب إليها من هُم بلا مكان ويظلون هناك حتى يُرمى بهم في الخارج عند الإغلاق. وفي فترة تكاد لا تُذكر ستكون قد بدأت العمل.

ستحتاج واحداً من تلك الهواتف اللاسلكية التي تجعل صوتك يبدو كأنه يأتي من مكانٍ عميق، وسيُتصلون بك بما لديهم من أزمات ويسمعون صوت السيفون وهو يطرد فضلاتك، وسيسمعون زئير الخلط، ويعرفون أنك لا تهتم على الإطلاق. ما أحتاجه هذه الأيام هو واحد من تلك الهواتف ذات سماعات الرأس، كأنه ووكمان للبرؤس البشري.

عِشْ أو مُت. الجنس أو الموت. بهذه الطريقة سوف يمكنك -بيد حُرّة- اتخاذ قرارات الحياة والموت على مدار الساعة، كلما اتّصلوا ليتكلم كلٌّ منهم عن جريمته الوحيدة الشنعاء. عندها تمنح الغفران، تحكّم على الناس، تُعطي رجالاً على حافة التهاوي أرقام فتياتٍ في الحالة نفسها.

كما هي الحال مع معظم الصلوات والتوسّلات، لا يختلف مُجمَل ما تسمعه عن الشكاوى والطلبات. ساعدني، اسمعني، أرشدني، سامحني. ها هو الهاتف يرن مرّة أخرى بالفعل، ومن شبه المستحيل الآن أن أغلّف شريحة اللحم البتلو بالقسماط كما ينبغي، وعلى الهاتف ثمة فتاة جديدة تبيكي. أسألها في الحال إن كانت ستثق بي، أسألها إن كانت ستُخبرني بكل شيء.

سمكتي الذهبية وأنا نسبح في مكانٍ واحد.

شريحة اللحم تبدو كأنني أخرجتها من قاع صندوق.

لأهدئ الفتاة وأجعلها تُصغي، أحكي لها عن سمكتي. هذه هي السمكة رقم 641 في حياةٍ ممتدة من تربية السمك الذهبي. ابتاع لي أبواي السمكة الأولى لأتعلّم أن أحب مخلوقات الله الأخرى وأعتني بها، وكل ما تعلمته بعد 640 سمكة هو أن كل شيءٍ تحبه يموت.

عندما تعثر أخيراً على نصفك الآخر المفقود، فلك أن تراهن على أنك ستجده ذات يومٍ ميتاً يتعفن في أعماق الأرض.

في الليلة السابقة لمغادرتي الديار، حكى لي أخي الأكبر كلَّ شيءٍ يعرفه عن العالم الخارجي.

قال لي إنه في العالم الخارجي تملك النساء القدرة على تغيير لون شعرهن أو عيونهن أو شفاههن.

كنا في الشُرْفَة الخلفيَّة وليس هناك ضوء إلا الآتي من نافذة المطبخ، وكان أخي آدم يقص شعري كما يقص سنابل القمح: يجمع خصلة منه في يده ويقطعها بموسى مستقيمة من المنتصف تقريباً. كان يمسك ذقني بإبهامه وسبابته ليُجبرني على النظر إليه مباشرةً، وعيناه البُنَيَّتان تتواثبان جيئةً وذهاباً بين سالفِيَّ.

كي يجعل السالفين متساويين، كان آدم يقص واحداً أولاً ثم الآخر، ثم الأول، وهكذا إلى أن يختفي السالفان تماماً.

كان إخوتي الصغار السبعة جالسين على حافة الشُرْفَة يراقبون الظلام، خوفاً من أن تجبئ إليهم الشرور التي وصفها آدم.

في العالم الخارجي، يقول آدم، يحبس الناس الطيور داخل منازلهم. لقد رأى هذا بنفسه.

لم يخرج آدم من مستعمرة مقاطعة الكنيسة إلا مرَّةً واحدة، عندما كان عليه وزوجته تسجيل زواجهما لدى الحكومة ليكون قانونياً.

في العالم الخارجي، يقول، تزور الناس في بيوتهم أرواح اسمها التليفزيون، وتكلِّم الأرواح الناس عبر ما يُسمُّونه الراديو.

وهناك يستخدم الناس شيئًا اسمه الهاتف، لأنهم يكرهون أن يكونوا قريبين من بعضهم البعض، لكنهم يخافون الوحدة كذلك.

واصل آدم قصّ شعري، ليس لمنحه مظهرًا لائقًا، بل لمجرد تهذيبه كما تُشَدَّب أفرع الأشجار، وعلى ألواح أرضية الشُّرفة تكوّم الشعر كأنه محصود من الأرض وليس مقصودًا من رأسي.

كنا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة نُعلّق أكياسًا من الشعر المقصوص في بستان الفاكهة لإخافة الطباء. قال لي آدم إن القاعدة التي تنصّ على عدم تبديد أيّ شيء ستكون واحدة من النعم التي يتخلّى عنها المرء عندما يغادر مستعمرة الكنيسة. أما أكبر نعمة تتخلّى عنها فهي الصمت.

في العالم الخارجي، قال لي، ليس هناك صمت حقيقي. ليس الصمت الزائف الذي يحدث عندما تسد أذنيك فلا تسمع شيئًا إلا نبضات قلبك، بل الصمت الحقيقي المطبق.

في الأسبوع الذي تزوّج فيه آدم من بيدي جليسن، خرجت بهما حافلة من المستعمرة في صُحبة أحد كبار الكنيسة. كانت الحافلة صاخبة من الداخل طوال الطريق، والسيّارات على الطريق تزار، والناس في العالم الخارجي يقولون شيئًا سخيفًا مع كلّ نفس يدخل أجسادهم، وعندما يصمتون يملأ الراديو الفراغ بأصواتٍ منسوخة من بعضها البعض لأناس يُغنّون الأغاني نفسها مرارًا وتكرارًا.

قال آدم إن النعمة الأخرى التي يجب أن تتخلّى عنها في العالم الخارجي هي الظلام. يمكنك أن تُغلق عينيك طبعًا وتجلس داخل خزانة الملابس، لكن هذا ليس مثل ذلك، فظلام الليل في مستعمرة مقاطعة الكنيسة مكتمل، والنجوم واضحة بارزة فوقنا في هذا النوع من الظلام. يمكنك أن ترى خشونة سطح القمر الزّاهر بسلاسل الجبال وقد شقّته الأنهار وصقلته المحيطات.

وفي الليالي التي يغيب فيها القمر والنجوم لا يمكنك رؤية أي شيء،
لكنك تستطيع تخيّل كل شيء.
أو هذا ما أذكره على الأقل...

كانت أمي في المطبخ تكوي وتطوي الملابس المسموح لي بأن
أأخذها معي، أما أبي فلا أدري أين كان، وكانت هذه آخر مرة أرى أيهما.
من الغريب أن هناك من يسألني دائماً إن كانت أمي بكت، أو إن كانت
الدموع قد تفرقت في عيني أبي وألقى ذراعيه حولي قبل أن أرحل،
ويندهش هؤلاء دوماً عندما أجيب بالنفي. لم يكن هناك بكاء أو عناق.
لم يكن هناك بكاء أو عناق عندما كنا نبيع أحد الخنازير كذلك، ولا
عندما نذبح دجاجة أو نقطف تفاحة.

ليس هناك من يُجافيه النوم ليلاً ويظل يتساءل إن كان القمح الذي
زرعه يشعر بالسعادة وأنه حقّق الهدف من وجوده بعد أن تحوّل إلى خُبز.
كان أخي يقص شعري، وقد انتهت أمي من الكيّ وجلست لتحريك.
كانت أمي حبلى، وأذكر أنها كانت كذلك دائماً، وكانت أخواتي جالسات
حولها وتنوراتهن مفرودة على كراسي المطبخ أو الأرضية، وكلهن يحكّن
بدورهنّ.

يسألني الناس دائماً إن كنت شعرت بالخوف أو الإثارة أو غيرهما
وقتها.

طبقاً لتعاليم الكنيسة، فإن الابن الأول فقط -آدم- يمكنه الزواج
وقضاء بقية حياته في مستعمرة الكنيسة، أما عندما يبلغ بقيتنا -أنا وإخوتي
السبعة وأخواتي الخمس- السابعة عشرة، فعلينا الخروج بحثاً عن عمل.
يعيش أبي هنا لأنه كان الابن الأول في عائلته، وأمي هنا لأن كبار الكنيسة
اختاروها لأبي.

يشعر الناس بالإحباط دائماً عندما أقول لهم الحقيقة، أن لا أحد منا كان يعيش في اضطرابٍ أو كبتٍ أو يكره الكنيسة. لقد كنا نعيش فقط دون أن نُعدِّبنا المشاعر كثيراً.

كان هذا هو العمق الكامل لإيماننا. اعتبره ضحلاً أو عميقاً، لكن لم يكن هناك شيء يمكنه أن يخيفنا. هكذا كان الإيمان لدى من عاشوا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة؛ أي شيء يحدث في العالم هو أمر من الله، تكليف لا بُد أن يتم، وأي حزنٍ أو فرح هو شيء يعترض طريق كونك مفيداً فقط، أي شعورٍ بلا قيمة، الترقُّب أو الندم مجرد بدعة سخيفة، نوع من الرفاهية.

كان هذا هو تعريف إيماننا. لا شيء معروفًا، وكلُّ شيءٍ متوقَّع أن يحدث.

يقول آدم إن ثمة صفقة أجراها الشيطان في العالم الخارجي تدور بموجبها السيارات وتُحلَّق الطائرات في السماء. هناك يتدفَّق الشر عبر أسلاك الكهرباء ليُعلِّم الناس الكسل. يضع الناس أطباقهم متسخة في خزانة، وتُنظِّفها الخزانة لهم. المياه في الأنابيب تجرف القمامة والفضلات بعيداً لتصبح مشكلة أحدٍ آخر. أمسك آدم ذقني بسبابته وإبهامه ومال لينظر إليَّ مباشرةً، وهو يقول إن الناس في العالم الخارجي ينظرون في المرايا. على متن الحافلة التي حملته إلى الخارج، رأى بأمِّ عينيه أناساً يحملون المرايا وكلُّ منهم ينظر ليرى كيف يبدو. كان منظرًا مُخجلاً.

أذكر أن تلك كانت آخر مرَّة قصصت فيها شعري لمدةٍ طويلة جداً، لكنني لا أذكر السبب. كان رأسي كحقلٍ من القش لم يتبقَّ فيه إلا الشعيرات القصيرة.

في العالم الخارجي، يقول آدم، يقوم الناس بالعدُّ على آلات.

كل الطعام تأتي به نادلات.

في المرّة الوحيدة التي غادر فيها المستعمرة، قضى أخي وزوجته وكبير الكنيسة الذي اصطحبهما الليل في فندقٍ بوسط مدينة روينزفيل في نبراسكا. لم ينم واحد من ثلاثهم تلك الليلة، وفي اليوم التالي أعادتهما الحافلة إلى الديار ليقضيا فيها ما تبقى من حياتهما.

قال لي إن الفندق هو منزل كبير يعيش فيه أناس كثيرون ويأكلون وينامون، لكن لا أحد منهم يعرف الآخر، وأضاف أن هذا ينطبق على معظم العائلات في العالم الخارجي.

قال لي آدم إن الكنائس في العالم الخارجي ما هي إلا المتاجر المحليّة، التي يشتري منها الناس الأكاذيب المُعلّبة في مصانع الديانات العملاقة. وقال أشياء أخرى كثيرة لا أذكرها.

قصة الشعر تلك كانت منذ ستة عشر عامًا.

كان أبي قد أنجب آدم وأنا وبقية إخوتي وأخواتي عندما بلغ سني الحالية، وكنت في السابعة عشرة من عمري عندما غادرت الديار.

كان أبي يبدو مثلي تمامًا الآن عندما رأيت للمرّة الأخيرة.

النظر إلى آدم لا يختلف كثيرًا عن النظر في المرأة، فهو يكبرني بثلاث دقائق وثلاثين ثانية فحسب، لكن لم يكن هناك شيء اسمه التوائم في عقيدة الكنيسة الكريديّة.

أذكر أنني فكّرت في آخر مرّة رأيت فيها آدم برانسن أن أخي الأكبر شديد الحنو شديد الحكمة حقًا.

إلى هذه الدرجة كنتُ أحمق.

جزءاً من عملي أن أراجع قائمة الطعام الذي سوف يُقدّم في حفل عشاء الليلة، ما يعني أن أستقل الحافلة من المنزل الذي أعمل فيه إلى منزلٍ آخر كبير وأسأل طاهٍ لا أعرفه عن الأصناف التي يتوقّع أن يأكلها المدعوون. من أعمل لديهم لا يحبّون المفاجآت، وعليه فإن جزءاً من عملي أن أبلغهم مسبقاً إذا كانوا سيضطرون الليلة لتناول شيءٍ صعب الأكل كسرطان البحر أو الخرشوف، فإذا كان هناك شيء على القائمة يُهدّد صورتهم الاجتماعيّة، فيجب أن أعلمهم أكله بالطريقة الصحيحة. هذا هو عملي ومصدر رزقي.

الرجل والمرأة صاحبا المنزل الذي أنظّفه غير موجودين دائماً، فلا بُد أن طبيعة عمليهما تجعلهما دائمي الغياب. التفاصيل الوحيدة التي أعرفها عنهما تأتي من الأشياء التي يملكانها، وكل ما أتعلّمه عنهما أتعلّمه من التنظيف ورائتهما، من تنظيف فوضاهما الصغيرة يوماً بعد يوم، ومن إعادة شرائط الفيديو - المملّثة بالنهود البارزة والمؤخّرات الكبيرة - إلى بدايتها. مع نزولي من الحافلة هنا يكون من أعمل لديهم قد ذهبوا إلى عملهم في وسط المدينة، ومع عودتهم إلى المنزل أكون قد عدت إلى وسط المدينة حيث الشقة الستوديو التي أسكنها، والتي كانت في السابق غرفة فندق صغيرة، إلى أن قرّر أحدهم أن يدس فيها موقداً وثلاجة كي يرفع قيمة الإيجار. هناك حَمَامٌ مشترك في الردهة.

الطريقة الوحيدة التي أتواصل بها مع أصحاب العمل هي الهاتف،

تلك العلبة البلاستيكية القابعة على طاولة المطبخ لديهم، وتصرخ في طوال الوقت أن أفعل المزيد من الأشياء.

حزقيال 19:7: «وَهَلَدَمَ قُصُورَهُمْ وَخَرَّبَ مُدُنَهُمْ..»، ثم شيء ما وشيء ما وشيء ما آخر لا أذكره. لا يمكنك الاحتفاظ بالكتاب المقدس كاملاً في رأسك، وإلا لن تصبح لديك مساحة لتذكر اسمك ذاته.

لا يختلف المنزل الذي أنظفُه منذ ست سنواتٍ عمّا توقَّعه كثيراً. كبيرٌ هو، ويقع في منطقةٍ راقيةٍ من المدينة مقارنةً بالمكان الذي أسكنه، فجميع الشقق الستوديو في حيي لا تختلف في أيِّ شيءٍ عن مقعدٍ مرحاضٍ عموميٍ دافئ: أحدهم كان هنا منذ لحظةٍ واحدة، وأحدهم سيأتي لحظةً أن تنهض. أما في الجزء من المدينة حيث أذهب للعمل كلِّ صباحٍ فلديهم لوحاتٍ على الجدران. وراء الباب الأمامي هناك عُرفٌ وعُرفٌ لا أحد يدخلها أبداً، ومطابخ لا يطهو فيها أحد أبداً، وحمَّامات لا تتسخ أبداً. النقود التي يتركونها هنا أو هناك اختباراً لي (هل سيأخذها؟ هل سيتركها؟) لا تقل أبداً عن ورقةٍ من فئة الخمسين دولاراً، تجدها مُلقاةً وراء التسيريحة كما لو أنها سقطت عن غير قصد. الملابس التي يملكونها تبدو كما لو أن مهندساً معمارياً قد صمَّمها.

إلى جوار الهاتف هناك دفتر التنظيم اليومي السَّميك الذي يتركونه لي مليئاً بالأشياء التي يجب أن أقوم بها. يريدون مني أن أسرد ما سأفعله من واجباتٍ خلال السنوات العشر المقبلة بالتفصيل الممل. في نظرهم كل شيءٍ في حياتك يتحوَّل إلى بندٍ على قائمة، إلى عملٍ يجب إنجازه، فترى كيف تكون حياتك وهي مبسطةٌ أمامك.

أقصر مسافةً بين نقطتين هي خط زمني، جدول، خريطة لوقتك، مخطَّطات لما تبقى من حياتك.

يصرخ في الهاتف:

- «أريدك أن تنظر إلى دفترك فتعرف أين أجدك بالضبط في الساعة الرابعة من مثل هذا اليوم بعد خمس سنواتٍ من الآن. أريدك أن تكون دقيقًا!».

رؤية المكتوب بالأسود والأبيض تجعلك بشكل ما تشعر بالإحباط مما تتوقَّعه من حياتك، من الأشياء القليلة للغاية التي سوف تُنجزها. إنها CV لمستقبلك.

إنها الساعة الثانية ظهرًا يوم السبت، وطبقًا لدفتر التنظيم فأنا على وشك أن أسلقَ خمس قطع من سرطان البحر كي يتدرَّبوا على أكله. لك أن تتخيَّل إذن مقدار المال الذي يكسبه من أعمل لديهم.

الطريقة الوحيدة التي تسمح لي بأكل اللحم البتلو هي أن أسرقه منهم وأهرِّبه إلى بيتي واضعًا إياه في حجري على متن الحافلة.

سِر سَلَقِ سرطان البحر بسيط. عليك أولاً أن تملأ الغلاية بالماء البارد مع رشَّة من الملح، ويمكنك استخدام مقدارٍ متساوٍ من الماء والفيرموت أو الفودكا، مع إضافة بعض الطحالب البحرية كي تكون النكهة أقوى. هذه هي الأساسيات التي يُعلِّموناك إياها في دروس التدبير المنزلي.

معظم ما أعرفه يأتي من الفوضى التي يُخلِّفونها وراءهم.

سَلِنِي عن كيفية إزالة بقعة دم من معطفٍ من الفراء.

لا، لست أمزح، هلُمَّ...

سَلِنِي...

السر هو دقيق الدُّرة وفرك الفراء عكس اتجاه الوبر، أما الجزء الذي يتطلَّب براعة فهو أن تحافظ على فمك مغلقًا.

لإزالة بُقع الدم عن مفاتيح البيانو، تُلَمِّع ببودرة الأطفال أو الحليب المجفَّف.

ليست هذه من أكثر المهارات القابلة للتسويق، لكن لإزالة بُقع الدم

عن ورق الحائط، يوضع عليها معجون مصنوع من النشاء والماء البارد، وهو ما يصلح أيضًا لإزالة بُقَع الدم عن حشايا السرائر والأرائك. الحيلة هي أن تنسى السرعة التي يمكن أن تحدث بها تلك الأشياء؛ الانتحار والحوادث والجرائم العاطفيّة.

رُكِّز فقط على البُقعة إلى أن تُمحي ذاكرك كلها. إن المران - إن كان يمكنك أن تعتبره كذلك - يُؤدِّي إلى نتائج مثاليّة.

تجاهل شعورك عندما تكون الموهبة الحقيقيّة الوحيدة التي تتمتع بها هي إخفاء الحقيقة. إنك تملك موهبة ربّانية حقيقيّة في ارتكاب الخطايا الشنيعة. هذا هو نداؤك الحقيقي. لديك موهبة طبيعيّة في الإنكار. إنها نعمة.

إن كان يمكنك أن تعتبرها كذلك...

حتى بعد مرور ستة عشر عامًا في تنظيف بيوت الناس، ما زلت أريد أن أعتبر أن العالم يصبح هكذا مكانًا أفضل فأفضل، لكنني أعرف أن هذا غير حقيقي. تريد أن يكون هناك تحسّن ما في حياة الناس، لكنك تعرف أن هذا لن يحدث أبدًا.

تريد أن تعرف أن ثمة شيئًا يمكنك أن تفعله...

إنني أنظف هذا المنزل كلّ يوم، والشيء الوحيد الذي يتحسّن هو قدرتي على إنكار كلّ الأخطاء الموجودة.

حاشا لله أن ألتقي بمن أعمل لديهم وجهًا لوجه.

أرجو ألا تكون الفكرة التي بلغتك أنني أكره من أعمل لديهم، إذ سبق أن جاءت لي موظفة التحريّات الاجتماعيّة بوظائفٍ أسوأ بكثير. لا، لست أكرههم. نعم، لست أحبهم، لكنني لا أكرههم، فقد عملت في أماكنٍ أسوأ بمراحل.

سَلني كيف أزيل بُقَع البول عن الستائر ومفارش المائدة.

سَلَنِي عن أسرع طريقة لإخفاء ثقب طلاقات الرصاص في حائط غرفة المعيشة. الإجابة هي معجون الأسنان، وللأعيرة الأكبر يُصنع معجون من مقدارٍ متساوٍ من النشاء والملح.

اعتبرني صوت الخبرة...

أعتقد أن خمس قطع من سرطان البحر تكفي لتعليم من أعمل لديهم التفصيلة المخادعة الخاصة بفتح الظهر. اسمه الذَّبَل على ما أعتقد. بالداخل هناك المخ أو القلب الذي من المفترض أن تصل إليه. الحيلة هي أن تضع قطع السرطان في الماء ثم ترفع درجة الحرارة، والسر أن يتم هذا ببطء. اترك الماء ثلاثين دقيقة على الأقل كي يصل إلى درجة حرارة مئة فهرنهايت، ومن المفترض بهذه الطريقة أن يموت السرطان بلا ألم.

يقول لي دفتر التنظيم اليومي أن أظل مشغولاً، أن ألمع النحاس بأفضل طريقة ممكنة، أي باستخدام نصف ليمونة مغموس في الملح.

اسم هذا النوع من سرطان البحر الذي سيتدرَّبون على أكله هو جامبو، لأن وزن القطعة الواحدة يبلغ ثلاثة أرطال تقريباً. سرطان البحر الذي يقل وزنه عن رطل واحد اسمه تشيكن، والذي ينقصه أحد المخالب اسمه كل. سأحتاج إلى سلُق القِطع التي أخرجتها من الثلاجة ملفوفة بالطحالب البحريَّة لمدة نصف ساعة تقريباً. مزيدٌ من الأشياء التي تتعلَّمها في دروس التدبير المنزلي.

المخلب الأكبر، أحد المخلبين الأماميين الكبيرين، والمحاط بما يشبه الضروس، اسمه السَّاحِق. أما المخلب الأصغر المحاط بالأسنان القاطعة فاسمه القاطع، والسيقان الجانبية الصغيرة اسمها سيقان المشي. في الجانب السفلي من الذيل هناك خمسة صفوف من الزعانف الصغيرة التي يُطلق عليها اسم السَّبَّاحات. المزيد من التدبير المنزلي. إذا كان الصَّف الأمامي من السَّبَّاحات ليناً ناعماً، فسرطان البحر هذا أنثى،

وإذا كان صلبًا خشنًا، فهو ذَكَرٌ. إذا كان سرطان البحر أنثى، فابحث عن تجويفٍ عظمي يشبه القلب بين ساقَي المشي الخلفيتين، فهذا هو المكان الذي لا تزال الأنثى تحمل فيه حيواناتٍ منويّة حَيّة، إذا كانت قد مارست الجنس خلال العامين الماضيين.

يرن الهاتف وأنا أضع قطع سرطان البحر، ذكرين وثلاث إناث (بلا حيواناتٍ منوية) في القدر على الموقد.

يرن الهاتف وأنا أرفع الحرارة بعض الشيء.

يرن الهاتف وأنا أغسل يديّ.

يرن الهاتف وأنا أصبّ لنفسي قَدْحًا من القهوة بالكريمة والسكر.

يرن الهاتف وأنا آخذ حفنة من الطحالب البحريّة من كيس سرطان البحر وأرشها على وجه القدر. المخالب الساحقة والقاطعة مربوطة كلها برباطٍ مطاطي.

يرن الهاتف وأنا أغسل يديّ وأجفّفهما مرّة أخرى.

يرن الهاتف، وأرد عليه.

أقول إن هذا منزل آل جاستن، فيصرخ فيّ الهاتف:

- «اسمه محل إقامة آل جاستن! قلها كما قيل لك!».

ما يُعلّمونك إياه في دروس التدبير المنزلي أنه من الصحيح أن تقول إن المنزل محل إقامة في المراسلات الرسميّة والدعوات فقط. لقد ناقشنا هذا مليون مرّة.

أشرب قهوتي وأعدّل درجة الحرارة تحت سرطان البحر، والهاتف لا يزال يصرخ:

- «هل أنت هناك؟ ألو؟ هل انقطع الخط؟».

هذان الزوجان اللذان أعمل لديهما كانا الوحيدين - في حفل عشاءٍ ما- اللذين لم يعرفا كيفية رفع تلك الآنية الصغيرة التي تُحمّل بالأصابع

بالمفرش الصغير الذي يصاحبها، ومنذ ذلك الحين أدمنا تعلّم الإتيكيت. صحيحٌ أنهما يقولان إن كلَّ هذا بلا منفعةٍ أو قيمة، لكنهما يشعران بالرُّعب من عدم معرفتهما بكل تلك الطُّقوس الصغيرة.

ويصرخ الهاتف:

- «أجيني عليك اللعنة! حدّثني عن حفل الليلة! أي نوع من الطعام سنواجه؟ إننا نكاد نموت قلقاً طوال اليوم!».

أنظر في الخزانة المعلّقة فوق الموقد بحثاً عن عدة تناوُل سرطان البحر وكسّارة البندق والملقاط والمريولة. بفضل دروسي يعرف هؤلاء الطُّرق الثلاث المقبولة لوضع أواني الحلوى الفضيّة، وبفضلي يعرفون كيف يشربون الشاي المثلّج بالطريقة الصحيحة، حيث تظلّ الملعقة الطويلة موضوعة في الكأس. هذا الجزء مخادع قليلاً، لكن عليك أن تمسك يد الملعقة بإصبعي الإبهام والوسطى على حافة الكأس وقبالة فمك. حذارٍ أن تفقأ عينك! لا يعرف كثيرون هذه الطريقة، بل تراهم يرفعون الملعقة المبتلّة من الكأس ويبحثون عن مكانٍ يضعونها فيه دون إتلاف مفرش المائدة. الأسوأ أن بعضهم يضعها في أيّ مكانٍ فتترك بقعة شايّ مبتلّة.

يصمت الهاتف، وعندها، عندها فقط، أبدأ أنا الكلام.

أسأل الهاتف: هل أنت مُصنّع؟

أقول للهاتف: تخيّل طبّقاً عليه العشاء.

الليلة، أقول، سيكون سوفليه السبانخ موضوعاً في وضع الساعة الواحدة، وذلك الشيء بالنجر في وضع الساعة الرابعة، وثمّة صنف ما باللحم واللوز في النصف الآخر من الطبق في وضع الساعة التاسعة. يجب أن يستخدم الضيوف السكاكين ليأكلوا هذا، وستكون هناك عظام في اللحم.

هذا أفضل عملٍ حصلت عليه على الإطلاق، بلا أطفال أو قِطَط أو

أرضيات تتطلّب التلميع. لو كنت لا أبالي، لكنك قلت لمن أعمل لديهم أن يمارسوا جميع السلوكيات الغريبة التي يمكنني التفكير فيها. مثال: يُشرب الشربات بلعيقه من الوعاء مباشرة كما تفعل الكلاب. أو: يؤكل لحم الضأن بأن تقبض عليه بأسنانك وتهز رأسك في عنفٍ من جانب إلى جانب. الشنيع في الأمر أنهم سيُصدّقونني غالبًا، وهذا لأنني لم أخذهم قَط، ولأنهم يثقون بي.

باستثناء تعليمهم الإتيكيت، فإن أكبر تحدٍّ أمامي هو أن أنزل بمستواي إلى توقّعاتهم.

سَلني عن كيفية إصلاح ثقب الطعنات في ثياب النوم وحُلل السهرة والقبعات. السر هو القليل من طلاء الأظفار الشفّاف في الجزء الداخلي من الثقب.

لا أحد يُعلّمك جميع المهارات العمليّة التي تحتاجها في دروس التدبير المنزلي، لكنك تكتسبها مع مرور الوقت. في مقاطعة الكنيسة حيث نشأت، يُعلّمونك أن وضع الشموع في الماء المملّح يطيل عمرها، وتُحفظ الشموع في المجمّد حتى تصبح جاهزة للاستخدام. هذا هو التدبير المنزلي على طريقتهم. تُشعل الشموع بعودٍ من السباجيتي النيئة. ستة عشر عامًا مرّت عليّ وأنا أنظّف للناس منازلهم، ولم يحدث مرّة أن طلب مني أحدهم أن أمشي حاملًا عودًا مشتعلًا من السباجيتي في يدي. أيًا كانت الأشياء التي يُركَزون عليها في دروس التدبير المنزلي، فهي ليست ذات أولويّة في العالم الخارجي.

على سبيل المثال، لا أحد يُعلّمك أن مرطّب البشرة الأخضر يمكنه إخفاء الاحمرار الناتج عن صفعيّة على الوجه. أي رجل صفعته امرأة بظهر يدها ذات الخاتم الماسي يجب أن يعرف أن قلم الشبّة كفيل بإيقاف النزيف. أغلق الجرح بلمسة من الصمغ الفوري، ودعهم بعدها يلتقطون صورك في افتتاح لفيلم وأنت مبتسم ملء شِدقك بلا آثار غرُز أو ندوب.

احتفظ دائماً بخرقة نظيفة لمسح الدم، ولن تحتاج إلى ترطيب أي بقعة قبل مسحها.

يقول لي دفتر التنظيم اليومي إن عليّ شحذ سكين الجزارة. وأستمر في إطلاع من أعمل لديهم على ما يجب عليهم توقعه في حفل العشاء الليلة.

المهم هو عدم الشعور بالذعر. نعم، سوف يكون هناك الكثير من سرطان البحر الذي عليهم التعامل معه.

ستكون هناك مملحة واحدة. سيُقدّم طبق الطيور بعد اللحم المشوي، وسيكوّن من أحد أنواع الحمام. الحقيقة أنه إذا كان هناك شيء أكله أكثر تعقيداً من سرطان البحر فهو هذا النوع من الحمام. كل هذه العظام الصغيرة التي يجب أن تُجرّدها من اللحم، والكل حولك متأتق لدرس التشريح الخاص هذا. سيُقدّم نوع آخر من النيذ بعد المشهيات، والشيري مع طبق الحساء، والنيذ الأبيض مع سرطان البحر، والأحمر مع اللحم المشوي، ثم مع ملحمة الحمام المليئة بالدهون. بعد كل هذا ستحوّل الجزيرة الصغيرة التي أمام كل ضيف إلى أرخبيل كامل من المرق والصلصة والنيذ المسكوب على مفرش المائدة الأبيض.

هذه هي طبيعة عملي. حتى في وظيفة جيّدة كهذه لا أحد يريد أن يعرف أين من المفترض أن يجلس ضيف الشرف.

العشاء الفاخر المثالي الذي تكلم عنه أساتذتك في دروس الاقتصاد المنزلي، والعناية بالزهور الطازجة وأقداح القهوة الصغيرة بعد يوم من الحياة الراقية... لا أحد يبالي بهذا مقدار خردلة.

الليلة، في مرحلة ما بين طبق الحساء و طبق اللحم المشوي، سيبدأ الجميع في التمثيل بجُثث سرطان البحر. ثلاثة وأربعون من قادة الصناعة، ثلاثة وأربعون وحشاً ناجحاً، ثلاثة وأربعون همجياً شهيراً يرتدون ملابس السهرة ويتظاهرون بأنهم يعرفون كيف يأكلون.

بعد طبّق سرطان البحر، سيُقدّم الخدم أوعية صغيرة ساخنة بها شرائح الليمون طافيةً على الوجه، وسينتهي الأمر بكلّ واحدٍ من تلك الجثث الثالثة الثلاث وأربعين وقد غطّاه الثوم والزبد حتى المرفق، وكل واحدٍ من تلك الوجوه المشحمة المبتسمة وهو يمتص اللحم امتصاصًا من فتحةٍ ما في زور سرطان البحر.

أغلب الأشياء التي أعرفها بعد ستة عشر عامًا من العمل اليومي في المنازل يتلخّص في آثار الصّفعات على الوجوه والذرة بالكريمة والكدمات المسوّدة حول العيون والأكتاف المخلوعة والبيض المضروب وقصبات السيقان المتورّمة إثر ركلة والقرنيّات المخدوشة والبصل المقطّع والعضّات من جميع الأنواع وبقع النيكوتين والدهانات المستخدمة في الجنس والأسنان المكسورة والشفاه المشقوقة والكريمة المخفوقة والأذرع الملوية والتمزّقات المهبليّة واللحم المقدّد المتبلّ وحروق السجائر والأناناس المهروس والفتق والإجهاض والبقع التي تركها الحيوانات الأليفة وجوز الهند المبشور والعيون المقلوعة والتواء المفاصل والعلامات على الجلد بعد الولادة.

إذا كنت تعمل لدى سيدة، فبعد أن تنتهي من البكاء عقب ساعاتٍ بلا انقطاع، اجعلها تستخدم قلمًا لتحديد العيون من اللون الأزرق أو البنفسجي الزاهي، لجعل عينيها المحتقتنين بالدم تبدوان أكثر بياضًا. وفي المرّة القادمة عندما تكسر واحدة سنًا لزوجها، انقع السنّ في الحليب حتى يذهب لزيارة طبيب الأسنان، وفي تلك الأثناء اصنع معجونًا أبيض من أكسيد الزنك وزيت القرنفل، واحش به تجويف السنّ من أجل حشوٍ سريع وسهل يجمد في الحال.

عامل بُقع الدموع على أكياس الوسائد كما تعامل بُقع العرق. أذب خمس حبّات من الأسبرين في الماء وامسح على البقعة حتى تزول. حتى إذا كانت هذه بقعة ماسكارا، فستختفي المشكلة.

إذا كان يمكنك أن تعتبرها كذلك...

سواء كنت تُنظف بقعة أو سَمكة أو منزلاً، فإن لديك رغبة في اعتقاد أنك تجعل العالم مكاناً أفضل، لكنك في الواقع تترك الأمور تزداد سوءاً. تُفكّر أنه ربما إذا عملت بجدّ أكثر أو سرعة أكبر ستستطيع كبح جماح الفوضى، لكن إذا بك ذات يوم وأنت تُغيّر مصباحاً عمره خمس سنوات، تدرك أنك غالباً ستغيّر هذا المصباح نفسه عشر مرّاتٍ أخرى على الأكثر قبل أن تموت.

الوقت ينفد ولم تعد تملك الحيوية التي كانت لديك من قبل، فتبدأ في التباطؤ.

تبدأ في الاستسلام...

هذا العام صار هناك شعر على ظهري، وأنفي يكبر أكثر فأكثر. الوصف الذي يمكنك إطلاقه على وجهي يوماً بعد يوم هو صور المشتبه بهم في أقسام الشرطة.

بعد عملي في منازل الأثرياء، أعرف أن أفضل وسيلة لإزالة الدم من حقيبة السيارة هي الألقي أيّ أسئلة.

يقول الهاتف:

- «ألو؟».

أفضل وسيلة للاحتفاظ بوظيفة جيّدة هي أن تفعل ما يُطلب منك.

يقول الهاتف:

- «ألو؟».

لإزالة أحمر الشفاه عن ياقة القميص، افركه بقليلٍ من الخل الأبيض. البقع العنيدة القادمة من مصدر بروتيني، كالحوانات المنويّة، تُغسل بالماء المملّح البارد، ثم تُغسل بالطريقة التقليديّة.

هذا تدريب عملي قيّم، ويمكنك أن تُدوّن الملاحظات كما ترغب.
لإزالة الزجاج المكسور من نافذة غرفة النوم، يمكنك التقاط حتى
أصغر الشظايا بقطعة من الخبز.
أخبرني إذا كنت تعرف كلّ هذا بالفعل.
يقول الهاتف:
- «الو؟».

مررتُ بهذا، فعلتُ ذاك...

من الأشياء الأخرى التي يُعلّمونك إياها في دروس التدبير المنزلي،
الطريقة السليمة للردّ على دعوةٍ لحفل زفاف، كيف تخاطب البابا،
الطريقة الصحيحة لنقش الأحرف الأولى من الأسماء على الفضة.
في مدرسة الكنيسة الكيريدشيّة، يُعلّمونك كيف يمكن أن يكون العالم
مسرحةً مثاليّةً أنيقة من السلوكيّات المهذّبة أنت مُخرجها، ويرسم لك
الأساتذة صورةً لحفلات العشاء التي يعرف فيها الجميع كيف يأكلون
سرطان البحر بالطريقة الصحيحة.

ثم يتضح أن العالم ليس كذلك...

عندها كل ما يمكنك فعله هو أن تضع في التفاصيل الدقيقة لكلّ يومٍ
تمارس فيه المهام نفسها مرّةً ومرّةً ومرّةً.

يجب تنظيف المدفأة.

يجب جز الحشائش.

يجب تدوير جميع الزجاجات في قبو النبيذ.

يجب جز الحشائش مرّةً أخرى.

يجب تلميع الآنية الفضيّة.

والآن كرّر كل هذا...

ومع ذلك، أريد مرّةً واحدةً فقط أثبت فيها أنني أعرف شيئاً أفضل، أنني أستطيع أن أفعل ما هو أكثر من مجرد إزالة البُقَع والأوساخ والعيوب. من الممكن أن يكون العالم مكاناً أفضل كثيراً مما نتقبّله، وكل ما علينا هو أن نسأل.

لا، حقاً، هلم، سلني...

كيف تأكل الخرشوف؟

كيف تأكل الهليون؟

سلني...

كيف تأكل سرطان البحر؟

يبدو سرطان البحر في القدر ميثاً بما فيه الكفاية، فأرفع قطعة منه وأقول للهاتف إنه ينبغي أولاً كسر المخليين الأماميين الكبيرين. سأضع القطع الأخرى في الثلاجة كي يتمرن من أعمل لديهم على أكلها في ما بعد.

أطلب من الهاتف أن يدوّن ملاحظاتي، وأكسر المخليين وأبدأ في التهام اللحم داخلهما.

ثم عليك أن تلوي قطعة سرطان البحر إلى الخلف حتى ينكسر الذيل عن الجسم، واكسر طرف الذيل -اسمه التلسون- واستخدم الشوكة الخاصة بالأطعمة البحريّة لتُخْرِج لحم الذيل. أزل العرق المعوي الذي يمتد بطول الذيل، وإذا كان العرق نظيفاً فإن هذا يعني أن السرطان لم يأكل شيئاً منذ فترة. العرق السميك الأسود طازج ويكون مليئاً بالفضلات.

أكل لحم الذيل.

أقول للهاتف بفم مليء إن شوكة الأطعمة البحريّة هي الشوكة الصغيرة ذات الأسنان الثلاث.

ثم عليك أن تزيل غلاف الظهر -الذئبل- عن الجسم، وتأكل الغدّة

الهضمية الخضراء التي يُطلقون عليها اسم تومالي. كُل الدم المليء
بالنحاس الذي يتجمد في صورة مادة بيضاء دبقة، وكُل البيض غير
الناضج ذي اللون المرجاني.
كل هذا أكله.

لدى سرطان البحر جهاز دوري مفتوح يجعل الدم يتدفق في كُل
مكان داخل الجسم غاسلاً الأعضاء المختلفة.

أقول للهاتف إن الرئتين إسفنجيتين قاسيتين لكن يمكن أكلهما،
وألحق أصابعي. المعدة هي ذلك الكيس القاسي الذي يبدو كالأسنان
وراء الرأس مباشرة. لا تأكل المعدة.

أفتش داخل الجسم وأمتص قطع اللحم الصغيرة من سيقان المشي،
وأقضم الخياشيم الصغيرة، وأهمل الكتل العصبية في المخ.
وأتوقف...

ما أجده مستحيل ولا يتفق معي أبداً...

ويصرخ الهاتف:

- «حسن، والآن ماذا؟ أهذا كل شيء؟ هل تبقى شيء يؤكل؟».

لا يمكن أن يحدث هذا، لأن الساعة تكاد تبلغ الثالثة طبقاً لدتر
التنظيم اليومي. من المفترض أن أكون بالخارج الآن أصنع حفراً في
الحديقة، وفي الرابعة من المفترض أن أعيد تنسيق أحواض الزهور. في
الخامسة والنصف سأرفع زهور السالفيا وأضع مكانها زهور السوسن
الهولندية والورد البلدي وزهور أنف العجل والسراخس، ثم أغطي
الحُفر التي صنعتها.

أين ذهب الوقت؟

يصرخ الهاتف:

- «ما الذي يحدث عندك؟ أجبنني! ماذا هناك؟».

أَتَفَقَّدُ جَدُولِي فَيَقُولُ إِنِّي سَعِيدٌ، إِنِّي مَنْتَجِحٌ، إِنِّي أَعْمَلُ بِجِدِّهِ. كُلُّ شَيْءٍ
سَلِيمٌ هُنَا بِالْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ. إِنِّي أَنْجِزُ كُلَّ الْمَطْلُوبِ مِنِّي.

يَصْرخُ الْهَاتِفُ:

- «مَاذَا نَفْعَلُ بَعْدَ هَذَا؟».

الْيَوْمَ وَاحِدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي لَا تُشْرِقُ فِيهَا الشَّمْسُ لِسَبَبٍ إِلَّا
إِهَانَتِكَ.

يَصْرخُ الْهَاتِفُ:

- «هَلْ تَبَقَّى شَيْءٌ؟».

وَأَتَجَاهَلُ الْهَاتِفَ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَبَقَّ شَيْءٌ تَقْرِيبًا.

وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ مَجْرَدَ خُدْعَةٍ يَمَارِسُهَا الضُّوءُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ
النَّهَارِ، لَكِنِّي أَكْتَشِفُ أَنِّي التَّهَمْتُ قِطْعَةَ سِرْطَانِ الْبَحْرِ كُلَّهَا تَقْرِيبًا، قَبْلَ
أَنِ الْأَحْظَ أَنَّ الْقَلْبَ كَانَ لَا يَزَالُ يَنْبُضُ.

طَبَقًا لدفتر التنظيم اليومي، فإنني أحاول الحفاظ على توازني. أقف أعلى السُّلم بذراعين مليئتين بالزهور الصناعيّة: ورد بلدي، زهور اللؤلؤ، أعشاب العائق، زهور الستوك. أحاول ألا أسقط وقد التوت أصابع قدمي في الحذاء. أجمع باقة أخرى من البولستر، وفي جيب قميصي نعي مطوي من الأسبوع الماضي.

الرجل الذي قتلته الأسبوع الماضي موجود في مكانٍ ما هنا، أو ما تبقى منه على الأقل. أقصد الرجل ذا البندقية تحت ذقنه، الجالس وحده في شقته يسألني على الهاتف أن أعطيه سببًا واحدًا يمنعه من صَغَط الزناد. أثق بأنني سأجده في مكانٍ ما هنا. اسمه تر فور هوليس.

رحل لكنه لم يُنس...

يرقد في سلام...

الذي سلب من هذه الحياة...

أو أنني سأتركه يجдени هو، فهذا ما آمله دائمًا.

أقف أعلى السُّلم، فلا بُد أنني على ارتفاع عشرين أو خمسة وعشرين أو ثلاثين قدمًا من أرضية رواق الدفن، أتظاهر بتدوين أشياء عن زهرة صناعية أخرى ونظّارتِي تُشعِرني بالحكّة في طرف أنفي. يترك قلبي كلماتٍ في مفكرتي. أكتب أن العينة رقم 786 هي وردة حمراء عمرها مئة عام تقريبًا.

ما أمله أن يكون كل من عداي هنا موتى.

جزء من عملي أن أقوم بتنسيق الزهور الطازجة حول المنزل الذي أعمل فيه، ويجب أن أقطف الزهور من الحديقة التي من المفترض أن أعتني بها.

الذي يجدر بك أن تفهمه أنني لست غولاً.

بتلات الوردة وكأسها (السبلات) مصنوعة من السليلويد الأحمر. ظهر السليلويد للمرّة الأولى في عام 1863، وهو أقل أنواع البلاستيك ثباتاً. أكتب في المفكرة أن أوراق الوردة من السليلويد الملون بالأخضر. أكف عن الكتابة وأرسل نظراتي من فوق النظارة.

بعيداً، هناك عند طرف الرواق القصي، أراها طيفاً أسود صغيراً يستند إلى نافذة زجاجية ملوثة ضخمة تحمل رسماً لمكان ما، قد يكون سدوم أو عمورة أو معبد سليمان، والنيران تُدمره كما ورد في العهد القديم. لوحة نارية صامته تلتوي فيها أسنة الذهب الأحمر والبرتقالي حول قطع الحجارة والأعمدة والأفاريز المتساقطة، ومن قلب هذا يخرج شبح في فستان أسود صغير يكبر حجمه كلما دنا مني.

ما أمله أن تكون ميّنة. أمنيّتي السريّة الآن أن أعيش لحظات من الغرام مع هذه الفتاة الميّنة، أو فتاة ميّنة، أي فتاة ميّنة، فلا تصفني إذن بأنني يصعب إرضائي.

الكذبة التي أخبر الناس بها هي أنني أجري بحثاً عن تطوّر الزهور الصناعيّة خلال الثورة الصناعيّة، ومن المفترض أن يكون كل هذا جزءاً من أطروحتي التي تحمل عنوان (الطبيعة والتصميم 456). أما سبب كوني أكبر سنّاً بكثير من أن أكون طالباً فهو أنني -في الحقيقة- طالب دراسات عليا.

شعر الفتاة أحمر طويل كشعور النساء هذه الأيام إن كن من أتباع ديانة أرثوذكسية فقط. من موقعي العالي على السُّلم تجعلني ساقا الفتاة وذراعاها الصغيرتان الليتتان أنظر مرّة أخرى وأخرى وأتساءل إن كان من الممكن أن يحدث أن أشتهي الأطفال ذات يوم. على الرغم من أنها ليست أقدم عينة في دراستي، فإن هذه الوردة التي أتظاهر بفحصها هي الأكثر هشاشة. العضو الجنسي الأنثوي (المِدَقَّة)، بما في ذلك الميسم والمتاع والمبيض، مصنوع من نوع من الفحم الأسود، والعضو الجنسي الذكري (السِّدَاة) يتضمَّن مستودعَ لقاح من السلك يعلوه مِثْبَر دقيق من الزجاج.

جزءٌ من عملي أن أزرع الزهور الطازجة في الحديقة، لكن لا يمكنني -لا يمكنني، وأكرّر- أن أزرع أيّ أعشابٍ من التي تعرفها.

الكذبة التي أخبر نفسي بها هي أنني هنا لجمع الزهور الطازجة للمنزل من الداخل، أما الزهور الصناعية فأسرقها لأغرسها في الحديقة. من أعمل لديهم لا ينظرون إلى حديقتهم إلا من الداخل، وهكذا أغطي التربة العارية بالخضرة الصناعية، ثم أغرس فيها زهور الموسم الصناعية بدورها. المنظر جميل حقًا، بشرط ألا تنظر عن كثبٍ أكثر من اللازم.

تبدو الزهور حقيقية جدًا، طبيعية جدًا، موحية بالسلام جدًا.

أفضل مكان للعثور على بصيلات الزهور التي سأجعلها تفتّح قبل الأوان فيما بعد هو مقلب القمامة الواقع وراء الضريح. هناك ستجدها ملقاة؛ أصصًا بلاستيكية من البصيلات الساكنة، زهور ياقوتية وتوليب، زنبق من مختلف الأنواع، نرجس بري وزعفران، كلها جاهزة لأن تأخذها معك وتعيدها إلى الحياة.

تقع العيّنة رقم 786، أكتب، في مزهرية السرداب رقم 2387 في الصفّ الأعلى من السرايب الواقع في الرواق الجنوبي الأدنى في الطابق السابع من جناح السكينة. هذا الموقع، أكتب، على ارتفاع ثلاثين قدمًا من أرضية

الرواق قد يكون السبب في الحالة شبه المثاليّة التي أجد هذه الوردية عليها، حيث توجد في واحدٍ من أقدم السراييب في واحدٍ من الأجنحة الأصليّة التي سُيِّدت في ضريح كولومبيا التذكاري.

أكتب هذا، ثم أسرق الوردية...

ما أحكيه لمن يروني هنا قصةً أخرى.

القِصَّة الرسميّة لسبب وجودي هنا هي أن الضَّريح يحوي أفضل النماذج للزهور الصناعيّة التي يعود عُمرها إلى منتصف القرن التاسع عشر. كل جناح من الأجنحة الستة الرئيصة للضَّريح -جناح السَّكينة، جناح القنّاعة، جناح الخلود، جناح الصَّفاء، جناح التناغم، جناح الأمل الجديد- يتراوح ارتفاعه بين خمسة وثمانية عشر طابِقًا، ويبلغ سُمك الجدران التي تُشبه أقراص العسل في تصميمها تسعة أقدام، بحيث تتسع حتى للتواييت الطويلة التي تدخلها بالطول. لا يدور الهواء في الأروقة التي تمتد أميالًا، ولا يأتي الزائرون إلا لمامًا، وعادةً ما تكون الزيارة مختصرة. متوسط درجة الحرارة والرطوبة منخفض وثابت على مدار العام.

العينات الأقدم مستمّدة من ثقافة لغة الزهور الشيكوتورية، فحسب الكتاب الكلاسيكي المنشور سنة 1840 (لغة الزهور) لمدام شارلوت دو لا تور، فإن زهور الليلك الأرجوانيّة ترمز إلى الموت، بينما ترمز زهور الليلك البيضاء من جنس السيرنچا إلى اكتشاف الحب للمرّة الأولى.

وترمز زهور الغرنوقي إلى كرامة المَحْتَد، والحوذان إلى الطفولة.

ولأن معظم الزهور الصناعيّة يُصنَع لتزيين القَبّعات، فإن الضَّريح هو أفضل مكانٍ يمكنك أن تجد فيه العينات التي لا تزال موجودة.

هذا ما أقوله للناس، نُسختي الرسميّة من الحقيقة.

إذا رأني الناس خلال النهار بمفكرتي وقلمي هنا، فإنني غالبًا ما أكون

على قَمَّة السَّلْم أسرق باقة من أزهار الثالوث تركها أحدهم عند سرداب ما هنا بالأعلى. عندها أضرم يدي حول فمي وأهمس أنني أحتاجها لأحد دروس الكَلْيَّة، أقول إنني أجري دراسة.

أتواجد هنا أحيانًا في ساعة متأخرة من المساء عندما يرحل الجميع. أجول في المكان وحدي بعد منتصف الليل وأحلم أن أجد عند المنعطف التالي سردابًا مفتوحًا به جُثَّة متحللة. الجلد ذابل على الوجه، والبذلة التي ترتديها متيبسة وقد لَطَّختها السوائل الخارجة من الجسد الميت. سوف أجد هذه الجثة في رواقٍ مُظلم صامت اللهم إلا من أزيز مصباح فلورسنت وحيد يمنحني بضع ومضاتٍ أخيرة من الضوء قبل أن يتركني في العتمة إلى الأبد مع الوحش الميت.

لا بُد أن تكون عينا الجثة متداعيتين داخل محجريهما، وأريدها أن تتعثر في مشيتها الكفيفة إذ تتحسس الجدران الرخامية الباردة، وتلوثها بالمعجون العفن الذي يكشف عن عظام كل يد. سيكون فيها المتعب مفعورًا، وأنفها عبارة عن حُفرتين مظلمتين، والقميص الذي ترتديه مرخيًا عن عظم الترقوة المكشوف.

أبحث عن الأسماء التي أعرفها من النعايا. ها هنا محفورة أسماء من أخذوا بنصيحتي إلى الأبد.

هلم، اقتل نفسك...

الابن الحبيب، الابنة الرقيقة، الصديق المُخلص.

اجذب الزناد...

صاحب الروح المُمجدة.

ها أنا ذا. إنه وقت دفع الثمن. هيا، تعال ونل مني، أتحدّك.

أريد أن يطاردني الزومبي أكلة لحوم البشر.

أريد أن أمر باللوح الرخامي الذي يُغطّي أحد السرايب وأسمع

أصوات الخدش والحفر من الداخل. في الليل أضغط أذني على الرخام البارد وأصغي منتظرًا. هذا هو السبب الحقيقي لوجودي هنا.

العينة رقم 786، أكتب في المفكرة، لها ساق مصنوعة من الأسلاك المستخدمة في القبعات والمغطاة بالقطن المصبوغ بالأخضر.

ليست المسألة أنني مجنون أو ما شابه، وإنما أريد فقط دليلًا على أن الموت ليس النهاية. حتى إذا اختطفني الزومبي المجانين في رواقٍ مظلم ذات ليلة، حتى إذا مزقوني إربًا، فعلى الأقل لن تكون هذه هي النهاية المطلقة، وفي هذا سأجد شيئًا من الراحة. سيكون لديّ دليل على أن هناك حياة من نوع ما بعد الموت، وعندها سأموت سعيدًا راضيًا. وهكذا أنتظر، أراقب، أصغي، أضع أذني على كل سردابٍ بارد.

أكتب: لا نشاط في السرداب رقم 7896.

لا نشاط في السرداب رقم 7897.

لا نشاط في السرداب رقم 7898.

أكتب أن العينة رقم 45 عبارة عن وردة مصنوعة من الباكيليت الأبيض، وهو أقدم أنواع البلاستيك الصناعي. تم اختراع الباكيليت سنة 1907 عندما قام أحد الكيميائيين بتسخين مزيج من الفينول والفورمالدهايد. في لغة ثقافة الزهور الفيكتورية، ترمز الوردة البيضاء إلى الصمت.

اليوم الذي ألتقي فيه بالفتاة هو أفضل يوم لتوثيق الزهور الجديدة. إنه اليوم التالي لعطلة نهاية أسبوع عيد الذكرى، عندما ترحل الحشود ولا تعود إلا بعد عام كامل. كان الجميع قد رحلوا عندما رأيت للمرة الأولى الفتاة التي تمنيت أن تكون ميّنة.

في اليوم التالي لعيد الذكرى يأتي عامل النظافة دافعًا أمامه سلّة القمامة ويجمع فيها الزهور الطازجة كلها. أدنى درجة للزهور الطازجة هي تلك التي يُطلق عليها باعة الزهور اسم زهور الجنازات. سَبَقَ وأن

تقاطعت خُطانا، عامل النظافة وأنا من قبل، لكننا لم نتكلم قط. كان قد ضبطني ذات مرّة وأنا أضغط أذني على واحدٍ من السرايب، وسلط دائرة الضوء الخارجة من كشّافه عليّ، لكنه حتى حينها أشاح برأسه بعيداً. كنت أدقُّ بكعب فردة حذائي على السرداب، وبشفرة مورس أقول: مرحباً. هل يسمعي أحد؟

مشكلة زهور الجنازات أنها لا تدوم إلا ليوم واحدٍ فقط، ثم تبدأ في التعفن في اليوم التالي. ثم إنك، إذ ترى الزهور المعلقة في المزهريات البرونزية المتصلة بكل سرداب وقد نال منها السواد والذبول وبدأ ماؤها التّن في التساقط على الأرض، تجد أنه من السهل أن تتخيّل ما يحدث الآن لكل هؤلاء الأحباء داخل السرايب نفسها.

في اليوم التالي لعيد الذّكري يتخلّص عامل النظافة من الزهور الذابلة في الخارج، وما يتبقّى عبارة عن مجموعةٍ جديدة من أزهار الفاوانيا الصناعيّة ذات اللون الماجنتا الداكن والمنقوعة في الصبغة كي تبدو أوراقها الحريريّة أقرب إلى الأسود. هذا العام هناك زهور أوركيد بلاستيكيّة ذات غصونٍ مُزهرّة معطرّة.

يتضمّن أقدم العيّنات القديمة زهوراً مصنوعة من الشيفون والأورجانزا والمخمل والقطيفة والجورجيت والكريب دو شان والساتان. تتكوّم بين ذراعيّ زهور أنف العجل والبازلاء الحلوة والسالفيا والخطمي والفوروكلوك وأذن الفأر. زهور هذا العام زائفة جميلة، وإن كانت قويّة شائكة، مرشوشة بقطراتٍ صافية من الندى البلاستيكي المصنوع من البوليسترين.

تأتي هذه الفتاة متأخرة يوماً ومعها باقة لا يُميّزها شيء من التبوليب وشقائق النعمان المصنوعة من البوليستر. تلك الأخيرة هي الرمز الفيكتوري الكلاسيكي للحُزن والموت والمرض والهجران، ومن فوق

السَّلْم في الطرف الأقصى للرواق الغربي في الطابق السادس من جناح القنّاعة أدوّن الملاحظات لبحثي الميداني وأراقبها.

الزهرة التي أمامي هي العينة رقم 237، زهرة أقحوان مصنوعة من الرايون من حقبة ما بعد الحرب، وأقول حقبة ما بعد الحرب لأنه لم يكن هناك حرير أو رايون أو سِلْك يكفي لصناعة الزهور خلال الحرب العالمية الثانية. زهور زمن الحرب الصناعيّة تكون مصنوعة من ورق الكريپ أو ورق الأرز، لكن حتى في بيئة ضريح كولومبيا التذكاري الجافّة ودرجة الحرارة التي لا تتجاوز الخمسين فهرنهايت، صارت هذه في حالة متداعية وعلى وشك التفتُّت إلى تراب.

أمامي السرداب رقم 678. ترفور هوليس، توفّي في الرابعة والعشرين من العمر تاركًا أباه وأمه وأخته. الفقيد الغالي، الابن الحبيب، في الذكرى الخالدة. لقد وجدته، ضحيتي الأخيرة.

يقع السرداب رقم 678 في صفٍّ مرتفع من جدار الرواق، والطريقة الوحيدة للاقتراب منه هي أن تستخدم سُلَّمًا نقلًا أو رافعة التوايت. لكن حتى مع وقوفي على قِمّة السَّلْم، بعد درجتين أعلى من الوضع الآمن، يمكنني أن أرى أن ثَمّة شيئًا مختلفًا في الفتاة، شيئًا أوروبي الطابع يوحي بسوء التغذية. تعرف أن حصّتك اليوميّة من الطعام والتعرّض لضوء الشمس ليست ما يجعل المرء جميلًا بمقاييس شمال أمريكا. ثَمّة شيء يُذكرك بالشَّمع في الطريقة التي تخرج بها ذراعاها وساقاها من فتحات فستانها. بيضاء بضّة. يمكنك أن تتخيّل أنها تعيش وراء سورٍ من الأسلاك الشائكة. بداخلي يتنامى الأمل في أن تكون ميّنة. هكذا أشعر وأنا أشاهد في المنزل الأفلام القديمة التي يعود فيها الزومبي ومصّاصو الدماء من القبر جوعى للحمّ البشري. بداخلي الأمل اليائس نفسه الذي يتتابني وأنا أشاهد الموتى الأحياء النّهمين للحمّ البشر، ولسان حالي أن أرجوكم، أرجوكم، أرجوكم... إنني هنا، فتعالوا.

الرغبة المُلحَّة بداخلي أن أجد فتاة مِيتة تتشبَّث بي، أن أسند رأسي إلى صدرها ولا أسمع شيئاً. مجرد تخيُّل التهام الزومبي لي أقوى من فكرة أنني لست إلا لحمًا ودمًا وعظمًا وجِلدًا فقط. فليكن شيطانًا أو ملاكًا أو روحًا شريرة، أريد فقط أن يُفصِّح أحدهم عن نفسه. فليكن غولًا أو شبحًا أو وحشًا طويل الساقين، أريد فقط من يُمسِك يدي.

من هنا، عند الصَّفِّ السادس من السرايب، يبدو فستانها مكويًا بلا عناية، وتبدو ساقاها وذراعاها البيضاوين كما لو أنها مغطَّاة بنوع جديد منخفض الجودة من الجلد البشري. حتى من هذا الارتفاع يبدو وجهها كما لو أنه خرج من خطِّ إنتاج.

نشيد الإنشاد 7:1: «مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكَ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكَ مِثْلُ الْحَلِيِّ..».

حتى والشمس تُغطِّي كلَّ شيءٍ بالخارج، فإن كلَّ شيءٍ بالداخل بارد الملمس. يدخل الضوء عبر الزجاج الملون، والرائحة رائحة المطر الذي تخلل الجدران الإسمنتيَّة، والشعور السائد هو أن كلَّ ما حولك مصنوع من الرخام المصقول، ومن مكانٍ ما تسمع صوت قطرةٍ من المطر تنزلق على قضيبٍ حديدي قديم، قطرةٍ مطر تنزلق في المناور المتصدِّعة، قطرةٍ مطر تنزلق داخل السرايب الخاوية.

أشكالٌ من الغبار والوبر والشَّعر تدور في الهواء على الأرض. يُطلقون عليها اسم الفضلات الشبحيَّة.

ترفع الفتاة ناظرها إلى أعلى ولا بُد أنها تراني. ثم إنها تدنو بلا صوتٍ على الأرضيَّة الرخاميَّة بحذاءها الأسود الخفيف.

يمكنك أن تضل الطريق بسهولةٍ هنا، فالأروقة تقطعها أروقةٍ أخرى عند زوايا غريبة، وعثورك على السرداب الذي تبحث عنه يتطلَّب خريطة، والردهات تنفتح على ردهاتٍ أخرى طويلة للغاية تجعل احتمال أن

يتضح أن الأريكة المنقوشة أو التمثال الرخامي الذي تلمحه عند الطرف الأقصى هو شيء آخر بالكامل ممكناً. ألوان الرخام الناعمة المتكررة الهدف منها ألا تشعر بالهلع عندما تצל الطريق.

تقترب الفتاة من السلم وأنا محاصر على القمة في منتصف الطريق بينها وبين جنة الملائكة المرسومة على السقف، ودار السرايب الرخامي المنقوش يعكس صورتي بالكامل بين الكلمات المحفورة على كل قبر.

بُني هذا الحجر على شرف فلان.

بُني في هذه البقعة.

بُني تعبيراً عن المحبة والاحترام.

أنا كل المذكور أعلاه.

أصابعي الباردة منقبضة حول القلم. العينة رقم 98 عبارة عن كاميليا وردية مصنوعة من الحرير الصيني، وبدل اللون الوردي الغني فيها على أن هذا الحرير المصقول تم غليه في الماء والصابون لإزالة كل ما به من مادة السريسين. الساق الأساسية مصنوعة من السلك المغموس في لدائن البوليبروبيلين التي تميز الحقة التي صنعت فيها. من المفترض أن الكاميليا ترمز إلى التفوق الذي لا يُضاهى.

يرفع القناع الدائري الذي يُشكل وجه الفتاة ناظره إليّ من عند أسفل السلم، ولا أدري كيف أعرف إن كانت حية أم شبحاً. إن فستانها أكبر من أن يجعلني ألاحظ حركة صدرها، والهواء أكثر سخونة من أن تتضح أنفاسها.

نشيد الإنشاد 7:2: «سُرَّتْكَ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لَا يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْرُوجٌ. بَطْنُكَ صُبْرَةٌ حِنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ».

كثيراً ما يربط الكتاب المقدس بين الطعام والغزل.

في العيئة رقم 136 طُلِّيت قواقع صغيرة باللون الوردى كي تبدو كالبراعم، وفي العيئة رقم 78 صُنِعَ النرجس البري من الباكليت.

أريدها أن تعانقني بذراعيها المبتتين الباردتين وتقول لي إن الحياة بلا نهاية مُطلَّقة، إن حياتي ليست سمادًا مصنوعًا من زهور الجنازات سيتعفن غدًا ولا يتبقى مني إلا نعيي في صحيفة.

الشعور الذي تمنحك إياه كل هذه الأميال من الجدران الرخامية ومن بداخلها أنك في مبنى مزدحم يعج بالناس، لكنك وحيد في الآن نفسه. قد يمر عام كامل بين سؤالها وإجابتي.

يخرج البخار مع أنفاسي ليُغطِّي التاريخين المحفورين اللذين يحصران حياة ترفور هوليس القصيرة والعبارة المحفورة التي تقول: «بالنسبة للعالم كان فاشلاً، لكنه بالنسبة لي كان العالم».

ترفور هوليس، افعل أسوأ ما لديك. أتحدِّثك أن تعود ناشدًا الانتقام. تنظر الفتاة إليَّ وتبتسم وقد أَلقت رأسها إلى الخلف تحتي، ومع الرخام الرمادي في كلِّ مكانٍ حولنا يتقد شعرها الأحمر، وتقول لي: - «أرى أنك أحضرت زهورًا».

تتحرك ذراعي فتسقط بعض زهور البنفسج والربيع والداليا حولها. وتلتقط واحدة من زهور الكوبية وتقول:

- «لم يأت أحد لزيارته منذ الجنازة».

نشيد الإنشاد 7:3: «كُنْدِيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوَأْمِي ظَبِيَّةٌ».

يبدو فمها ذو الشفتين شديديتي الاحمرار مشقوقًا بسكين، وتقول:

- «مرحبًا، أنا فرتيليتي».

وترفع الزهرة وتحملها في الهواء نحوي كأنني لست على ارتفاعٍ مستحيلٍ منها، وتسالني:

- «من أين كنت تعرف أخي ترفور إذن؟».

اسمها فرتيليتي هوليس... فرتيليتي... الخصوبة. هذا هو اسمها دون مزاح، وهي ما أريد أن أتكلّم عنه غداً مع موظفة التحريّات الاجتماعيّة. جزءٌ من شروط المتابعة أن ألتقي بموظفة التحريّات الاجتماعيّة مرّة في الأسبوع لمدة ساعة كاملة، وفي المقابل أستمر في الحصول على كفالة السكّن، فالبرنامج يجعلني مؤهلاً لتلقّي معونة سكّن ضمن أشياء أخرى: جبن وحليب بودرة وعسل وزبد مجاني من الحكومة، وتوظيف مجاني كذلك. هذه بعض المزايا التي يتضمّنها البرنامج الفدرالي للحفاظ على النّاجين. شقّتي الصغيرة والكميات الوفيرة من الجبن، ووظيفتي الصغيرة التي تمنحني كل ما أقدر عليه من لحم بتلو أهرّبه في الحافلة. إن ما أجنّيه بالكاد يكفي لتغطية النّفقات.

لا يمنحك البرنامج الكثير من الخيارات والمزايا، ولا يمكنك أن تركز سيّارتك في المساحة المخصّصة لذوي الاحتياجات الخاصة مثلاً، لكنك تحصل على موظفة من مكتب التحريّات الاجتماعيّة لمدة ساعة كل أسبوع. كل ثلاثاء تأتي إلى المنزل الذي أعمل فيه بسيّارتها ذات اللون الحكومي المحايد، حاملة معها سيماء التعاطف الرسمي وملفات الحالة الخاصّة بي، وعدّاد الأميال الذي يحسب المسافة بين كل زيارة وأخرى لعملائها. هذا الأسبوع لديها أربعة وعشرون عميلاً، والأسبوع الماضي كانوا ستة وعشرين.

كل ثلاثاء تأتي لتسمعي.

كل أسبوع أسألها: كم تبقى من النّاجين في البلاد؟

إنها في المطبخ ترشف الداكيري وتلتهم رقائق التورتيا، وقد خلعت حذاءها ووضعت حقيبتها الكبيرة المليئة بملفّات العملاء على طاولة المطبخ بينما، ومن حافظة الأوراق تُخرج استثمارات العملاء الأسبوعيّة وتُقلّب فيها كي تضع استثمارتي على الوجه. تُمرّر طرف إصبعها على صفّ من الأرقام، ثم تقول:

- «مئة وخمسة وسبعون ناجياً آخر تبقّوا في البلاد الآن».

تُدوّن تاريخ اليوم وتنظر في ساعتها لتُدوّن الوقت بالتحديد في استمارة المتابعة الأسبوعيّة الخاصّة بي، ثم تُناولني الاستمارة لأقرأ المكتوب فيها وأضع توقعي في نهايتها. الغرض من هذا إثبات أنها كانت هنا، أننا تكلمنا وتناقشنا. تُناولني قلمًا. تريد أن تُثبت أننا تبادلنا الحديث بقلبين مفتوحين. اسمعيني، عالجي، أنقذيني، صدّقيني. هكذا لن يكون خطؤها أن أجز عنقي بعد أن تغادر.

تسألني وأنا أذيل الاستمارة بتوقعي:

- «هل كنت تعرف المرأة التي تسكن في نهاية الشارع وتعمل في ذلك المنزل ذي اللونين الرمادي والأسود؟».

لا. نعم. أعني أنني أعرف عمن تتكلم.

- «امرأة كبيرة الحجم ذات شعر أشقر طويل مضفرّ، تبدو كالألمانيات؟ حسن، لقد رحلت منذ يومين. سننّت نفسها بحبل».

تنظر موظفة التحريّات الاجتماعيّة إلى أظفارها وقد ضمّت أصابعها على راحتيها أولاً ثم وهي مفرودة. تعود إلى حقيبتها الكبيرة وتُخرج قنينة صغيرة من طلاء الأظفار الأحمر الزاهي وتواصل:

- «فلتذهب إلى حيث أَلقت. لم أحبها قط على كلّ حال».

أناولها الاستمارة وأسألها:

- «هل هناك غيرها؟».

تجيب في اقتضاب:

- «بستاني ما».

وتبدأ في رُجّ زجاجة الأحمر الزاهي ذات الغطاء الأبيض الطويل بالقرب من أذنها وباليد الأخرى تُقلّب بين الاستمارات، ثم ترفع واحدة لي لأرى استمارة متابعَة هذا الأسبوع الخاصة بالعميل رقم 134 وقد ختمت بكلمة (خارج البرنامج) الحمراء الكبيرة، ثم التاريخ. الختم من مخلفات برنامج قديم للمرضى المقيمين بالمستشفيات. في برامج أخرى تعني كلمة (خارج البرنامج) أن العميل تم إطلاق سراحه، لكنها تعني الآن أن العميل ميّت، لكن لا أحد يريد أن يطلب تصميم ختم خاص يحمل كلمة (ميت)، أليس كذلك؟ كانت موظفة التحريّات الاجتماعيّة قد أخبرتني بهذا منذ بضع سنوات، عندما بدأ معدّل حالات الانتحار في الارتفاع مرّة أخرى.

من الترابِ وإلى الترابِ نعود. هكذا يتم إعادة تدوير كل شيء.

تقول وهي تحاول خلع غطاء الزجاجة بيديها مرارًا وتكرارًا حتى تبيّض مفاصل أصابعها:

- «هذا البستاني شرب مبيدًا ما للحشائش الضارّة. الحقيقة أن هؤلاء القوم يفعلون كل ما بوسعهم لجعلي أبدو غير كفءٍ في عملي».

تقرع الطاولة بالزجاجة وتحاول أن تفتحها مرّة أخرى، ثم تناولني إياها قائلة:

- «خذ. هلا فتحتها لي؟».

فأفتحها دون عناء وأعيدها لها.

- «هل كنت تعرف هذين الاثنين إذن؟».

لا، لم أكن أعرفهما. كنت أعرف من هما، لكنني لا أذكرهما من قبل

أثناء نشأتي في مستعمرة الكنيسة، وإن كنت اعتدت رؤيتهما في الحي خلال السنوات القليلة الماضية. كانا لا يزالان يرتديان ملابس الكنيسة النظامية القديمة: الرجل بالسروال الفضفاض ذي الحمالتين، والقميص طويل الكمين الذي أغلق أزراره كلها حتى في أكثر أيام الصيف قيظاً؛ والمرأة بالفستان الواسع ذي اللون الباهت الذي أذكر أن نساء الكنيسة كنَّ يرتدينه، والبونيه على رأسها. كان الرجل يرتدي دائماً القُبعة ذات الحافة الواسعة؛ في الصيف تكون من القش، وفي الشتاء تكون من اللباد الأسود.

نعم، كنت أراهما باستمرار، فمن الصعب أن يفوت منظرهما عليّ. تقول موظفة التحريّات الاجتماعية وهي تدهن الطلاء الأحمر على أظفارها:

- «هل كنت تشعر بالاستياء عندما تراهم؟ هل كانت رؤية أناس من كنيستك القديمة تصيبك بالحزن؟ هل كنت تبكي؟ هل كانت رؤيتك لهم وهم يرتدون الملابس التي اعتدت عليها عندما كنت لا تزال في المستعمرة تثير فيك الغضب ربما؟».

الهاتف يرن...

- «هل تجعلك تتذكّر والديك؟».

الهاتف يرن...

- «هل تُشعرك بالغضب من ما حدث لعائلتك؟».

الهاتف يرن...

- «هل تذكر كيف كان كل شيء قبل أن يبدأ الانتحار؟».

الهاتف يرن، وتقول موظفة التحريّات الاجتماعية:

- «هل سترُد عليّ الهاتف؟».

بعد قليل. عليّ أولاً تفقّد دفتر التنظيم اليومي. أرفع لها الكتاب

السّمين لترى قائمة الأشياء التي من المفترض أن أنجزها اليوم. من أعمل لديهم يحاولون أن يتصلوا بي ليُمسكوا عليّ زلّة، لكن حاشا لله أن أكون داخل المنزل للردّ على الهاتف، بينما المفروض أن أكون بالخارج أنظّف حوض السباحة.

الهاتف يرن...

طبّقاً للدفتري، من المفترض أن أنظّف ستائر غرفة الضيوف الزرقاء -أيّا كان معنى هذا- بالبخار.

تقضم موظّفة التحريّات الاجتماعيّة رقائق التورتيا بصوتٍ مرتفع، فأشير لها بالتزام الهدوء.

يرن الهاتف وأرد، فيصرخ:

- «كلّمنا عن مأدبة الليلة».

أقول أن اهدأ، الأمر ليس صعباً على الإطلاق. هناك سلمون بلا عظام ونوعٌ ما من الجَزَر الصغير والهندباء المدمّسة.

- «وماذا تكون هذه؟».

نوعٌ من الأوراق الخضراء المسوّدة، أقول، يؤكل بالشوكة الصغيرة الموضوعّة أقصى اليسار وقد وجّهت أسنانها إلى أسفل. أقول إنني أعرف أنكم تعرفون الهندباء المدمّسة. لقد تناولتموها في حفل الكريسماس العام الماضي. أنتم تحبون الهندباء المدمّسة. أقول للهاتف أن يأكل ثلاث قضماتٍ فقط. سوف تروق لك، أعدك.

يسألني الهاتف:

- «هل يمكنك إزالة البقع عن رفّ المدفأة؟».

طبّقاً للدفتري، ليس من المفترض أن أفعل هذا قبل الغد.

- «آه، نسينا».

نعم، نسيتم، فعلاً.

عالم وسخة!

يمكنك أن تعتبرني خادماً خصوصياً، لكنك ستكون مخطئاً.

- «هل من شيء آخر يجب أن نعرفه؟».

إنه عيد الأم.

- «سحقاً لهذا الخراء! هل أرسلت شيئاً؟ هل نحن في أمان؟».

بالطبع. لقد أرسلتُ لأمِّ كلِّ منهما باقة من الزهور، وسيرِسل بائع

الزهور الفاتورة إلى حسابهما.

- «وماذا كتبت في البطاقة؟».

كتبت: «إلى أُمِّي الحبيبة التي أجُلُّها وأذكرها دائماً. لم يسبق أن

حظي أي ابن/ ابنة بأُمِّ تحبه/ تحبها أكثر مني. مع خالص حبي». ثم

توقيع كلِّ منهما في مكانه. ملاحظة: «الزهور المجففة لا تقل جمالاً عن

الطازجة».

- «لا بأس. سيكفي هذا عاماً آخر. تذكَّر أن تروي جميع النباتات في

الشرفة. لقد كتبت هذا في دفترك».

ثم ينغلق الخط. لا يحتاج من أعمل لديهم لتذكيري بأيِّ شيء أبداً،

لكن لا بُدَّ أن تكون الكلمة الأخيرة لهم.

لكني لا أبالي.

تُحرِّك موظفة التحريّات الاجتماعية يديها أمام فمها وتنفخ في

أصابعها، وبين كلِّ نفخةٍ وأخرى تسألني:

- «ماذا عن عائلتك؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «أمك؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «هل تذكر أمك؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «هل تعتقد أنها شعرت بأي شيء؟».

وتنفخ في أصابعها...

- «أعني عندما قتلت نفسها».

مَتَّى 24:13: «وَلَكِنَّ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ».

طبقًا للدفر، من المفترض أن أنظف فلتر مكيف الهواء. من المفترض أن أمسح الغبار في غرفة المعيشة الخضراء وألّمع مقابض الأبواب النحاسية، بالإضافة إلى إرسال جميع الجرائد القديمة إلى إعادة التدوير. توشك ساعتنا الأسبوعية على الانتهاء، لكن لم تفتح لي بعد فرصة الكلام عن فرتيلتي هوليس، وكيف التقينا في الضريح ثم تجولنا لمدة ساعة، كلمتني فيها عن الحركات الفنية المختلفة في القرن العشرين وكيف تُصوّر المسيح على الصليب. في أقدم أجنحة الضريح، جناح القناعة، يبدو المسيح رومانسيًا كثيرًا ذا عينين أنثويتين كبيرتين رطبتين وأهداب طويلة. وفي الجناح المبني في الثلاثينات يشبه المؤمنين بالواقعية الاجتماعية، وقد نمت له عضلات ضخمة تليق بسوبر هيرو. وفي الجناح المبني في الأربعينات، جناح الصفاء، يبدو كتجميع تجريدي لعدد من الطائرات والمكعبات. مسيح الخمسينات مصنوع من خشب أشجار الفواكه المصقول، الذي يجعله يُشبه هيكلًا عظيمًا معاصرًا على الطراز الدانمركي، ومسيح الستينات مُجمّع من الخشب الطافي. لا يوجد جناح للسبعينات، وفي جناح الثمانينات ليس هناك مسيح. فقط الرخام الأخضر والنحاس الذي تجده في أي متجر متعدد الأقسام.

تكلّمت فرتيليتي عن الفنون ونحن نمشي في أجنحة القناعة والسكينة والسلام والبهجة والخلاص والنشوة والسحر.

قالت لي إن اسمها فرتيليتي هوليس، فقلت لها إنني تندر برانسن. هذا أقرب شيء لديّ لاسم حقيقي.

سوف تزور قبر أخيها مرّة كلّ أسبوعٍ من الآن فصاعدًا، ووعدتني أن تكون هناك الأربعاء المقبل.

تقول موظفة التحريّات الاجتماعية:

- «عشر سنواتٍ كاملة مرّت، فلم لا تريد أن تُفصح عن مشاعرك وتكلّم عن عائلتك الميتة؟».

أقول لها إنني آسف ويجب أن أعود إلى العمل.

أقول لها إن الساعة انتهت.

قبل أن يفوت الأوان، قبل أن نقترّب من سقوط الطائرة، أريد أن أشرح لك مسألة اسمي، تندر برانسن. إنه ليس اسمًا حقًا، بل أقرب إلى رُتبة، تمامًا كما يُطلق أحدهم في ثقافةٍ أخرى على طفل اسمًا هو في الوقت نفسه مرادفٍ لرتبةٍ أو لقبٍ ما، مثل الملازم سميث أو الأسقف جونز أو العمدة براون أو الدكتور مور أو المأمور بيترسن. الأسماء الوحيدة الموجودة في ثقافة العقيدة الكريديشية كانت أسماء العائلات، ويأتي اسم العائلة من الزوج، واسم العائلة هو وسيلة للاستحواذ على الممتلكات. باختصار، اسم العائلة هو تصنيف.

اسم عائلتي هو برانسن، ورُتبتي هي تندر برانسن، وهي الرتبة الأدنى. سألتني موظفة التحريات الاجتماعية ذات مرّة إن كان اسم العائلة يُشكّل لعنة ما للأبناء والبنات عندما يخرجون للعمل في العالم الخارجي. منذ بدأ الانتحار والناس في العالم الخارجي لديهم الصورة الفظيعة نفسها عن الثقافة الكريديشية التي كانت لدى أخي آدم عنهم.

قال لي أخي إن الناس في العالم الخارجي متهورون مُهملون كالحيوانات، يتناكحون مع الأغراب في الشوارع.

في هذه الأيام يسألني الناس في العالم الخارجي إن كانت هناك أسماء عائلاتٍ معينة تجعل أجورنا أعلى أو أدنى عندما نخرُج من المستعمرة للعمل، وعادةً ما يتمادى هؤلاء ليسألوني إن كان الآباء الكريديش يُضاجعون بناتهم كي يحملن منهم ويُنجبن المزيد من الأطفال، ومن ثم يزداد تدفق الأموال. يسألوني إن كان الأبناء الكريديش غير المسموح

لهم بالزواج مخصيين، ويقصدونني أنا بالطبع. يسألونني إن كان الأبناء الكريديش يَسْتَمَنون أو يمارسون الجنس مع حيوانات المزرعة أو اللواط مع بعضهم البعض، ويقصدونني أنا بالطبع.

هل فعلت هذا؟ هل كنت هكذا؟

يسألني الأعراب في وجهي إن كنت لا أزال لم أفقد عُذْرِيَّتِي بعد.
لا أدري، نسيت، أو أن الأمر كله ليس من شأنك.

للعلم، كان أخي آدم برانسن أكبر مني بثلاث دقائق وثلاثين ثانية فقط، لكن هذا قد يساوي سنوات كاملة بالمقاييس الكريديشية، إذ لا تعترف تعاليم الكنيسة الكريديشية بمن يُنهي السُّباق في المركز الثاني.

في كلِّ عائلةٍ يُطلَق اسم آدم على أول الأبناء، وكان من المفترض أن يرث آدم برانسن أرضنا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة. أما جميع الأبناء الذين يأتون بعد آدم فيُطلَق عليهم اسم تندر، وفي عائلة برانسن يجعلني هذا واحداً من ثمانية تندر برانسن آخرين على الأقل، أطلقهم أبواي في العالم الخارجي ليكونوا مُبشِّرين عاملين.

بالنسبة للبنات، فيُطلَق عليهن كلهن اسم بيدي.

الأولاد تندر هُم من يعتنون بكلِّ شيء، والبنات بيدي يأترن بأمرك. أعتقد أنه تخمين موفق أن الاسمين عبارة عن كلمتين عاميتين أو لفظيتين مستعارتين لاسمين تقليديين أطول، لكنني لا أعرفهما.

أعرف أنه إذا اختار كبار الكنيسة بيدي برانسن لتزوِّج آدم من عائلةٍ أخرى، فإن اسمها الأول -رُتبها بالأحرى- يصبح في هذه الحالة أوتر. هكذا عندما تزوِّج بيدي برانسن من آدم ماكستن، فإنها تصبح أوتر ماكستن. والدا هذا الأدم ماكستن كان اسمهما آدم وأوتر ماكستن أيضًا إلى أن يُنجب ابنهما وزوجته طفلًا، وحينها يصبح اسمهما الزوجين ماكستن الكبيرين. مع معظم الأزواج، ومع الوقت الذي يُنجب فيه الابن

الأول ابنه الأول، تكون الأم ماكستن الكبيرة قد ماتت غالبًا من فرط إنجابها طفلًا بعد طفلٍ بعد طفلٍ.

جميع كبار الكنيسة تقريبًا رجال. من الممكن أن يصبح الرجل واحدًا منهم مع بلوغه الخامسة والثلاثين إذا كان سريعًا بما يكفي.

لم يكن الأمر بهذا التعقيد. في الحقيقة، كان لا شيء مقارنةً بالعالم الخارجي وما فيه من أنظمة لتصنيف الآباء والأجداد وكبار الأجداد والأعمام والأخوال والعمّات والخالات وأبناء وبنات الأخ والأخت، حيث لكل من هؤلاء اسمه الأول الخاص. في الثقافة الكيريدشيّة يقول اسمك للجميع من تكون وإلى أين تنتمي. تندر أو بيدي، آدم أو أوثر، أو أحد كبار الكنيسة. يُخبرك الاسم عن حياتك القادمة وموقعك فيها بالضبط.

يسألني الناس إن كنت قد شعرت بالغضب أبدًا لأنني فقدت الحق في أن تكون لديّ ممتلكات أو أن أكوّن عائلة، فقط لأن أخي سبقني إلى الحياة بثلاث دقائق وثلاثين ثانية، وقد تعلّمت أن أجيهم بالإيجاب. هذا ما يريد أن يسمعه الناس في العالم الخارجي. لكن ذلك ليس صحيحًا، فلم أشعر بالغضب قط. إن هذا يشبه أن تشعر بالغضب لأنك وُلدت بأصابع أطول من أن تسمح لك بأن تكون عازف كمان، يشبه أن تتمنى لو كان أبوك أطول أو أنحف أو أقوى أو أسعد. ثمّة تفاصيل في الماضي لا تملك التحكم فيها. الحقيقة الثابتة أن آدم وُلد أولًا، ولربما كان يحسدني لأنني سأخرج وأرى العالم.

بينما كنت أحزم أمتعتي، كان آدم يتزوَّج من واحدةٍ من اللاتي اسمهن بيدي جليسن لم يلتقِ بها إلا لمامًا.

كان كبار الكنيسة كمجموعةٍ هم من يحتفظون بجداول وخرائط مفصّلة لكلّ آدم يتزوَّج أيّ بيدي من أيّ عائلة، كي لا يتزوَّج من يُطلقون عليهم في العالم الخارجي أبناء الأعمام والأخوال من بعضهم البعض

أبدًا. في كلِّ جيلٍ، عندما يبلغُ كلُّ آدم السابعة عشرة من عمره، يلتقي كبار الكنيسة لتعيين زوجاتٍ لهم أبعد ما يكن عن تاريخ عائلاتهم قدر الإمكان، وفي كلِّ جيلٍ كان هناك موسم للزواج. كانت هناك أربعون عائلة تقريبًا في مستعمرة مقاطعة الكنيسة، وفي كلِّ جيلٍ كانت كل عائلة تقريبًا تقيم حفلات الزفاف في البيوت. بالنسبة لكلِّ تندر أو بيدي، كان موسم الزواج شيئًا تراقبه من بعيد فقط.

إذا كنتِ بيدي، فإن الزواج كان شيئًا تحلمين بأن يحدث لكِ فقط. وإذا كنتِ تندر، فلا أحلام لكِ.

تأتيني المكالمات الليلة كما في كل ليلة. القمر مكتمل بالخارج، والناس مُستعدون للموت بسبب الدرجات السيئة التي حصلوا عليها في المدرسة، بسبب اضطراباتهم العائلية، بسبب مشاكل من يصاحبونهم، بسبب وظائفهم التعيسة. كل هذا وأنا أحاول تقطيع شريحتين مسروقتين من الضأن على شكل جناحي الفراشة.

يتصلون بي من مُدنٍ أخرى، ويسألني عامل الاسترال إن كنت أقبل تحمّل تكاليف المكالمة من فلان الفلاني الذي ينشد انتباهي الآن.

الليلة أجرب طريقة جديدة لأكل السلمون أون كروت؛ حركة جديدة مثيرة بالمعصم، بعض التنميق لجعل من أعمل لديهم يُبهرون بقيّة الضيوف في حفل العشاء القادم.

الهاتف يرن مرةً أخرى، ويتصل بي شاب يقول إنه سيرسب في امتحان الجبر.

على سبيل التمرين أقول له أن يقتل نفسه.

تتصل بي امرأة تقول إن أطفالها يُسيئون الأدب.

دون تردّد أقول لها أن تقتل نفسها.

تتصل امرأة لتسأل عن موعد بدء العرض الليلي للفيلم.

اقتلي نفسك.

- «أليس هذا رقم 555-1327، مجمّع سينمات مورهاوس؟».

أقول لها: اقتلي نفسك، اقتلي نفسك، اقتلي نفسك!

تتصل فتاة وتسالني:

- «هل يؤلم الموت كثيراً؟».

في الحقيقة يا عزيزتي، أقول لها، نعم، لكن ما يؤلم أكثر هو مواصلة الحياة.

تقول:

- «كنت أتساءل فقط. لقد انتحر أخي الأسبوع الماضي».

لا بُد أنها فرتيلتي هوليس. أسألها كم كان عمر أخيها محاولاً أن أجعل صوتي أعمق ومختلفاً بحيث لا تتعرفه.

تجيب بأنه كان في الرابعة والعشرين دون أن تبكي أو أي شيء. بل إن صوتها لا يبدو حزيناً إلى هذه الدرجة أصلاً.

صوتها يجعلني أفكر في فمها، فيجعلني أفكر في أنفاسها، فتجعلني أفكر في نهديها.

رسالة كورنثوس الأولى 6:18: «اهْرُبُوا مِنَ الزَّانَا! فَكُلُّ خَطِيئَةٍ يَزْنِيهَا الْإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ جَسَدِهِ، وَأَمَّا مَنْ يَزْنِيكَ الزَّانَا، فَهُوَ يُسِيءُ إِلَى جَسَدِهِ الْخَاصِّ».

بصوتي الجديد الأعمق أسألها أن تتكلم عما تشعر به، فتقول:

- «لا أستطيع اتخاذ قرارٍ من حيث التوقيت. الترم الدراسي الربيعي على وشك الانتهاء، ووظيفتي أكرهها كثيراً. عقد إيجار شقتي يكاد ينتهي، ورخصة القيادة تنتهي هي الأخرى الأسبوع القادم. إذا كنت سأفعلها حقاً، فالآن يبدو لي الوقت المناسب للانتحار».

أقول لها إن هناك الكثير من الأسباب الوجيهة للحياة، وفي قرارة نفسي أمل ألا تطلب مني قائمةً بها. أسألها إن كان هناك من يشترك معها في حزنها على أخيها، صديق قديم لأخيها مثلاً يستطيع مساعدتها في هذه المحنة.

- «كلا».

أسألها إن كان هناك من يذهب لزيارة قبر أخيها سواها.

- «كلا».

أسألها: ولا شخص واحد؟ لا أحد غيرها يضع الزهور على القبر؟
ولا صديق قديم واحد؟

- «كلا».

من الواضح أنني أحدثت أثرًا عظيمًا عليها!

- «لا، انتظر. هناك ذلك الرجل غريب الأطوار».

أنا غريب الأطوار. رائع!

أسألها عمًا تعنيه بغرابة الأطوار.

- «أتذكر أتباع الطائفة الدينية هؤلاء الذين انتحروا؟ كان هذا منذ سبع
أو ثمان سنوات تقريبًا. لقد فعلتها البلدة كلها. يومها دخلوا الكنيسة كلهم
وشربوا سُمًا، ووجدهم رجال الـ FBI على الأرض ممسكين بأيدي
بعضهم البعض وكلهم موتى. هذا الرجل ذكّرني بهم. لم تكن ملابسه
السخيفة هي السبب، بل شعره الذي يبدو أنه قصّه بنفسه مُغلق العينين».

كان هذا منذ عشر سنوات، وكل ما أريد أن أفعله الآن أن أغلق الخط.

سيفر أخبار الأيام الثاني 21:19: «...تَسَاقَطَتْ أُمَّعَاؤُهُ مِنْ جَرَءِ الدَّاءِ..».

- «ألو؟ أما زلت هنا؟».

نعم. وماذا أيضًا؟

- «لا شيء. كان هناك فقط عند قبر أخي يحمل باقة زهور».

أقول لها إن هذا بالضبط هو الشخص الذي تحتاج إلى اللجوء إليه في
مثل هذه الظروف.

- «لا أظن».

أسألها إن كانت متزوجة.

- «كلا».

أسألها إن كانت تواعد أحدًا.

- «كلا».

تعرفني عليه إذن، أقول لها، ودعي خسارتكما المشتركة تجمعكما معًا. قد يكون هذا تطورًا كبيرًا في حياتك العاطفية.

- «لا أظن. أولاً، إنك لم تر هذا الرجل. الحق أنني لطالما تساءلت إن كان أخي شاذًا، وغريب الأطوار هذا والزهور التي يحملها أكد شكوكي. كما أنه ليس جذابًا».

مراثي إرميا 2:11: «...جَاشَتْ أَحْشَائِي وَأَرِيقَتْ كَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ...».

أقول إنه من الممكن أن يقص شعره قصّة لاثقة. يمكنك مساعدته. اعملي على تجديده.

- «لا أظن. إنه شديد القبح. وبالإضافة إلى قصّة الشعر الشنيعة تلك، هناك هذان السالفان اللذان يكادا يصلان إلى فمه. هذا لا يشبه استخدام الرجال لبعض الشعر المُشدّب كما تفعل امرأة بالماكياج لإخفاء حقيقة أن لديها نونة في الذقن مثلاً، أو أن عظام وجنتيها دقيقة للغاية. هذا الرجل بلا أيّ ملامح جيدة يمكن العمل عليها. ثم إنه شاذ!».

رسالة كورنثوس الأولى 11:14: «أَمَّا تَعْلَمُكُمْ الطَّبِيعَةُ نَفْسَهَا أَنْ إِرْحَاءَ الرَّجُلِ لِشَعْرِهِ عَارٌ عَلَيْهِ».

أقول لها إنها لا تملك دليلاً على شذوذه.

- «وأيّ دليل تريد؟».

أقول لها أن تسأله. أليس من المفترض أن تراه مرّة أخرى؟

- «قلت له إنني سأقابلة عند سرداب أخي الأسبوع القادم، لكنني لا أدري. لم أكن أعني هذا حقًا، وقلته لمجرد أن أبتعد عنه. كان مثيرًا للشفقة جدًّا، وأخذ يتبعني كظلي في الصَّريح طوال ساعة كاملة».

أقول لها إنها يجب أن تقابله كما وعدت. فكَّري في ترفور الميت المسكين، فكَّري في أخيك. ماذا كان ليقول إذا عرف أنك نبذت صديقه الوحيد المتبقي هكذا؟

- «كيف عرفت اسمه؟».

- «اسم من؟».

- «أخي، ترفور. لقد قلت اسمه».

أقول لها إنها ذكَّرته لا بُد منذ قليل. ترفور، في الرابعة والعشرين من عمره، انتحر الأسبوع الماضي، شاذ جنسيًّا (ربما)، كان لديه عشيق سري يائس يحتاج أن يضع رأسه على كتفها ويبكي.

- «تذكُر كلَّ هذا؟ إنك تجيد الإصغاء حقًّا. هذا مثير للإعجاب. كيف تبدو؟».

أقول لها إنني دميم، بشع. شعرٌ قبيح، ماضٍ قبيح، ولن يروق لها شكلي على الإطلاق.

أسألها عن صديق أخيها، أو عشيقه أو أرملة المحتمل، هل ستقابله الأسبوع القادم كما وعدت؟

- «لا أدري، ربما. قد ألتقي بالمغفل الأسبوع القادم إذا فعلت شيئًا من أجلي الآن».

أقول لها أن تتذكَّر فقط أن لديها فرصة أن تفعل شيئًا لأحدٍ حيال الوحدة التي يعانيتها، إن لديها فرصة أن تمنح دعمها ورعايتها لرجلٍ يحتاج إلى حباها بشدَّة.

- «سُحِقًا للحب!» تقولها بصوتٍ خفيضٍ يجاري انخفاض صوتي،
ثم تضيف: «قُل لي شيئًا يثيرني».

- لا أعرف ما تعنيه...

- «تعرف ما أعنيه».

التكوين 3:12: «...المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت».

أقول لها إنني لست وحدي هنا، إنني محاط بالمتطوعين الذين
يتبرعون بوقتهم.

- «هلم، العق حلمتي».

أقول لها إنها تستغل طبيعتي الحانية، وأقول لها إنني يجب أن أغلق
الخط الآن.

- «بقوة، ضاجعني بقوة! أوه بقوة! ضاجعني بقوة!».

تضحك وتقول:

- «العقني! العقني! العقني!».

أقول إنني سأغلق الخط الآن، لكنني لا أفعل.

تقول فرتيليتي:

- «تعرف أنك تريدني. قل لي ما تريدني أن أفعله. تعرف أنك تريدني.

اجعلني أفعل شيئًا رهيبًا».

وقبل أن أستطيع أن أسحب نفسي من المكالمة، تطلق فرتيليتي

هوليس صرخة ذروة مدوية قمينة بنجمة بورنو محترفة.

رسالة تيموثاوس الأولى 5:15: «لأنَّ بعضاً منهم قد انحرفن

وراء الشيطان فعلاً».

ما أشعر به الآن أنني رخيصةٌ مستغلّةٌ، قذرةٌ مُهان، ملوّثةٌ ومخدوعٌ
وملقى في إهمال.

ثم يرن الهاتف من جديد. إنها هي، لا بُد أنها هي، فلا أرفع السماعة.
يرن الهاتف طوال الليل، وأجلس هنا شاعرًا بالخدعة ولا أجرؤ على
الرد.

منذ عشر سنواتٍ تقريبًا كانت جلستي الأولى مع موظفة التحريّات الاجتماعية، وهي شخصيّة حقيقيّة لها اسم ومكتب، لكنني لا أريد أن أوقعها في أيّ مشاكل، فلديها ما يكفي من مشاكلها الخاصّة بالطبع. لديها شهادة في العمل الاجتماعي، وتبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا، ولا يمكنها الحفاظ على صاحبٍ لفترةٍ طويلة. منذ عشرة أعوامٍ كانت في الخامسة والعشرين، خريجة حديثة منغمسة في جمع العملاء الذين كلفتها الحكومة بهم كجزءٍ من البرنامج الفدرالي للحفاظ على الناجين، الذي كان جديدًا تمامًا وقتها.

الذي حدث أن شرطياً جاء إلى المنزل الذي كنت أعمل فيه وقتها. قبل عشر سنواتٍ كنت في الثالثة والعشرين من عمري، وكانت هذه هي وظيفتي الأولى، لأنني كنت لا أزال أمارس عملي بإخلاصٍ تام وقتها. كنت محدود المعرفة والخبرة. الألفية المحيطة بالمنزل كانت دائماً ذات لونٍ أخضر داكن نضر ومنسّقة بنعومةٍ شديدة جعلتها تبدو كمعاطفٍ من المنك الأخضر. لم يكن هناك شيء داخل المنزل يبدو رخيص الثمن.

عندما تكون في الثالثة والعشرين، فإنك تحسب أنك تستطيع الحفاظ على هذا المستوى من الأداء إلى الأبد.

وراء الشرطي الواقف عند الباب الأمامي كان هناك اثنان آخران وموظفة التحريّات الاجتماعية يقفون بالقرب من الرصيف إلى جوار سيارة شرطة. لن تفهم أبداً الراحة التي كان عملي يمنحني إياها حتى اللحظة التي

فتحت فيها الباب. طوال حياتي وأنا أعمل نحو هذا الهدف، نحو التعميد وحصولي على عملٍ في تنظيف البيوت في العالم الخارجي الشرير. عندما أرسل من أعمل لديهم تبرُّعًا للكنيسة مقابل الشهر الأول من عملي كنت متألِّفًا حقًّا، كنت أشعر بأنني أساعد في صنع جنَّةٍ على الأرض بحق.

مهما حدَّق الناس فيَّ باستغراب، كنت أرثدي زيَّ الكنيسة الإجباري في كلِّ مكان: القبَّعة والسرَّوال الفضفاض الخالي من الجيوب والقميص الأبيض طويل الكُمين. ومهما كان الجو حارًّا، كنت أرثدي المعطف البُنِّي كلما خرجت، وبغضِّ النظر عن التعليقات السخيفة التي كان الناس يُلقونها على مسامعي.

يسألني أحدهم في متجر المعدَّات المعدنية:

- «كيف يمكنك ارتداء قميص بأزرار؟».

لأنني لست من الآمش⁽¹⁾.

- «هل ينبغي أن ترتدي ملابس داخلية من نوع خاص؟».

أظنه كان يتكلَّم عن المورمون⁽²⁾.

- «ألا تخالف عقيدتك الحياة خارج مستعمرتك؟»

يتكلَّم عن المينونايت⁽³⁾ غالبًا.

- «لم ألتقِ بواحدٍ من الهوترات من قبل.».

وما زلت لم تفعل.

(1) Amish: طائفة مسيحية نشأت أمريكا ويؤمن أفرادها بالانعزال عن العالم الخارجي.

(2) مجموعة دينية مسيحية أسسها جوزيف سميث في أمريكا.

(3) طائفة مسيحية تتبع المصلح الديني مينو سيمونز.

كان شعورًا طيبًا أن تكون مختلفًا عن بقية العالم، متديّنًا غامضًا. لم تكن كمن «يُشعلُ مِصْبَاحًا وَيَضَعُهُ فِي مَكَانٍ مَخْفِيٍّ». كنت صالحًا مستقيمًا، الرجل التقي الوحيد الذي بسببه لا يُهلك الله أهل سدوم وعمورة الجائلين بخطاياهم في مول فالي شوينج بلازا. كنت منقذ الجميع، سواء يعون هذا أم لا. تتصّبب عرقًا في معطفك الصوفي ذي اللون السخيف كشهيدٍ يحترق على وتد.

الشعور الأروع أن تلتقي بمن يرتدي ملابس كملايسك. سواء كان ما نلبسه سروالًا أو فستانًا بُنيًا، كنا نرتدي جميعًا ذلك الحذاء الذي يُسمونه حذاء البطاطس. يجتمع كلاهما في محادثةٍ جانبيةٍ صغيرة لتبادل كلماتٍ قليلة كان من المسموح لنا بأن نقولها لبعضنا البعض في العالم الخارجي. يمكنك أن تقول ثلاث أو أربع عباراتٍ فقط، لذا كان عليك أن تبدأ ببطء ولا تستعجل في الكلام. كان التسوّق هو السبب الوحيد لخروجك بين الجموع، وكان هذا في حالة ائتمانك على النقود فقط.

إذا التقيت بأحدٍ من مستعمرة مقاطعة الكنيسة كان يمكنك أن تقول:

- «عسى أن تموت وقد قضيت حياتك كلها في الخدمة».

أو تقول:

- «المجد والثناء لله في هذا اليوم الذي نكدح فيه».

أو:

- «عسى أن تُدخِلَ جهودنا جميع من حولنا الجنة».

ويمكنك أن تقول:

- «عسى أن تموت وقد اكتمل عملك».

كان هذا هو الحد الأقصى لما يمكن تبادله من كلام.

ترى تقيّةً أخرى من بنات مقاطعتك تُعاني الحرّ في ملابس مستعمرة

الكنيسة التقليديّة، فتدير هذه الحفنة الضئيلة من الكلمات في رأسك. لم يكن مسموحًا لكما باللمس. لا عناق أو مصافحة. فقط تقول واحدةً من العبارات المسموح بها وتقول هي الأخرى، وهكذا إلى أن يقول كلٌّ منكما عبارتين وقد خفض رأسه، ثم يعود كلٌّ منكما إلى حال سبيله. كان هذا أصغر جزءٍ من أصغر جزءٍ من القواعد التي يجب أن تتذكّرها. أثناء نشأتك في مستعمرة مقاطعة الكنيسة، كان نصف الدروس التي تلقّاها حول تعاليم الكنيسة وقواعدها والنصف الآخر عن الخدمات، التي تتضمن البسّنة والإتيكيت والعناية بالأقمشة وتنظيف الأثاث الخشبي والحياسة والحيوانات الأليفة والحساب وإزالة البقع، بالإضافة إلى دروس التسامح.

تضمّنت قواعد المعيشة في العالم الخارجي أن تكتب رسائل اعترافٍ أسبوعيّةٍ لكبار الكنيسة وأن تمتنع عن أكل الحلوى. التدخين والكحول ممنوعان كذلك. يجب أن يكون مظهرك لائقًا نظيفًا طوال الوقت. وسائل الترفيه المسموعة والمرئيّة ممنوعة. العلاقات الجنسيّة ممنوعة.

لوقا 20:35: «أَمَّا الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلًا لِلْمُشَارَكَةِ فِي الزَّمَانِ الْآتِي وَالْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ، فَلَا يُزَوِّجُونَ وَلَا يُزَوَّجُونَ».

كان كبار الكنيسة الكريديشيّة يجعلون العزوبة تبدو بسهولة أن تختار ألا تلعب البيزبول أو شيئًا من هذا القبيل. فقط قل لا.

وتستمر القواعد الأخرى بلا نهاية. حاشا لله أن ترقص، أو تأكل السُّكَّر المكرّر، أو تُغني. لكن أهم القواعد التي يجب أن تتذكّرها على الإطلاق طوال الوقت كانت: إذا شعر أتباع مستعمرة مقاطعة الكنيسة بأن الله يستدعيهم له، فليبتهجوا. عندما تصير نهاية العالم وشيكة، فليحتفلوا. ثم يُسلّم الكريديش جميعًا أنفسهم لله، آمين.

ويجب أن تتبعهم...

لا تهم المسافة التي تفصلك عنهم، لا تهم المدّة التي ظللت تعمل فيها خارج المستعمرة. وبما أن التعامل مع وسائل الإعلام بأنواعها كان ممنوعاً، فمن الممكن أن تمر سنوات كاملة قبل أن يعرف جميع الأتباع بالخلاص. هكذا سمّته تعاليم الكنيسة.

الهرب إلى مصر، الهرب من مصر. يبدو لي أن الناس يهربون من مكانٍ إلى آخر طوال الوقت في الكتاب المقدّس.

قد لا تعرف ما حدث لسنواتٍ طويلة، لكن بمجرد أن تعرف، فينبغي عليك أن تجد مسدّساً أو تشرب بعض السّم أو تُغرق نفسك أو تشنقها أو تقطع شرايينك أو تقفز من مبنى ما.

يجب أن تُسلم نفسك للفردوس...

لهذا السبب جاء إليّ ثلاثة من رجال الشرطة وموظّفة التحريّات الاجتماعيّة.

- «لن يكون سهلاً عليك أن يبلغك هذا الخبر». قالها الشرطي، وعرفت لحظتها أنهم رحلوا وتركوني.

كانت نهاية العالم، سفر الرؤيا، الخلاص، وعلى الرغم من عملي كله وكلّ المال الذي جنّيته عملاً نحو خطتنا، لم تعد هناك جنة تقام على الأرض.

قبل أن أستطيع التفكير حتى، اقتربت مني موظّفة التحريّات الاجتماعيّة وقالت:

- «نحن نعرف ما أنت مبرمج على فعله الآن، ومستعدّون لاحتجازك ووضعك تحت الملاحظة كي نمنع هذا».

عندما أعلنت مستعمرة مقاطعة الكنيسة عن الخلاص، كان هناك نحو

ألف وخمسمئة من الكريديش المتناثرين في أنحاء البلاد المختلفة، وبعد مرور أسبوعٍ كان هناك ستمئة، وبعد عام أصبح هناك أربعمئة. منذ ذلك الحين انتحراثنان من موظفي التحريّات الاجتماعيّة أنفسهم.

عثرت الحكومة عليّ وأغلب النّاجين الآخرين عن طريق رسائل الاعتراف التي كنا تُرسلها إلى الكنيسة. لم نكن نعرف أننا نكتب ونُرسل أجورنا لكبار الكنيسة الذين كانوا قد ماتوا بالفعل ورحلوا إلى الجنة. لم نكن نعرف أن موظفي التحريّات الاجتماعيّة كانوا يقرأون كشف الحساب التي نُقدّمها بعدد المرّات التي أطلقنا فيها سبّة أو راودتنا الخواطر غير النقيّة. الآن لم يكن هناك شيء أقوله لموظفة التحريّات الاجتماعيّة ولا تعرفه بالفعل.

عشر سنواتٍ مرّت ولم تعد ترى أيّاً من أتباع الكنيسة النّاجين معاً. النّاجون الذين تبوّوا لم يعد هناك شيء مشترك بينهم سوى الشعور بالخجل والاشمئزاز من أنفسهم. لقد أخفقنا في تقديم قرباننا المقدّس الأسمى. نشعر بالعار من أنفسنا، والاشمئزاز من بعضنا البعض. النّاجون الذين ما زالوا يرتدون ملابس الكنيسة يفعلون هذا للتباهي بالمهم. خيئ ورماذ. لم يستطيعوا إنقاذ أنفسهم. كانوا ضعفاء. لقد تبدّدت القواعد كلها ولم يعد هناك شيء يهم. بين عشية وضحاها صرنا على متن رحلة بالقطار السريع إلى جهنم مباشرةً.

وكنت ضعيفاً بدوري...

هكذا جلست على المقعد الخلفي في سيارة الشرطة وإلى جوارى موظفة التحريّات الاجتماعيّة التي قالت:

- «أنت ضحية بريئة لطائفةٍ ظالمةٍ مستبّدة، لكننا هنا لمساعدتك على الوقوف على قدميك مرّة أخرى».

كانت الدقائق تمر وتُبعدني أكثر وأكثر عن ما كان يجدر بي أن أفعله.
تقول موظفة التحريّات الاجتماعيّة:

- «أفهم أن لديك مشكلة مع الاستمنا، فهل تريد أن تتكلّم عنها؟»
كلّ دقيقة تمر تجعل قيامي بما وعدت به عند تعميدي أصعب
وأصعب. أطلق النار على نفسك، اذبح نفسك، اخنق نفسك، اقطع
شرايينك، اقفز من قمّة مبنى.

كان العالم يمر خارج السيارة بسرعةٍ شديدة شوّشت عينيّ.
تقول موظفة التحريّات الاجتماعيّة:

- «كانت حياتك كابوسًا بائسًا حتى الآن، لكنك ستكون بخير. هل
تسمعي؟ اصبر وستكون بخير».

كان هذا منذ عشر سنواتٍ تقريبًا، ولم أزل أنتظر.
التصرّف السهل وقتها كان أن أعطيها مزية الشك.

اقفز بالزمن عشر سنواتٍ إلى الأمام وستجد أن كثيرًا لم يتغيّر. عشر
سنواتٍ من العلاج النفسي وأنا كما أنا تقريبًا. ليس هذا شيئًا جديدًا
بالاحتفال على ما أعتقد.

مازلنا معًا، واليوم جلستنا الأسبوعيّة الخمسمئة وثيّف، واليوم نجلس
في حمّام الضيوف الأزرق الذي يختلف عن حمّام الضيوف الأخضر أو
الأبيض أو الأصفر أو الأرجواني. نعم، من أعمل لديهم أغنياء لهذه
الدرجة. تجلس موظفة التحريّات الاجتماعيّة على حافة المغطس وقد
نقعت قدميها الحافيتين في بعض الماء الدافئ. حذاؤها موضوع على
غطاء المرحاض مع كأس المارتيني التي تحوي أيضًا الجرنداين والثلج
المجروش والسكر الناعم والرّم الأبيض. بين كلّ بضعة أسئلة تميل وقلم
الحبر الجاف في يدها وتلتقط الكأس بها.

تقول لي إن صاحبها الأخير أصبح خارج الصورة.

حاشا لله أن تعرض عليّ المساعدة في التنظيف.

ترشف من الكأس ثم تضعها وأنا أجيب على أسئلتها، تكتب على الورق الحكومي الأصفر الموضوع على ركبتيها، تسأل سؤالاً آخر، ترشف من الكأس. يبدو وجهها كأنه مرصوف تحت طبقة الماكياج.

لاري، باري، چيري، تيري، جاري؛ كل أصحابها السابقين لا يختلفون عن بعضهم البعض في شيء. تقول إن قائمتي عملائها الراحلين وأصحابها السابقين تستطيعان جنباً إلى جنب.

تقول إن العدد انخفض أكثر هذا الأسبوع. مئة واثنان وثلاثون ناجياً تبقوا في البلاد، لكن معدّل الانتحار بدأ يقل.

طبقاً لدفتر التنظيم اليومي، من المفترض أن أنظف الملاط بين بلاط السيراميك الأزرق الصغير سداسي الأضلاع على الأرض، ما يساوي أكثر من ترليون ميل من الملاط تقريباً. إذا تم فرد هذا الملاط جنباً إلى جنب لامتدّ من الأرض إلى القمر عشر مراتٍ على الأقل، وكله ملوّث بالعفن الفطري الأسود. تُصيّبي الأمونيا التي أغمس فيها فرشاة الأسنان وأنظف الملاط بها، مع رائحة دخان سجائر موظّفة التحريّات الاجتماعيّة، بالإرهاق وتجعل قلبي يدق في عنف.

ولعليّ مجنون بعض الشيء. هناك الأمونيا والدخان من ناحية، وفرتيليتي هوليس لا تنفك تتصل بي في البيت. لا أجرؤ على الردّ على الهاتف، لكنني أعرف أنها هي.

تسألني موظّفة التحريّات الاجتماعيّة:

- «هل بادر أي شخص غريب بالاقتراب منك مؤخراً؟».

تسألني:

- «هل تلقيت أي مكالماتٍ هاتفيةٍ تحمل تهديدًا ما؟».

الطريقة التي تلقي بها عليّ الأسئلة ونصف فيها مزوم حول السيجارة تُذكّرني بكلِّ منبطح على بطنه يُلغ في كأسٍ من المارتيني ويُزجر في وجهك. سيجارة، رشفة، سؤال. تأخذ نفسًا وتشرب وتسال. هكذا تُقدّم عرضًا لجميع تطبيقات الفم البشري. لم تكن مدخنة من قبل، لكنها تقول لي إنها باتت أكثر فأكثر لا تطيق فكرة أن تعيش حتى سنّ متقدّمة.

تقول وهي ترمق السيجارة الجديدة في يدها قبل أن تُشعلها:

- «ربما لو كان هناك جزء واحد من حياتي بلا مشاكل».

ثم يبدأ شيء ما في إطلاق صفيّر مزعج طويل إلى أن تضغط زرًا في ساعتها لتوقفه، ثم تميل لتفتح حقيبتها الموضوعه على أرضية الحمام وتُخرج منها زجاجة بلاستيكية.

- «إميرامين. آسفة لأنني لا أستطيع أن أقدم لك واحدة».

حاولت الحكومة في بداية البرنامج معاملة جميع النّاجين كالأطفال؛ بأن أعطتهم أدوية كالزناناكس والپروزاك والڤاليوم والإميرامين⁽¹⁾، لكن الخطة أثبتت فشلًا ذريعًا عندما حاول عملاء كثيرون الحصول عليّ حصّتهم من الأدوية لثلاثة أو ستة أو ثمانية أسابيع - حسب وزن كلِّ منهم - دُفّعة واحدة وابتلعوها كاملةً، ثم الحقوها بكأسٍ من السكوتش. ومع أن الأدوية لم تكن تصلح للنّاجين، فإنها كانت بمثابة هديّة لموظفي التحريّات الاجتماعيّة.

تسألني:

- «هل لاحظت أحدًا يتبعك؟ أحدًا يحمل مسدّسًا أو سكينًا يتبعك ليلاً من محطة الحافلات إلى البيت؟».

(1) مجموعة أدوية مضادة للاكتئاب.

أحك الملاط بين ألواح السيراميك ليتغير لونه من الأسود إلى البني ثم إلى الأبيض، وأسألها لِمَ تسألني عن كل هذا.
- «لا يوجد سبب».

أقول لها أن لا، ليس هناك من يُهددني بشيء.

- «حاولت الاتصال بك ثلاث مرّات هذا الأسبوع ولم ترد. ماذا هناك؟».

أقول لها إن لا شيء هناك.

الحقيقة وراء عدم ردّي على الهاتف هي أنني لا أريد أن أكلّم فرتيليتي هوليس حتى ألتقيها شخصياً. على الهاتف كانت هائجة جداً فلا أستطيع المخاطرة بتكرار المكالمات الآن. إنني أنافس نفسي. لا أريدها أن تقع في حبي بصفتي صوتاً على الهاتف بينما تحاول التخلص مني كشخصٍ حقيقي في الآن نفسه. من الأفضل ألا نتكلّم على الهاتف ثانيةً. إنني بصورتي الحقيقية الحيّة القبيحة البلهاء لا أستطيع الوصول إلى مستوى خيالاتها، لذلك لديّ خطة -خطة شنيعة- لجعلها تكرهني وتقع في حبي في آنٍ واحد. الخطة هي ألا أجذبها لي، ألا أغريها.

- «هل يتعامل أحد غيرك مع طعامك عندما لا تكون في شقتك؟».

غداً لقائي الثاني بفرتيليتي هوليس في الضريح، هذا إذا جاءت، ثم يدخل الجزء الأول من خطتي حيّز التنفيذ.

- «هل تلقّيت أيّ بريدٍ به تهديدات أو لا يمكنك تفسيره؟ هل تسمعني أصلاً؟».

أسألها مجدداً عن سبب كل هذه الأسئلة، ثم أقول لها إنني سأشرب زجاجة الأمونيا هذه لو لم تُخبرني بما يحدث.

تنظر في ساعتها وتبقر بالقلم على أوراقها وتجعلني أنتظر حتى تأخذ نفساً آخر من سيجارتها وتنفخ الدخان.

أناولها فرشاة الأسنان وأقول لها أن تنظف بعض الملاط إذا كانت تريد مساعدتي حقًا، فتضع شرابها وتأخذ الفرشاة وتبدأ في حكّ بوصة من الملاط في الجدار المغطى بالسيراميك إلى جوارها. تتوقّف وتُلقي نظرة ثم تحكّ مرّة أخرى، ثم تنظر من جديد وتقول: - «رباه! إنه ينظف حقًا. انظر كيف أصبح نظيفًا».

ما زالت قدماها منقوعتين في الماء في المغطس، لكنها تتحرّك لتبلغ الجدار بصورة أفضل وتواصل الحك.

- «يعلم الله أنني نسيت الشعور الذي يمنحك إياه إنجاز شيء ما». لم تلاحظ أنني توقّفت وجلست القرفصاء أراقبها وهي تهاجم طبقات العنّ.

تقول وهي تحكّ في اتجاهاتٍ مختلفة لتتبع العنّ حول كلّ لوح أزرق صغير من السيراميك:

- «اسمع، قد لا يكون أيّ من ذلك صحيحًا، لكن هناك احتمال أنك في شيءٍ من الخطر».

ليس من المفترض أن تُخبرني بهذا، لكن بعضًا من حالات انتحار النّاجين يثير الشكوك. أغلبية حالات الانتحار عاديّة مملّة حسب قولها، لكن ثمة بعض الحالات الغربية هنا وهناك. في إحدى الحالات أطلق أحدهم، وهو أيمن، النار على نفسه بيده اليسرى، وفي حالةٍ أخرى شنقت امرأة نفسها بحزام معطف الحّمّام، لكن إحدى ذراعيها كانت مخلوعة وهناك كدمات على معصمها.

تقول وهي لا تزال تحكّ الملاط:

- «هاتان ليستا الحاليتين الوحيدتين، لكن هناك نمطًا معيّنًا».

لم يُلَقِ أحد في البرنامج الكثير من الانتباه للأمر في البداية، فالانتحار هو الانتحار، خصوصًا في هذه الكثافة السكّانية. لا تأتي حالات انتحار

النَّاجينِ فرادى، ومن شأنِ حالةٍ واحدةٍ أو اثنتين أن تُفضيا إلى عشرين حالةٍ أخرى مثلاً، تماماً كما تفعل القوارض عندما تنتحر في البحر. يسقط الورق الحكومي الأصفر منها على الأرض وتقول:

- «الانتحار مُعِدُّ حقاً».

يُظهر نمط حالات الانتحار الزائف الجديدة تلك أنها غالباً ما تقع بعد أن تنتهي موجة من الحالات الطبيعيَّة. أسألها عمَّا تعنيه بحالات الانتحار الزائف وأرشف من كأس المارتيني خلسةً فأجد أن له طعمًا غريبًا كغسول الفم.

- «جرائم قتل. نعتقد أن أحدهم يقتل النَّاجين ويجعل الأمر يبدو كانتحار».

هناك شك أنه عندما ينخفض معدَّل حالات الانتحار الحقيقيَّة تبدأ جرائم القتل لرفع هذا المعدَّل مرَّةً أخرى. بعد جريمتي قتل أو ثلاث تظهر كانتحار يبدو الانتحار جدًّا بآ من جديد، ومن ثم يبادر عدد آخر من النَّاجين إلى الانتحار بدورهم.

- «من السهل أن تتخيَّل قاتلاً - قد يكون شخصاً واحداً أو فرقة كاملة - من أتباع كنيستكم يعمل على التأكُّد من دخولكم الجنَّة معاً. أعرف أنه افتراض سخيف مغرق في البارانونيا، لكنه منطقي كذلك».

الخلاص...

- لماذا تُلقيني عليَّ كل هذه الأسئلة إذن؟

- «لأن ناجين أقل وأقل ينتحرون هذه الأيام. المعدَّل الطبيعي لحالات الانتحار العادية في تناقص، وأياً كان من يفعل هذا سوف يقتل مرَّةً أخرى كي يرتفع المعدَّل من جديد. هذا النمط منتشر في البلاد كلها».

تحكُّ الملاط بفرشاة الأسنان وتغمسها في الأمونيا، ثم تواصل الحكُّ والسيجارة مشتعلة في يدها الأخرى.

- «لا يوجد نمط واحد باستثناء الأوقات التي تقع فيها هذه الجرائم. هناك رجال ونساء، شباب وكبار. يجب أن تتوخى الحذر لأنه من الممكن أن تكون الضحية التالية».

الشخص الجديد الوحيد الذي التقيت به منذ شهر هو فرتيليتي هوليس.

أسأل موظفة التحريات الاجتماعية، لأنها امرأة وما إلى ذلك، كيف تريد النساء أن يبدو الرجل؟ ما الذي تبحث عنه في شريك الجنس؟
ترك وراءها أثرًا غير منتظم من الملاط الأبيض النظيف، وتقول:
- «ما يجب أن تتذكره أنه قد يكون لكل هذا تفسير طبيعي. قد لا يكون هناك من سيقتلك، وقد لا يكون هناك شيء على الإطلاق يستدعي القلق».

جزءاً من عملي أن أرى الحديقة، لذا أرش كل شيء - بما في ذلك الأعشاب والنباتات الحقيقية - بضعف الكمية الموصى بها من السم، ثم أسوي أحواض السالفيا والخطمي. الشكل الذي أسعى إليه هذا الموسم هو شكل الحدائق الصغيرة المحيطة بالأكواخ. العام الماضي كان حديقة أحواض زرع فرنسية، وقبله حديقة يابانية كلها من النباتات البلاستيكية. كل ما عليّ هو انتزاع الزهور كلها من أحواضها وتنسيقها، ثم وضعها مرة أخرى في الأرض بتنسيق جديد، ما يجعل العملية سريعة سهلة. الزهور التي بهت لونها تُعالج قليلاً بالسبراي الأحمر أو الأصفر. القليل من الورنيش الشفاف أو سبراي الشعر يحول دون اهتراء خيوط الزهور المصنوعة من الحرير من الأطراف.

تحتاج زهرتا الألفية الصناعية وأبو خنجر البلاستيكية إلى تنظيفهما من الغبار بمياه الخرطوم، ويحتاج الورد البلاستيكي المثبت بأسلاك إلى الهياكل المسمومة الميتة لأحواض الورد الأصلية لبعض الرائحة. ثمة بعض الطيور زرقاء اللون تمشي على العشب بطريقة تجعلها تبدو كأنها تبحث عن عدسة لاصقة ضائعة.

هكذا أفرغ البخاخة من السم وأملأها بثلاثة جالونات من الماء ونصف زجاجة من عطر إترنيتي من كالفن كلاين لأرش بها الورد، وأرش زهور الساشا ديزي الصناعية بفانيليا مخففة بالماء من المطبخ. زهور النجمة الصناعية تُعطر بوايت شولدرز، أما معظم النباتات الأخرى فأستخدم معه

معطرّ جو برائحة الزهور، وأوراق الزعر الليموني أرشها بسپراي تلميع الأثاث برائحة الليمون.

جزءٌ من الاستراتيجية التي سأتبعها مع فرتيليتي هوليس أن أبدو قبيحًا عن عمد، وتلوّث نفسي بأوساخ الحديقة مجردّ بداية. ما زلت أحتاج إلى المزيد. من الصعب أن تُوسّخ نفسك في الحديقة مع ذلك عندما لا تلمس الأرض تقريبًا، لكن رائحة السّم عالقة بملابسي، وأنفي لوّحته الشمس قليلًا. أستخدم سلك زهرة كالا ليلي بلاستيكيّة لتقطيع كتلة جامدة من التربة وأفرکها على رأسي، وأغرس التراب تحت أظفاري.

حاشا لله أن أحاول أن أبدو في مظهرٍ جيّد أمام فرتيليتي. أسوأ استراتيجية يمكنني اتباعها على الإطلاق الآن أن أحاول تحسين شكلي. سيكون خطأ كبيرًا أن أتأثّق، أن أبذل أفضل ما لديّ وأمشط شعري، ولربما أقترض بعض الثياب الفاخرة من الرجل الذي أعمل لديه، قميص قطني ملوّن مثلًا، وأغسل أسناني وأضع ما يُسمّونه مزيل العرق، ثم أدخل ضريح كولومبيا التذكاري في موعدي الثاني مع فرتيليتي هوليس وأنا لا أزال قبيحًا مع فارق أنني حاولت أن أبدو أفضل بالفعل وفشلت.

ها أنا ذا إذن. ليس في الإمكان أبدع مما كان. خذيني أو اتركيني.

كأني لا أبالي برأيها...

كلا، ظهوري بشكل جيد ليس جزءًا من الخطّة. خطّتي أن أبدو كإمكانية غير مُستغلّة. المظهر الذي أسعى إليه هو الطبيعي، الحقيقي، المادة الخام. ليس اليائس المثير للشفقة، بل الغني بالإمكانات. ليس المنظر الجائع. أريد أن أبدو كأني أستحق المجهود. مغسول لكن غير مكوي، نظيف لكن غير مصقول، واثق لكن متواضع.

أريد أن أبدو صادقًا. الحقيقة لا تتألّق أو تلمع.

إنه عرض عملي للعدوانية السلبية.

الفكرة التي لديّ أن أجعل القُبْح يعمل لصالحِي، أن أضع أساسًا للمقارَنة التي سوف تتم بين ما أنا عليه الآن وما سأكونه. قبل وبعد. الضفدع والأمير.

الساعة الثانية بعد الظُّهر يوم الأربعاء، وطبقًا لدفتر التنظيم اليومي من المفترض أن أدور السجّادة الإيرانية في غرفة الضيوف الوردية كي لا تبدو عليها علامات القِدَم. مساحة السجّادة 12 × 16 قدمًا. لتفعل هذا عليك أن تنقل الأثاث كله إلى غرفةٍ أخرى، تطوي السجّادة، تطوي بطانة السجّادة، تُنظّف الغبار بالمكنسة الكهربائية، تمسح الأرضية، تَلفّ البطانة وتفردّها، ثم تدور السجّادة وتفردّها وتعيد الأثاث كله إلى مكانه. طبقًا للدفتر، من المفترض ألا يستغرق هذا مني أكثر من نصف ساعة. لكني بدلًا من كلِّ هذا أكتفي بأن أنفّس الأماكن التي تحمل آثار الحركة عليها، وأحلّ العقدة التي ربطتها من أعمل لديهم في طرف السجّادة، وأعقد واحدةٍ أخرى بدلًا منها في الطرف الآخر، لتبدو كأنها دُوّرت إلى الناحية المقابلة من الغرفة. أحرك الأثاث كله قليلًا وأضع مكعبات ثلج على البُقْع الغائرة التي تركها في السجّادة، وهكذا سيذوب الثلج وتنفّس هذه البُقْع مرّةً أخرى.

أمرغ حذائي في التراب، وأمام مرآة المرأة التي أعمل لديها أضع الماسكارا داخل طاقتي أنفي حتى يبدو شعر الأنف كثيفًا متشابكًا، ثم ألحق بالحافلة.

يضم برنامج الحفاظ على النّاجين أيضًا اشتراك حافلة مجانيًا كلِّ شهر. على ظهر الاشتراك كُتِب بحروفٍ حكوميّة كبيرة «ملك لوزارة الموارد البشرية. لا يجوز استخدامه لغير صاحبه».

أردّد لنفسي طوال الطريق إلى الضّريح أنني لا أكثرث لمجيء فرتي لتي من عدمه.

تسرد قائمة من أدعية الكنيسة نصف المنسية نفسها في عقلي الذي ليس إلا خليطًا مهروسًا من الأدعية القديمة والردّ عليها.

عسى أن أقدم دائماً خدمة كاملة مُطلقة.

فلتكن في كلِّ واجبٍ عليّ رحمة لي.

في كدِّي يكمن خلاصي.

عسى ألا تُبدد جهودي.

عسى بشار عملي أن أنقذ العالم.

لكن ما أفكر فيه حقاً هو أن أرجوك، أرجوك، أرجوك، كوني هناك يا

فرتيليتي هوليس.

تدخل من الباب الأمامي للضريح لتسمع التوزيعات الرخيصة المعتادة لمقطوعاتٍ موسيقية جميلة حقيقية، كي تجعلك تشعر بأنك لست وحدك إلى هذا الحد، وهي عشر أغانٍ تتكرَّر بالموسيقا فقط دون غناء، ولا يُشغّلونها إلا في أيام معينة. بعض الأروقة القديمة في جناحي السكينة والأمل الجديد لا تُشغّل فيها الموسيقا أبداً، ولا تسمعها في أيِّ مكانٍ إلا إذا أنصتَ لها جيداً.

إنها موسيقا كورق الحائط، الغرض منها منفعي بحت، موسيقا مثل البيروزاك والزاناكس الغرض منها أن تتحكّم في ما تشعر به، موسيقا كمعطرّ الجو.

أمشي في جناح السكينة ولا أرى فرتيليتي، فأمشي في الإيمان والبهجة والصفاء ولا أجدّها هناك كذلك. أنتشل باقة من الورد البلاستيكي من أمام قبر أحد الموتى كي لا أقابلها خاوي الوفاض.

أدخل في حالةٍ من الكراهية والغضب والخوف والاستسلام، لكن هناك، عند السرداب رقم 678 في جناح القناعة، أرى فرتيليتي هوليس بشعرها الأحمر. أقف إلى جوارها، وتنتظر هي. 240 ثانية قبل أن تلتفت لي وتلقني التحيّة.

لا يمكن أن تكون هذه الفتاة نفسها التي كانت تُسمِعني صرخات الأورجازم على الهاتف.
أرُد التحية.

في يدها باقة من الزهور البرتقاليَّة الصناعيَّة، لطيفة بما يكفي لكن ليست شيئاً قد أُتعب نفسي لأسرقه. فستانها اليوم من ذلك القماش المطرَّز الذي يصنعون منه الستائر، ذو نقوشٍ بيضاء على خلفيَّة بيضاء. يبدو مصنوعاً من مادَّة صلبة مقاومة للهَب والبَقَع والتجعُّدات. تبدو محتشمةً كأُمِّ عروسٍ ليلة زفافها بتنورة الفستان ذات الطيَّات وكُمِّيهِ الطويلين، وتقول:

- «هل تفتقده أنت أيضاً؟».

لا شيء فيها يوحي بالضحية أو الاستشهاد.
أفتقد من؟

تقول وهي حافية القدمين على الأرض الرخاميَّة:
- «ترفور».

أه، صحيح، ترفور، عشيقِي السَّرِّي. نسيت.
أقول أن أجل، أنا أيضاً أفتقده.

يبدو شعرها كأنه قد جُمع من حقلٍ ووُضع في كومةٍ على رأسها ليجف.

- «هل حكى لك عن الرحلة البحريَّة التي ذهبنا فيها معاً؟».
كلا.

- «كانت مخالفة للقانون بالكامل».

ترفع عينيها من الإسرداب رقم 678 إلى السقف حيث تأتي الموسيقى من السمَّاعات الصغيرة المتاخمة للسماء والملائكة المرسومة.

- «جعلني آخذ دروس رقصٍ معه أولاً، وتعلّمنا جميع رقصات القاعات الكبرى، التشا-تشا والفوكس-تروت، الرومبا والسوينج والفالس. الفالس كانت سهلة».

تعزف الملائكة موسيقاها فوقنا لدقيقة وتُخبرها بشيءٍ ما، فتُصغي فرتيليتي هوليس إليها.

- «تعال». تقولها وتلتفت إليّ وتأخذ زهوري وزهورها وتضعها إلى جوار الحائط. «ترقص الفالس، أليس كذلك؟».

- ليس كذلك.

تقول وهي تهز رأسها متعجبةً:

- «لا أصدّق أنك تعرف ترثور وتجهل رقص الفالس».

في مخيلتها هناك صورة لي وترثور ونحن نرقص، ونضحك، ونمارس الجنس. هذا هو العائق الذي أواجهه؛ هذا وحقيقة أنني قتلت أختها.

تأمرني بأن أفتح ذراعِي، فأفعل.

تدنو مني وتقف في مواجهتي تمامًا، ثم تضع يدها على مؤخرَة عنقي وتُمسِك يدي بالأخرى وتجذبها بعيدًا عنا وتقول:

- «خذ يدك الأخرى وضعها على سوتيانِي».

فأفعل.

- «على ظهري!» تقولها وتتملّص مني، ثم تضيف في صبر:

- «ضع يدك على ظهري حيث يلتقي فِقل السوتيان بعمودي الفقري».

فأفعل.

تُريني كيف أخطو إلى الأمام بقدمي اليسرى، ثم قدمي اليمنى، ثم أوازيهما معًا لتفعل هي المثل في الاتجاه المعاكس.

- «اسمها خطوة البوكس. والآن ركّز مع الموسيقى».

تعدُّ واحد، اثنان، ثلاثة، وتعزف الموسيقى واحد، اثنان، ثلاثة.

نعدُّ مرّةً أخرى وأخرى ونخطو مع العدّ، ونرقص. تميل علينا الزهور من كلِّ سرداب، ويصير الرخام تحت أقدامنا أملس، ونرقص. يأتينا الضوء من الخارج عبر النوافذ الملوّنة، والتمائيل ساكنة في محاربيها، وتخرج الموسيقى من السمّاعات ضعيفة ويتدردّد صداها على الرخام إلى أن تسيل حولنا في مدّ وجزّير وتحملنا بين أنغام وأوتار، ونرقص.
تقول فرتيليتي وقد فردت ذراعها على طول ذراعي:

- «ما أذكره عن الرحلة هو وجوه آخر مجموعة من المسافرين وهم يُنزلونهم في قوارب النّجاة مرورًا بنوافذ قاعة الرقص. كانت سترات النّجاة البرتقاليّة تصنع ما يُشبه الإطار حول رؤوسهم فبدت كأنها مقطوعة وموضوعة على وسائد برتقاليّة. كانوا يُحملقون فينا، ترثور وأنا، ونحن مازلنا داخل قاعة الرقص وقد بدأت السفينة في الغرق».

- كانت على سفينة غارقة؟

- «كان اسمها أوشن إكسكروشن. حاول ترديد الاسم ثلاث مرّات بسرعة».

- وكانت السفينة تغرق؟

- «كم كانت جميلة! قالت وكيلة السفريات ألا نعود باكيين إليها، وحدّرتنا من أنها سفينة فرنسية قديمة بيعت مؤخرًا لثريٍّ ما في جنوب إفريقيا. كانت مُصمّمة على طراز الآرت دكو المعماري وفي حالة مزرية، وذكّرتني ببنية كرايسلر في نيويورك وهي طافية على جانبها وتُبحر في المحيط على ساحل أمريكا الجنوبية الأطلنطي، وقد حملت عشرات من الأرچنتينيين أبناء الطبقة الدُّنيا والوسطى وزوجاتهم وأطفالهم. يا للأرچنتينيين هؤلاء! جميع كشافات الضوء على الجدران كانت

من الزجاج الوردى المشكّل كماساتٍ عملاقة. كلُّ شيءٍ على السفينة كان مصبوغًا بهذا اللون الوردى، والسجّاد كان مبقعًا وباليتا في بعض الأجزاء».

نرقص في مكاننا، ثم نبدأ في الدوران.

خطوة، وواحد، اثنان، ثلاثة. إلى الأمام وإلى الخلف. نرفع كعبينا معًا في تناغمٍ مثالي ونخطو خطوة، اثنتين، ثلاثًا، وأدور وفرتيليتي هوليس مائلة تُعانيها ذراعي. وندور مرّة أخرى وأخرى، ومرّة أخرى، ومرّة أخرى...

وتحكى فرتيليتي عن قوارب النّجاة التي رحلت وتركت السفينة تواجه مصيرها في تلك الأمسية الكاربيية الهادئة. غروب الشمس يتلع القوارب، والنّاجون في سترات النّجاة البرتقاليّة يندبون مجوهراتهم وأدويتهم الغارقة، بعضهم يرسم علامة الصليب.

فرتيليتي وأنا، واحد، اثنان، ثلاثة... فالس، اثنان ثلاثة... في أنحاء الرواق الرخامي ندور.

في قِصّتها رقصت فرتيليتي وترفور على الأرضيّة الماهوجني المنحدرة، وقد مالت قاعة الرقص التي كان اسمها فرساي مع غرق مقدّمة السّفينة، وارتفعت المؤخّرة بالمراوح الرباعيّة في هواء المساء. اندفعت مجموعة من الكراسي المذهّبة لتتجاوزهما وتتجمّع تحت تمثال لديانا ربّة القمر الإغريقيّة، والتوتّ الستائر المطرّزة حول النوافذ. كانا آخر مسافرّين على متن الأوشن إكسكروشن.

كان البخار لا يزال يعمل لأن الثريّات الوردية - وكانت مثل الثريّات العاديّة بالضبط، لكن التي علي السّفينة كانت معلّقة بنباتٍ كالكتلّ الجليديّة في الجبال. - كانت تتألّق، وكانت الميكروفونات تملأ السّفينة بموسيقا جيّاشة، وأخذت نغمات الفالس تذوب في بعضها البعض بينما تدور فرتيليتي مع ترفور وتدور وتدور.

وتدور فرتيليتي معي وتدور وتدور، ونخطو في مكاننا وننزلق في انسجام على أرضية الصَّريح.

أسفل سطح السفينة كان البحر الكاريبي يرتفع في قاعة العشاء تريانون ليجعل حواف مائة مفرش مائدة تطفو.

كان التَّيار يجرف السفينة وقد ماتت محرَّكاتها كلها، والماء الأزرق الدافئ ممتدًّا إلى الأفق في كلِّ اتجاه.

كان الماء إذ قلَّ في موضع يجعل الأرضية الماهوجني الشبيهة برُقعة الشطرنج تبدو بعيدة. النظرة الأخيرة على قارة أطلانطس والمياه المالحة ترتفع حول التماثيل والأعمدة الرخامية، وترفور وفرتيليتي يرقصان الهالس مرورًا بالحضارة المفقودة والمنقوشات المطليَّة بالذهب وموائد القصور الفرنسية. ارتفع مستوى المياه بزواوية منحدرية على لوحاتٍ بالحجم الطبيعي لملكاتٍ اعتمرن التيجان، بينما تميل السفينة وتُسقط المزهريات ما بها من زهور -ورد وأوركيد وأعوادٍ من الزنجبيل- إلى جوار زجاجات الشامانيا، ويمرق ترفور وفرتيليتي ناثرين المياه. كل هذا وهيكل السفينة المعدني يرتعد ويصدر أصوات تصدُّع.

أسألها إن كانت تنوي أن تقتل نفسها غرقًا، فتجيب وقد أراحت رأسها على صدري وأخذت تتنفس رائحة السُّم التي تفوح مني:

- «لا تكن سخيفًا. ترفور لم يسبق له أن أخطأ قط، وتلك كانت المشكلة».

- أخطأ في ماذا بالضبط؟

كان ترفور هوليس يحلم، هكذا قالت لي. كان يحلم بأن هذه الطائرة أو تلك سوف تسقط، ويحاول تحذير شركة الطيران لكن أحدًا لم يكن يُنصت له. ثم تسقط الطائرة وتستدعيه الـFBI للاستجواب، فمن السهل أن تُصدَّق أنه إرهابي عن كونه يتمتَّع بقدراتٍ نفسية خارقة. وصلت الأحلام إلى

درجة من السوء جعلته لا يستطيع النوم. لم يكن يجرؤ على قراءة الصُّحُف أو مشاهدة التلفزيون، خشية أن يرى تقريراً عن مصرع متي ضحية في حادث سقوط طائرة كان يعرف أنه سيقع ولن يستطيع منعه.
لم يستطع إنقاذ أحد.

- «أما انتحرت لأن الأحلام نفسها كانت تأتيها. الانتحار تقليد عائلي قديم لدينا».

أقول لنفسي ونحن ما زلنا نرقص إن هناك شيئاً مشتركاً بيننا على الأقل.

- «كان يعرف أن السفينة ستغرق في منتصف الرحلة تقريباً. سينقطع صمام ما وتملأ المياه عُرف المحركات وبعض العُرف العامّة الكبيرة كان يعرف من أحلامه أن السفينة ستكون لنا فقط طوال ساعات، وسنجد كل ما نشتهيه من طعام وشراب، ثم سيأتي أحدهم ويُقذنا في النهاية»
ما زلنا نرقص، وأسألها إن كان هذا هو سبب انتحاره -الأحلام- والموسيقا هي الإجابة الوحيدة التي أتلّقها لمُدّة دقيقة.
تقول فرتيليتي ورأسها على صدري:

- «لا تتخيّل كم كانت التجربة جميلة. القاعات الغارقة والبيانو تحت الماء والأثاث طاف حولنا. هذه أجمل ذكرى أحملها على الإطلاق».

نرقص مروراً بتمائيل لقديسين من ديانة أخرى. بالنسبة لي هم ليسوا أكثر من صخورٍ مُشكّلة كأشخاصٍ مبالغ في شأنهم.

- «كانت مياه الأطلنطي شديدة الصّفاء وهي تنصبّ علينا من السُّلم الكبير. خلعنا أحذيتنا وأخذنا نرقص فقط».

ما زلنا نرقص ونعد من واحد إلى ثلاثة، وأسألها إن كانت ترى أحلاماً مشابهة.

- «إلى حدّ ما. ليس كثيرًا. طوال الوقت تقريبًا الآن. أكثر مما أرغب في الحقيقة».

أسألها: هل ستقتل نفسها كما فعل أخوها؟
تجيب بالنفي وهي ترفع رأسها وتبتسم لي.
ونرقص، واحد، اثنان، ثلاثة.

- «لا يمكن أن أطلق النار على نفسي أبدًا. سأستخدم الحبوب غالبًا». في شقتي لديّ مخزون من مضادّات الاكتئاب التي صرّفتها لي الحكومة، ناهيك عن مُحسّنات المزاج والمُسكّنات وخلافه، وكلها موضوعة في طبق الحلوى فوق الثلاجة إلى جوار سمكتي الذهبية.
نرقص، واحد، اثنان، ثلاثة...
تقول إنها تمزح فقط.
ونرقص...

وتضع رأسها على صدري من جديد وتقول:
- «كل شيء يعتمد على درجة السوء التي ستصل إليها أحلامي».

ليتها عدتُ أرد على الهاتف مرّة أخرى. كان هذا بعد أن كنت أشعر بهياج جنسيّ شديد يُجبرني على الذهاب إلى وسط المدينة بحثًا عن شيء ما أسرقه. لا أفعل هذا في سبيل المال بل لبلوغ الذروة. لا بأس. تقول موظفة التحريّات الاجتماعيّة إنه لا بأس بهذا، إنها وسيلة لإشباع الرغبة الجنسيّة، طبيعيّة تمامًا. إنك تجد ما تريده، تابعه وتدرسه، ثم تختطفه وتجعله ملكك، وعندما تفرغ منه تمامًا يمكنك أن تتخلّص منه. موظفة التحريّات الاجتماعيّة هي من جعلتني أبدأ ممارسة السرقة من المحال أصلًا.

تقول موظفة التحريّات الاجتماعيّة إنني مثال لمريض هوس السرقة -الكليptomانيا- كما يقول الكتاب، واستشهدت في هذا بعدة دراسات. قالت لي إنني أسرق لأمنع أيّ أحدٍ من سرقة عضوي الذكري (فينخل، 1945). السرقة حافز لا أستطيع التحكّم فيه (جولدمان، 1991). أسرق بسبب اضطراباتي المزاجيّة (ماكإلروي وآخرون، 1991). ولا يهم ما أسرقه، سواء كان حذاءً أو شريطًا لاصقًا أو مضرب تنس.

المشكلة الوحيدة الآن أن السرقة نفسها لم تعد تُعطيني ذلك الإحساس القديم بالنشوة.

لعل السبب أنني قابلت فرتيليتي.

ولعلي قابلت فرتيليتي لأنني بدأت أصاب بالملل من حياة الجريمة المعوّضة عن الجنس هذه.

مؤخرًا لم أعد أسرق حتى، ليس بالتعريف الرسمي التقليدي على الأقل. وبدلاً من سرقة البضائع، أمشي في وسط المدينة إلى أن أجد إيصالاً من أحد المحال تخلص منه أحدهم. تأخذ الإيصال وتدخل المحل الذي جاء منه وتظاهر بأنك تتسوق إلى أن تجد أحد المشتريات التي على الإيصال وتتجول بها في المكان قليلاً، ثم تعيدها وتأخذ ثمنها بواسطة الإيصال. طبعاً تصلح هذه الطريقة أكثر في المحال الكبيرة حيث يسرد الإيصال قائمة المشتريات. لا تستخدم الإيصالات القديمة أو المتسخة. لا تستخدم الإيصال نفسه مرتين. حاول أن تُغيّر المحال التي تمارس فيها هذا النشاط.

مقارنة هذه الحيلة بالسرقة الحقيقية هي بالضبط كمقارنة الاستمراء بممارسة الجنس.

وبالطبع تعرف المحال كل شيء عن هذا النوع من الاحتيال.

من الأساليب الجيدة الأخرى أن تتسوق ومعك كوب كبير به مشروب غازي يمكنك إسقاط الأشياء الصغيرة فيه، أو أن تتابع علبة طلاء رخيصة ثم تفتح الغطاء وتُسقط شيئاً غالي الثمن فيها، وسيحجب المعدن الذي صُنعت منه العلبة الأشعة السينية عن اكتشاف ما بداخلها. اليوم، بدلاً من أن أبحث عن إيصال، أمشي فقط محاولاً أن أقرر الخطوة التالية من خطتي لجعل فرتيليتي لي، لأن تكون ملكي. ثم لربما أتخلص منها في ما بعد. لا بُد أن أستغل أحلامها الرهيبة هذه، ومن المفترض أن يكون رقصنا معاً أداةً أستخدمها.

رقصت مع فرتيليتي طوال فترة الظهيرة تقريباً، ومع تبديل الموسيقى علّمتني أساسيات التشا-تشا، ثم أرّنتني أساسيات الفوكس-تروت.

قالت لي إن العمل الذي تمارسه شديد البشاعة، بل أسوأ من أي شيء يمكنني أن أتخيله.

وعندما سألتها ما عملها...

... ضحكت.

أمشي في وسط المدينة وأعثر على إيصالٍ لتلفزيون ملوّن، الشيء الذي من المفترض أن يجعلني أشعر كأنني عثرت في الحقيقة على تذكرة يانصيب رابحة، لكنني ألقى الإيصال في سلّة المهملات.

لعل أكثر ما راق لي في الرقص هو القواعد، ففي العالم الذي يمكن أن يحدث فيه أي شيء وكل شيء، تجد في الرقص قواعد محدّدة صارمة. الفوكس-تروت خطوتان بطيئتان وأخريان سريعتان، والتشا-تشا خطوتان بطيئتان وثلاث خطواتٍ سريعة. تصميم الرقصة والالتزام به ليس مطروحًا للنقاش.

تلك هي القواعد، ولن تتغير هذه الرقصة أو تلك مرّة كلّ أسبوع.

بالنسبة لموظّفة التحريّات الاجتماعيّة، عندما بدأنا معًا منذ عشر سنوات، لم أكن محتالًا أو لصًا كالיום. أوّلاً كنت مصابًا بالوسواس القهري. كانت قد نالت شهادتها للتو ولا تزال تملك كُتُبها التي تحمل الدليل على هذا، وقالت لي إن مرضى الوسواس القهري إما يتفقدون الأشياء أو يُنظّفونها (راشمان وهودجسن، 1980)، وطبقًا لكلامها كنت من النوع الثاني.

الحقيقة أنني كنت أحبّ التنظيف فقط، لكنني كنت مدرّبًا طوال حياتي على الطاعة. كل ما فعلته هو أنني حاولت أن أجعل تشخيصاتها البلاء تبدو سليمة. كانت تُخبرني هي بالأعراض وأبدل أنا قصارى جهدي كي أنقّمصها وأجعلها تُعالجني منها.

بعد الوسواس القهري عانيت من اضطراب ما بعد الصدمة.

ثم من رهاب الخلاء.

ثم من اضطراب الخوف.

تمشي قدماي على الرصيف مشية الفالس بخطوة بطيئة ثم خطوتين سريعتين، وأعد واحد، اثنان، ثلاثة في رأسي. كلما نظرت بين الحمايم سترى الإيصالات في كل مكان على الرصيف. أمشي في وسط المدينة وألتقط إيصالاً آخر أجد أنه سيعود عليّ بـ173 دولاراً نقداً، ثم أتخلص منه.

طوال الشهور الثلاثة الأولى تقريباً من لقائي بموظفة التحريّات الاجتماعية كنت أعاني من تعدّد الشخصية الفصامي؛ لأنني رفضت أن أحكي لها عن طفولتي.

وبعدها عانيت من اضطراب الشخصية الانعزالية؛ لأنني لم أرغب في الانضمام إلى مجموعتها العلاجية الأسبوعية.

ثم، لأنها رأت أنني سأكون بمثابة حالة دراسية جيّدة، أصبت بمتلازمة الكورو، التي تجعلك مقتنعاً بأن حجم عضوك الذكري يصغر ويصغر إلى أن يختفي فتموت (فايان، 1991؛ تسنج وآخرون، 1992).

ثم إنها قرّرت أنني مصاب بمتلازمة الدهات، التي تجعلك في قلق دائم من خسارتك حيواناتك المنويّة كلها إذا احتلمت أو تبوّلت (تشادا وأهوچا، 1990). تقوم هذه المتلازمة على اعتقاد هندوسي قديم، يقول إن خلّق قطرة واحدة من نخاع العظام يحتاج إلى أربعين قطرة من الدم، وإن قطرة المني الواحدة تحتاج أربعين قطرة من نخاع العظام (أختر، 1988). قالت إنه لا عجب أنني مُتعب طوال الوقت.

يجعلني المني أفكّر في الجنس، فيجعلني أفكّر في العقاب، فيجعلني أفكّر في الموت، فيجعلني أفكّر في فرتيليتي هوليس.

كنا نفعل ما قالت موظفة التحريّات الاجتماعية إنه تداعٍ حرّ.

في كلِّ جلسة كانت تُشخّصني بمشكلةٍ جديدة تحسب أنني مصاب بها، وتعطيني كتابًا كي أدرس الأعراض، ومع حلول موعد الجلسة التالية كنت أتقمّص الأعراض بعد أن حفظتها عن ظهر قلب.

في أسبوع أعاني من هوس إشعال الحرائق، وفي الأسبوع التالي من اضطراب الهوية الجنسية.

قالت لي إنني استعرائي، فكشفت لها عن مؤخرتي في الأسبوع التالي.

قالت إنني أعاني من قصور الانتباه، فأخذت أُغيّر موضوع الكلام.

كنت مصابًا برهاب الأماكن المغلقة، فالتقينا في مكانٍ في الخارج.

أمشي في وسط المدينة وتحوّل قدمي إلى الخطوتين البطيئتين فالخطوات الثلاث السريعة فالخطوتين البطيئتين للتشا-تشا، وفي رأسي تتردّد الأغاني العشر نفسها التي سمعتها طوال وقتنا في الضريح، وأتجاوز إيصالًا آخر راقصًا التشا-تشا.

أعطتني موظفة التحريّات الاجتماعية كتابًا اسمه (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسيّة)، كما أعطتني كثيرًا من كُتُبها القديمة كي أقرأها، وبدخلها صور الموديلات الذين تلقوا مالاّ مقابل أن يبدووا سعداء؛ بأن يحملوا أطفالاً عراة فوق رؤوسهم أو يمشوا متعانقي الأيدي على الشاطئ عند الغروب. في الصور التعيسة كان الموديلات يأخذون مالاّ مقابل أن يحقنوا أنفسهم بالمخدّرات وهم جالسون وحدهم إلى مائدةٍ ومعهم شرابٌ ما. وصل الأمر إلى حدّ كان يجعل موظفة التحريّات الاجتماعية تُلقي الكتاب على الأرض، وأيا كانت الصفحة التي يسقط عليها مفتوحًا، فهذا هو المرض الذي سأحاول أن أبحث عنه طوال الأسبوع.

كنا سعيدين قانعين بهذه الطريقة، لفترةٍ من الوقت على الأقل. كانت تشعر بأنها تُحرز تقدّمًا معي كلَّ أسبوع، وكان معي نصٌّ مكتوب يُخبرني

كيف أنصرفت. لم يكن هذا مملاً، وأعطتني عددًا من المشاكل الزائفة أكبر من أن يُعطيني فرصة التفكير في أي شيء حقيقي. في كل أسبوع كانت موظفة التحريّات الاجتماعية تُعطيني التشخيص، فيصبح تكليفي الجديد.

في عامنا الأول معاً لم أجد ما يكفي من الوقت لأفكر في الانتحار. أجرينا اختبارات ستانفورد-بينيت⁽¹⁾ لنعرف كم عُمر مخي، واختبار وشلر⁽²⁾، ومقياس مينيسوتا متعدّد الأوجه للشخصيّة، واختبار بك للاكتئاب، وغيرها وغيرها.

عرفت موظفة التحريّات الاجتماعية كلّ شيء عني باستثناء الحقيقة. كل ما هنالك أنني لم أرغب في العلاج.

أيًا كانت مشاكلي الحقيقيّة، فلم أريد علاجًا لها. لا شيء من الأسرار الصغيرة التي بداخلي أراد أن يعثر عليه أحد ويُفسّر طلاسمة، سواءً بالخرافات أو بطفولتي أو بالكيمياء. كان منبع خوفي هو السؤال: وما الذي سيتبقي بعد هذا؟ وهكذا لم يتعرّض أيّ من أحقادي أو مخاوفي إلى ضوء النهار قط. لم أملك أيّ رغبة في العثور على حلّ لاضطراباتي النفسيّة، ولم أتكلّم أبدًا عن عائلتي الميتة. قالت إن عليّ التعبير عن غضبي، أن أجد حلًا له، أن أرمي به ورائي.

عالجتني موظفة التحريّات الاجتماعية من ألف عرضٍ وعرضٍ لم يكن أيها حقيقيًا، ثم أعلنت أنني صرّتُ سويًا، وكانت شديدة الفخر والسعادة.

(1) اختبار لقياس ذكاء الأفراد، وضع في جامعة ستانفورد بناء على اختبار وضعه العالم الفرنسي ألفريد بينيت.

(2) اختبار ذكاء وضعه العالم الأمريكي ديفيد وشلر.

ها هي قد أعادتني إلى ضوء النهار وقد سُفيت.

لقد التأمّت جراحك، انطلق، تحرّك، إنك لمعجزة لعِلْم النَّفس الحديث.

انهض...

الدكتورة فرانكنشتاين ووحشها...

العَرَضُ الجانبي الوحيد الآن أنني أسرق. ما قرأته في (مقدّمة في الكلپتومانيا) كان أفضل من أن أتجاهله، حتى الليلة على الأقل.

اليوم أمشي في وسط المدينة بعد عشر سنواتٍ وألتقط إيصلاً آخر من على الأرض ثم أتخلّص منه. بعد عشر سنواتٍ من مواراة مشاكلني كي لا تعبث موظّفة التحريّات الاجتماعيّة بها، كل ما عليّ فعله هو أن أرقص التشا-تشا مع فتاةٍ ما فأجد رغبتني المزمّنة في السرقة اختفت. اضطرابي الوحيد الذي عزفت عن إخبارها به عالّجته فتاة غريبة.

كل ما فعلناه هو الرقص. تكلمت فرتيليتي عن أخيها وكيف كانت الـFBI تراقب هاتفه، فتسمع صوت الكليك-كليك-كليك إياه المميّز لسرائط تسجيل الحكومة في خلفيّة المكالمة كلما هاتفته. كانت تعرف أن ترفور سينتحر من قبل أن يفعل، إذ كان هذا حلمها الأول بالمستقبل. رقصتُ وفرتيليتي لفترةٍ أطول ثم أعلنت أنها ستغادر، لكن ليس قبل أن تعد بأن نلتقي الأربعاء القادم في المكان نفسه والوقت نفسه. ستكون هناك.

اللية أنتقل من عمود إنارة إلى آخرٍ بخطوة الفوكس-تروت، وفي عقلي أسمع أنغام الفالس، وذكري فرتيليتي هوليس بين ذراعيّ ورأسها مستريحٌ على صدري لا تفارقني. هكذا أعود إلى شقّتي، وقبل أن أبلغها أسمع الهاتف يرن بالفعل بلا توقّف. لعله شخص يعاني من الفصام أو البارانويا أو الهدوفيليا.

أريد أن أقول للمتَّصل إنني مررتُ بهذا، فعلتُ ذلك.
ولعلها فرتيليتي تريد أن تتكلَّم معي عن رقصة اليوم وقد استعدت
لإعطائي انطباعها الثاني عني.

لعلها ستُخبرني بالشيء الشنيع الذي تفعله مقابل المال.
بمجرد أن تفتح أبواب المصعد أركض إلى الشقة لأجيب الهاتف.
ألو؟

ما زال باب الشقة مفتوحًا ورائي. السَّمكة تحتاج إلى طعام، والستائر
مفتوحة وقد بدأ الظلام يهبط بالخارج، فيمكن لأيِّ أحدٍ أن يرى الشقة
من الداخل.

يقول رجل على الطرف الآخر من الخط:

- «عسى أن تُقدِّم دائمًا خدمة كاملة مُطلَّقة».

فأجيب بدون تفكير:

- «المجد والثناء لله في هذا اليوم الذي نكدح فيه».

فيقول:

- «عسى أن تُدخِل جهودنا جميع من حولنا الجنة».

فأسأل: من المتَّصل؟

ويجيب:

- «عسى أن تموت وقد اكتمل عملك».

ويُغلق الخط.

ثمة طريقة لتلميع معدن الكروم بماء الصودا. لتنظيف مقابض السكاكين المصنوعة من العاج أو العظام، تُفرك بعصير الليمون والملح. لإزالة لمعة الكواء عن بذلة، يُبلل القماش بخليطٍ من الماء والأمونيا، ثم تكوى البذلة تحت قماشة مبلّلة.

السرواء طهي البيف بورجينو المثالي هو إضافة بعض قشر البرتقال. لإزالة بقع الكرز، تُفرك بثمره ناضجة من الطماطم ثم تُغسل بالطريقة العادية.

الفكرة ألا تصاب بالذعر...

لاحتفاظ السراويل بطيئة مثالية، تُقلب إلى الخارج وتُفرك الطيئة من الداخل بقطعة من الصابون، ثم يُقلب السروال إلى الداخل مرةً أخرى ويكوى بالطريقة العادية.

الفكرة أن تظل مشغولاً...

على الرغم من أن القاتل أتصل بي، إلا أنني ما زلت أفعل كل شيء أفعله كالمعتاد.

الفكرة ألا تسمح لخيالك بأن يسرح بعيداً...

لا أستطيع النوم وأنظف طوال الليل. أضع صينية من الأمونيا في الفرن لتنظيفه. من الأساليب الأخرى للحفاظ على طيئة سروالك أن تُبلل قماش الكواء بالماء والخل. أُخرج قذارة الحديقة من تحت أظفاري. سوف أحتقن من رائحة الأمونيا إذا لم أفتح النافذة.

حسن، هناك شيء آخر.

موظفة التحريات الاجتماعية مفقودة. أتصل بها كل عشر دقائق في مكتبها ولا ترد علي رسالة مسجلة منها. للمرة الأولى منذ عشر سنوات أتصل بها وكل ما أسمعه هو «الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة».

أقول إن المعتوه الذي أخبرني عنه أتصل بي.

أتصل بمكتبها ليلاً كل عشر دقائق.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة.

يجب أن توفر لي حماية.

وآلة الرد على المكالمات لديها لا تجعلني أكمل الرسالة إلى آخرها،

فأعود للاتصال.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة.

أحتاج إلى حراسة مسلحة من الشرطة على مدار الساعة.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة.

أحدهم قد يكون في الطرقة الخارجية، وأنا أريد دخول الحمام.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة.

القاتل الذي أخبرني عنه يعرف من أكون. لقد أتصل بي ويعرف أين

أسكن. إن رقم هاتفي معه.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة.

أتصلي بي، أتصلي بي، أتصلي بي!

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة.

إذا وجدوني متحرراً صباح الغد، فأنا في الحقيقة قُتلت.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصفارة.

إذا وجدوني ميتًا بعد أن قام أحدهم بشواء رأسي في الفرن، فالسبب أنها لا تتفقّد رسائلها أبدًا.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصَّفارة.

أقول للآلة إن هذا حقيقي، إنها ليست أوهامًا أو ضلالات. لقد عالجتني منها، أليس كذلك؟

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصَّفارة.

هذا ليس خيالًا، ولست أهلوس. لك أن تُراهني على هذا.

الرجاء ترك رسالة بعد سماع الصَّفارة.

ثم ينتهي شريط التسجيل...

أظل مستيقظًا طوال الليل أصغي إلى كلِّ صوتٍ وقد حرَّكت الثلاثة وسددت بها باب الشقَّة. أريد دخول الحَمَّام لكن ليس إلى درجةٍ تجعلني أخاطر بحياتي. يتحرَّك الناس في الطُّرقة الخارجيّة لكن لا أحد منهم يتوقَّف ولا أحد يلمس مقبض الباب طوال الليل. يرن الهاتف ويرن، وأضطر للردِّ في كلِّ مرَّة عسى أن تكون مكالمة من موظِّفة التحريّات الاجتماعيّة، لكنها ليست هي في كلِّ مرَّة، بل موكب البؤس الإنساني التقليدي: الفتيات الحامل دون زواج، أصحاب المعاناة المزمنة، المدمنون. عليهم الإدلاء باعترافهم بأسرع ما يمكن لأنني لا أريد أن يظل الخط مشغولًا طويلًا.

كلُّ مكالمةٍ أتلقها تملأني بالبهجة والرَّعب، بما أن المتَّصل قد يكون موظِّفة التحريّات الاجتماعيّة أو القاتل.

في خِصْمٍ هلعي تتصل فرتيليتي وتقول:

- «هذه أنا. ظللت أفكّر فيك طوال الأسبوع. أردت أن أسألك إن كان لقائنا يخالف القواعد أو ما شابه. أريد أن أراك حقًا».

ما زلت أرهف سمعي لأي خطوات أقدام وأنا أتوقَّع أن أرى ظلًا

يحجب الضوء المتسرّب من تحت عتبة الباب، وأرفع ستارة النافذة لأرى إن كان هناك أحد على سُلّم الحريق. أسألها: ماذا عن صديقها؟ ألم يكن من المفترَض أن تلتقي به مرّة أخرى اليوم؟
- «آه، هو. بلى، رأيتَه اليوم».

وماذا؟

- «تفوح منه رائحة العطر النسائي وسپراي الشعر. لست أرى ما رآه أخي فيه فعلاً».

العطر وسپراي الشعر كانا من عملي مع الزهور الصناعيّة، لكنني لا أستطيع أن أخبرها بذلك.

- «وكان هناك طلاء أظفار أحمر مخدوش على أظفاره».

كان الطلاء الأحمر الذي لمّعت به الورد.

- «ولا يجيد الرقص إطلاقاً».

مقتلي الآن قد يكون مبالغةً لا شكّ فيها.

- «وأسنانه غريبة الشكل. ليست مسوّسة أو عفنة، لكن صغيرة

معوّجة».

يمكنك أن تطعني بسكّين في قلبي الآن وستجده متوقّفاً بالفعل.

- «ولديه هاتان اليدان المقزّزتان الشبهتان بيدي قرد».

مقتلي الآن سيكون نسيماً ربيعياً أرْحَب به.

- «أعتقد أن هذا معناه أن قضيه صغير للغاية».

إذا واصلت فرتيليتي الكلام سيقل عدد عملاء موظّفة التحريّات الاجتماعيّة واحداً مع حلول الصباح.

- «هو ليس بديناً جداً. أعني أنه ليس فيلاً، لكنه مع ذلك بديناً أكثر من

اللازم».

آملًا أن يكون هناك قنّاص في الخارج، أفتح ستارة النافذة وأقف فيها بكامل جسدي البدين المقرّز. أرجوكم، أريد أحدًا ببندقية وعدسة. أطلق عليّ النار هنا، في قلبي الكبير البدين، في قضيب الضئيل.

- «إنه ليس مثلك في شيء».

أظنها ستندهش من كمّ التشابه بيننا.

- «أنت شديد الغموض».

أسألها: لو كان هناك شيء واحد يمكنها تغييره في رفيق الضريح، فماذا يكون؟

- «أن يكف عن إزعاجي فقط، فيريحني من عناء قتله».

حسن، لست وحدك يا عزيزتي. تفضّلي، كوني ضيفتي. خذي رقمًا وقفي في الصّف.

تقول وقد انخفض صوتها وصارت به بحة:

- «لكن انس أمره. أتصلت لأنني أريد أن أصل بك إلى الذروة. قل لي ما تريدني أن أفعله. اجعلني أفعل شيئًا شنيعًا».

الفرصة تطرق الباب...

ها هو الجزء الثاني من خطّتي الكبرى.

سأذهب إلى الجحيم بسبب هذا، لكنني أقول لها إن هذا الرجل الذي تكرهه، أريدها أن تُضاجعه حتى يطير صوابه ثم تحكي لي كلّ شيء».

- «مستحيل».

سأغلق الخط إذن.

- «مهلاً. ماذا لو أتصلت بك وقلت كلّ هذا كذبًا؟ قد ألق القصة كلها ولن تعرف».

أقول لها إنني سأعرف.

- «مستحيل أن أنام مع ذلك الأحمق».

- ماذا لو قبّلتَه فقط إذن؟

- «لا».

- ماذا لو خرجت معه فقط إذن؟ يمكنها الخروج معه ذات نهارٍ على

الأقل. أخرجيه من الضَّرِيح وقد يبدو أفضل في نظرك. اذهبا في نزهة.
افعلا شيئًا ممتعًا.

- «وهل ستُقابلني عندها؟».

- بكلِّ تأكيد.

توقظني الشمس حيث ربضت بجوار الموقد وقد قبضت على سكين
الجزارة. ما أشعر به الآن يجعل فكرة مقتلي لا بأس بها أبدًا. ظهري
يؤلمني، وعيناي كأنك شققتهما بموسى.

أرتدي ملابسي وأذهب إلى العمل جالسًا في المقعد الأخير من
الحافلة حيث لا يستطيع أحد الجلوس ورائي بسكين أو سهم مسموم
أو سلك بيانو.

أجد سيارة موظفة التحريّات الاجتماعية مركونة عند المنزل الذي
أعمل به، وعلى العشب تتجول مجموعة من الطيور الحمراء. السماء
زرقاء كما تتوقّعها تمامًا، ولا شيء يبدو خارج المألوف. داخل المنزل
أجد موظفة التحريّات الاجتماعية جاثية على أربع تحك سيراميك
المطبخ بخليطٍ قويٍّ للغاية من المبيّض والأمونيا يجعل الهواء حولها
مفعمًا بالسُّموم التي تجعل عينيّ تدمع.

تقول وهي تُنظّف السيراميك:

- «أمل أنك لا تمنع. قرأت في دفترك أنك ستفعل هذا اليوم، فجئت
مبكرةً قليلًا».

المبيّض + الأمونيا = غاز الكلورين المميت.

أسألها والدموع تجري على وجهي إن كانت قد تلقت رسائلتي. أغلب
أنفاسها تلتقطها من خلال سيجارة، فلا بُد أن العادم لا يؤثر فيها على
الإطلاق.

- «لا، لم أذهب اليوم وأبلغتهم أنني مريضة. كلُّ هذا التنظيف مُرضٍ حقًا. هناك قهوة وبعض الكعك الذي خبزته. استرخ».

أسأل: ألا تريد أن تسمع كلَّ ما لديّ عن مشاكلي؟ تُدوّن بعض الملاحظات؟ لقد أتصل بي القاتل ليلة أمس وظللت مستيقظًا طوال الليل. لقد اختارني ليقطنني. لكن حاشا لله أن تكفَّ عن تنظيف الأرضية وتنهض لتتصل بالشرطة من أجلي.

تقول وهي تُسقط الفرشاة في الدلو:

- «لا تقلق. لقد وثب معدّل الانتحار وثبة كبيرة ليلة أمس. لهذا لم أستطع مواجهة المكتب اليوم».

الطريقة التي تحك بها الأرضية ستجعلها مستحيلة التنظيف بعد ذلك، فمجرّد أن تزيل الطبقة اللامعة لأرضية مصنوعة من خامة الفايبل بمادة مؤكسدة - كالمبيض - فقد انتهى الأمر. عندما تنتهي ستصبح الأرضية كلها مسرّبة للسوائل، وستعلق البقع بكلّ شيء. طبعًا لن أقول لها شيئًا من ذلك، فهي تحسب أنها تقوم بعملٍ ممتاز.

أسألها: كيف يحافظ معدّل الانتحار المرتفع على حياتي؟

- «ألا تفهم؟ لقد فقدنا أحد عشر عميلًا ليلة أمس، وتسعة في الليلة التي قبلها، وثلاثة عشر في الليلة التي قبلها. ما نواجهه الآن هو اكتساح».

إذن؟

- «بأعداد كهذه كل ليلة، إذا كان هناك قاتل، فإنه لن يحتاج لقتل أحد». وتبدأ في الغناء. لعل تأثير غاز الكلورين المميت قد بدأ. تحك الأرض بحركة راقصة صغيرة كي تتماشى مع غنائها، وتقول:

- «قد لا يبدو هذا لائقًا، لكنني أهنتك».

أنا آخر الكريديش:

- «أنت على وشك أن تُصبح الناجي الأخير».

أسألها كم تبقى منا، فتجيب:

- «واحد في هذه البلدة، وخمسة على مستوى البلاد».

أقول لها أن نلعب كالأيام الخوالي. دعينا نفتح (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسِيَّة) ونتقي طريقة جديدة لي أجن بها. هيا بنا، على سبيل استعادة الذكريات. أحضري الكتاب.

تنهَّد وتنظر إلى انعكاس وجهي الغارق في الدموع في بركة الماء المتسِّخ على الأرض وتقول في ملل:

- «اسمع، إن لديَّ عملاً حقيقياً أقوم به هنا. كما أن الكتاب ضائع، لم أره منذ عدَّة أيام».

وتواصل الحكَّ وتضيف:

- «ولا أفقده في الحقيقة».

حسن، أعترف بأن هذه السنوات العشر كانت صعبة. إنها تشعر بالضغط. كل عملاتها تقريباً ماتوا. لقد احترقت تماماً وترى أنها فاشلة. إنها تعاني مما يصفونه بالعجز المُكتسب.

تقول وهي تحك الأرض بقوة في آخر بُقعة لا يزال الفايبل فيها سليماً:

- «بالإضافة إلى أنني لا أستطيع أن أظل أمسك يدك كالأطفال إلى الأبد. لا يمكنني أن أمنعك إذا أردت أن تقتل نفسك، ولن يكون هذا خطأي. سجلاتي كلها تقول إنك سعيد سوي، ولدينا الاختبارات. هناك دليل دامغ يُثبت كل هذا».

الغامد يجعل الدموع تسيل من عينيَّ أكثر وأكثر.

تقول:

- «اقتل نفسك أو لا تقتل نفسك، لكن كُفَّ عن تعذيبِي. إنني أحاول

مواصلة حياتي».

تقول:

- «الناس في أمريكا يقتلون أنفسهم كل يوم، وليس من الضروري أن تسوء المشكلة لمجرد أنني أعرف واحداً منهم».

تقول:

- «ألا تحسب أن الوقت قد حان لتتولَّى أمر نفسك؟».

كانت الشائعة تقول إن عليك أن تعتصر ضفدعة حتى الموت بيدك العارية، وأن تأكل دودة أرض حية. كي تُثبت أنك تتحلّى بالطاعة تمامًا كالنبي إبراهيم عندما أمره الله بالتّضحية بابنه، عليك أن تقطع إصبعك الخنصر بالبلطة.

هكذا كانت تقول الشائعة على كلِّ حال.

بعد ذلك، عليك أن تقطع خنصر أحدٍ آخر.

لم تكن ترى أحدًا بعد أن يتم تعميده، ومن ثم لم تكن تعرف إن كان لا يزال يحتفظ بخنصره أم لا، ولم يكن بإمكانك أن تسأله إن كان قد اعتصر ضفدعة حتى الموت أم لا.

بمجرّد تعميديك تركب شاحنة وتغادر المستعمرة ولا تراها مرّة أخرى أبدًا. تتجه الشاحنة إلى العالم الخارجي الشرير حيث وظيفتك الأولى الجاهزة لك بالفعل، العالم الخارجي الكبير بكلِّ ما فيه من خطايا جديدة رائعة. وكلما أبلت بلاءً أحسن في الاختبارات، كلما حصلت على وظيفة أفضل.

كان كبار الكنيسة يُخبرونك من البداية إن كنت شديد البدانة أو شديد النحول بالنسبة لطولك، ويُخصّصون كامل العام السابق لتعميدك كي تصبح مثاليًا من جميع النواحي. تُعفى من العمل في البيت كي تحضر الدروس الخاصّة طوال اليوم؛ دروس الإنجيل ودروس التنظيف والإتيكيت والعناية بالأقمشة، وأنت تعرف الباقي. إذا كنت بدينًا تأكل طعامًا خاصًا لتفقد الوزن، وإذا كنت نحيلًا تأكل فقط.

طوال العام السابق للتعמיד، كل شجرة تراها وكل صديق وكل شيء تحيط به هالة تقول لك إنك لن تراها ثانية أبداً.

من خلال ما درست، كنت تعرف نوع الاختبارات التي ستخضع لها، وفيما عدا هذا كانت شائعة أخرى تقول إن هناك المزيد مما لا نعرفه سيحدث.

عرفنا من الشائعات المتناقلة أنك ستكون عارياً كما ولدتك أمك في أحد مراحل التعמיד، وسيضع أحد كبار الكنيسة يده عليك ويطلب منك أن تسعل، ثم يضع كبير آخر إصبعه في فتحة شرجك، بينما يُتابعك كبير ثالث ويُدوّن النتائج على بطاقة.

لم نكن نعرف كيف من المفترض أن نستذكر لاختبار المئانة!

كنا نعرف أن التعמיד يتم في قبو دار الاجتماعات. كانت البنات تذهبن إلى التعמיד في الربيع في حضور نساء الكنيسة فقط، والأولاد في الخريف ومعهم الرجال فقط، يأمرونك بأن تقف عارياً على الميزان ويطلبون منك أن تتلو آية من الكتاب المقدس.

أيوب 5:14: «فَإِنْ كَانَتْ أَيَّامُهُ مَحْدُودَةً، وَعَدَدُ أَشْهُرِهِ مَكْتُوباً لَدَيْكَ، وَعَيْنَتْ أَجَلُهُ فَلَا يَتَجَاوَزُهُ».

ويجب أن تتلوها عارياً.

سفر المزامير 101، مز مور داود، الآية الثانية: «أَسْلُكُ بَتَعَقُلٍ فِي طَرِيقِ الْكَمَالِ. مَتَى تَأْتِي يَا رَبُّ لِمُعُونَتِي؟ أَسْلُكُ فِي وَسْطِ بَيْتِي بِاسْتِقَامَةٍ قَلْبِي».

يجب أن تتعلم كيف تصنع أفضل المناشف لمسح الغبار (تُقَع الخرقه في زيت التربنتينة المخفف، ثم تُعلَق لتجف)، وأن تعرف كيف تُثَبَّت عمود بوابة طوله ستة أقدام كي يتحمّل بوابة عرضها خمسة أقدام. يعصّب كبير آخر من كبار الكنيسة عينيك ويعطيك عيناتٍ من الأقمشة لتحسّسها لتعرف أيها مصنوع من القطن أو الصوف أو مزيج من القطن والألياف.

يجب أن تتعرّف على أنواع نباتات الزينة والبّقع والحشرات وتُصلح أدوات المطبخ الصغيرة وتكتب الدعوات بخطّ أنيقٍ منمّق.

خمنًا نوعيّةً بعض الاختبارات التي سنمر بها من المواضيع التي درسناها في المدرسة، أما البعض الآخر فجاءت أخباره من بعض الأولاد الذين لم يكونوا يتحلون بالكثير من الذكاء. أحيانًا قد يُسرّب لك أبوك معلومة من الباطن كي تُحرز نتائج أفضل وتحصل على وظيفة أفضل بدلًا من حياةٍ من البؤس، ثم تُخبر أصدقاءك فيُخبر أصدقاؤك بعضهم البعض، وهكذا تجد أن الجميع يعرفون المعلومة نفسها في النهاية. لم يكن أحدنا يريد أن يكون سببًا في إحراج عائلته، ولم يكن أحدنا يريد أن يقضي حياته في إزالة العفن المتراكم على الأسقف والجدران.

يجعلك كبار الكنيسة تقف في مكانٍ تقرأ منه رسمًا بيانياً موضوعًا في نهاية قاعة الاجتماعات لقياس قوّة بصرك، ثم يُعطونك خيطًا وإبرة ويحسبون الوقت الذي تقوم فيه بخياطة زرٍّ مقطوع.

كنا نعرف نوع الأعمال التي سنقوم بها في العالم الخارجي الشرير مما كان الكبار قالوه لإخافتنا أو إلهامنا، لا أدري. كي يجعلوننا نبذل جهدًا أكبر في العمل كانوا يحكون لنا عن وظائفٍ رائعةٍ في حدائقٍ أكبر من أيّ شيءٍ نتخيّله في هذا الجانب من العالم، وعن وظائفٍ في قصورٍ تجعلك تنسى أنك داخل مكان له حدود من فرط ضخامتها. تلك الحدائق هي مُدُن الملاهي، والقصور هي الفنادق.

وكي يجعلوننا نستذكر أفضل وأفضل، كانوا يحكون لنا عن وظائفٍ تقضي فيها سنواتٍ في تنظيف البالوعات أو حرق النفايات أو رشّ السُّموم. قالوا لنا إن هناك وظائفٍ شنيعة حقًا تجعلك تركض لتقابل الموت القادم لك في منتصف الطريق. وهناك وظائفٍ تصيبك بمللٍ مقيم تجعلك تصيب نفسك بعلةٍ ما فقط كي لا تعمل.

هكذا كنت تحفظ كل ما تتعلمه طوال عامك الأخير في مستعمرة مقاطعة الكنيسة عن ظهر قلب.

الجامعة 10:18: «مِنْ جَرَاءِ الْكَسَلِ يَنْهَارُ السَّقْفُ، وَبِتِرَاحِي الْيَدَيْنِ يَسْقُطُ الْبَيْتُ».

مراثي إرميا 5:5: «دَاسَ مُضْطَهِدُونَا أَعْنَاقَنَا، أَعْيَيْنَا وَلَمْ نَجِدْ رَاحَةً».

لمنع اللحم المقدد من التجعد، يوضع في المجمد لبضع دقائق قبل تحميره.

يُمرَّر مكعب ثلج على وجه رغيف اللحم كي لا يتشقق وهو يُخبز.

للحفاظ على تموج الدانتيل، تُكوى بين ورقتين من الورق الشمعي. انشغلنا بالتعليم، إذ كانت هناك مليون حقيقة وتفصيلا علينا أن نتذكرها، وحفظنا نصف العهد القديم.

حسبنا أن كل هذا التعليم سيجعلنا أذكياء، لكن ما فعله هو العكس بالضبط.

مع كل هذه الحقائق الصغيرة التي تعلمناها لم نجد وقتا للتفكير قط، ولم نفكر أحدنا كيف ستكون الحياة ونحن ننظف وراء أحد الغرباء كل يوم. نغسل الأطباق طوال اليوم، نُطعم أطفالهم، نجز الحشائش طوال اليوم، نطلي المنازل عاما بعد عام، نكوي ملاءات الأسرة.

إلى أبد الأبدين...

عمل بلا نهاية...

كل واحد منا كان راغبا أيما رغبة في اجتياز الاختبارات بتفوق، لكننا لم نفكر لحظة في الحياة بعد التعميد.

كل واحد كان قلقا من أسوأ مخاوفه، اعتصار الضفادع وأكل الدود والسَّم والوظائف الحقيرة، فلم نتخيل كم ستكون الحياة مملّة حتى إذا نجحنا وحصلنا على وظائف جيّدة.

نغسل الأطباق إلى الأبد...

نُلَمِّع الفضيات إلى الأبد...

نجز الحشائش...

كُرِّر.

في الليلة السابقة للتعميد أخذني أخي آدم إلى الشُّرفة الخلفية في منزل عائلتي ليقص شعري، وفي الوقت نفسه كانت كل عائلة لها ابن في السابعة عشرة من عمره تقص شعره القَصَّة ذاتها بالضبط، وفي العالم الخارجي الشرير يعرفون هذا باسم التوحيد القياسي للمتجات. قال لي أخي ألا أبتسم، وأن أقف منتبهاً وأجيب على أيِّ سؤالٍ بصوتٍ واضح، وفي العالم الخارجي يعرفون هذا باسم التسويق.

كانت أمي تضع ملابسني في حقيبةٍ لآخذها معي، وتظاهر كلنا بالنوم تلك الليلة.

قال لي أخي إن ثَمَّة خطايا في العالم الخارجي الشرير لا تعرف الكنيسة عنها ما يكفي لتحريمها، فلم أطق الانتظار.

وكان تعميدنا في الليلة التالية، وفعلنا كلَّ شيءٍ توقَّعناه، ثم لا شيء. فقط عندما تصير مستعداً لبتري إصبعك وإصبع الولد الواقف إلى جوارك لا يحدث أي شيء. بعد أن جهَّزوك وتحسَّسوك ووزنوك واختبروك في الإنجيل والأعمال المنزلية يقولون لك أن ترتدي ملابسك.

هكذا أخذت حقيبتك وخرجت من دار الاجتماعات إلى الشاحنة المنتظرة بالخارج، وانطلقت الشاحنة في قلب الليل إلى العالم الخارجي الشرير حيث لن يراك أحد تعرفه ثانيةً أبداً. لم تعرف أبداً الدرجات التي حصلت عليها، وحتى لو عرفت أنك أبلت بلاءً حسناً، فلم يكن هذا الإحساس الجيد ليستمر معك طويلاً، فهناك عمل ينتظرك بالفعل.

حاشا لله أن تصاب بالملل وترغب في ما هو أكثر.

كانت تعاليم الكنيسة أن تقضي ما تبقي من حياتك في مزاوله العمل
نفسه، في الوحدة نفسها، دون أن يتبدل شيء. كل يوم. هذا هو النجاح.
تفضل بتسلم الجائزة.

تعجز الحشائش...

وتعجز الحشائش...

وتعجز الحشائش...

والآن كرر.

إنها دعابة كبيرة لا أكثر.

على متن الحافلة في الطريق إلى موعدنا الثالث، أجلس و فرتيليتي أمام رجل ما، عندما نسمع من مذياع أحدهم المفتوح أن درجة الحرارة اليوم 80 أو 90 فهرنهايت، وهي درجة حرارة مرتفعة للغاية بالنسبة لشهر يونيو في أيِّ مكان، ونافذة الحافلة مفتوحة وتأتي منها رائحة المرور بالخارج لتصيني بالغيثان قليلاً، والمقاعد ساخنة تمامًا كأيِّ شيء تلمسه في الجحيم. كان استقبال الحافلة إلى وسط المدينة فكرة فرتيليتي. إنها الظهيرة، لذلك لا تجد في الشوارع إلا العاطلين أو ذوي الوظائف الليلية أو المجانين مرضى متلازمة توريت. إنه موعد خروجنا معًا طالما ترفض أن تنام معي أو تُقبّلني حتى. مستحيل، قالت.

لا أعرف مَنْ الجالس في المقعد ورائنا. لم يكن أحدًا جديرًا بالملاحظة، مجرد رجل أشقر يرتدي قميصًا. إذا ضغطت عليّ أكثر، فقد أقول إنه قبيح كذلك. لا أذكر حقًا. تمر الحافلة بالضّريح كلّ خمس عشرة دقيقة، وقد ركبناها للتو بعد لقائنا عند السرداب رقم 678 ككلّ مرّة.

أذكر الدعابة، فهي دعابة قديمة. تمر بيوت المدينة بنا خارج الحافلة وراء سيّاراتٍ مركونة بطول الأرصفة وبين أسوارٍ معدنية تُحدّد ملكيّة هذا من ذاك، ويضع الأخ المازح رأسه بيني وبين فرتيليتي ويهمس:
- «ما الأصعب من تمرير الجمل من ثقب الإبرة؟».

إنك تجد هذه الدعابات في كلّ مكان، ومهما كانت تعوزها الطرافة فسوف تسمعها مرغمًا.

لا يرد أينا، فيقول هامسًا:

- «الحصول على تأمينٍ على الحياة لأحد أتباع الكنيسة الكيريدشية». الحقيقة أن لا أحد يضحك على هذه الدعابات سواي، ولا أضحك عليها إلا كي أتكيّف مع المجتمع حولي. أكثر ما يُقلِّبني من وجودي في مكانٍ عام أن يلاحظ الناس أنني ناج. لقد تخلّصت من ملابس الكنيسة منذ سنوات، فحاشا لله أن أبدو كواحدٍ من هؤلاء المخاييل الحمقى في منطقة الغرب الأوسط الذين قتلوا أنفسهم جميعًا لأنهم حسبوا أن إلههم يدعوهم إلى الديار.

أمي وأبي وتوأمي آدم وبقية إخوتي وأخواتي كلهم موتى تحت الأرض، مادة خصبة لإلقاء النكات، لكنني حيٌّ ولا يزال عليّ أن أحيأ في هذا العالم وأنسجم مع الناس من حولي. ولهذا أضحك...

لأنني يجب أن أفعل شيئًا، أصدر بعض الضجّة -أصيح، أصرخ، أبكي، أسبّ، أعوي- فأضحك. كلها أساليب مختلفة للتنفيس عن المشاعر.

هذه الدعابات في كلّ مكانٍ اليوم، ويجب أن تفعل شيئًا كي لا تقضي وقتك كله في البكاء، ولهذا أكون صاحب أصخب ضحكة.

يهمس الأخ المازح:

- «لماذا عبّر الكيريدشي الطريق؟».

لعله لا يُكلّمنا أصلًا.

- «لأنه لم ينجح في جعل أيّ سيارة تصدمه».

هدير الحافلة وراء الجميع إذ يدفعها المحرك في المؤخرة ويُخرج دخانًا كربه اللون والرائحة.

اليوم تنتشر كل هذه الدعايات بسبب الجريدة. من مكاني أرى العنوان الرئيس أسفل طيَّة الصفحة الأولى التي يقرأها خمسة أشخاص يطالعون جريدة اليوم: «عدد النَّاجين من طائفة الانتحار الجماعي في اندجار».

يقول المقال إن الستار يكاد يُسدَل على مأساة الانتحار الجماعي لأتباع الكنيسة الكيريدشيَّة التي وقعت منذ عشرة أعوام، ويقول إن آخر النَّاجين من الكنيسة الكيريدشيَّة، الطائفة التي اتَّخذت وسط نبراسكا مستقرًّا لها وانتحر أعضاؤها جماعةً بدلاً من مواجهة تحريات الـFBI وإثارة انتباه العامَّة—يقول إن ستة فقط منهم تبَقُوا. لا يذكرون أيَّ أسماء، لكن لا بُدَّ أني واحد من نصف الدسته الذي تبَقى على قيد الحياة. هناك تكملة للمقال في صفحةٍ داخلية، لكنك لا تحتاجها لمعرفة الخُلاصة. عندما تقرأ بين السطور ستجد أن لسان حال كاتب المقال هو: فليذهبوا إلى حيث أُلقت.

ليس هناك شيء مكتوب عن حالات انتحارٍ مشكوك في كونها قتلاً، لا شيء عن احتمال وجود قاتل يتتبع الستة الباقين.

ويهمس الأخ المازح:

- «مَنْ الكيريدشي ذو الشعر الأشقر؟».

أرُدُّ عليه في سريرتي قائلاً إنه الكيريدشي الميت. لقد سمعت كلَّ هذه الدعايات من قبل.

- «مَنْ الكيريدشي ذو الشعر الأحمر؟».

الميت.

- «مَنْ الكيريدشي ذو الشعر البني؟».

الميت.

- «ما الفارق بين الكيريدشي والجنَّة؟».

ساعاتٍ فقط.

- «ما الذي صرخ به الكريديشي عندما مرّت به عربة نقل الموتى؟».

تاكسي!

- «كيف تتعرّف على الكريديشي في حافلة مزدحمة؟».

يجذب أحدهم الحبل ليرن الجرس وتتوقّف الحافلة عند المحطة التالية.

وفجأة تلتفت إليه فرتيليتي وتصيح:

- «كفى!».

صوتها عالٍ يجعل الناس يلتفتون إلينا من وراء جرائدهم.

- «إنك تمزح في الانتحار، في الموت. تُلقِي دعاياتٍ عن أناسٍ أحبّهم ذووهم وماتوا. اخرس إذن!».

صوتها عالٍ حقاً وهي تقول هذا، وعيناها لامعتان رماديتان وإن بدّتا فضيَّتين. أتساءل إن كانت فرتيليتي كريدشيّة في الأصل، أو لعلها لا تزال منزعة من انتحار أخيها، فرد فعلها مبالغ فيه كثيراً. في هذه اللحظة توقّفت الحافلة ونهض الأخ المازح ليترجّل. كأننا في كنيسة بالضبط: المقاعد المصطفّة والممر في المنتصف. يرتدي أخونا هذا سروالاً فضفاضاً من الصوف البُنّي لا يمكن أن يرتديه إلا أحد النّاجين في هذا الحرّ وقد تقاطعت حمّالتنا السروال على ظهره وطوى السترة الصوفيّة البُنّيّة على ذراعه. يتحرّك في ممر الحافلة، ثم يتوقّف لحظةً وبعض الركّاب ينزلون ويمس حافة قبعته المصنوعة من القش. يبدو مألوفاً للغاية، لكن وقتاً طويلاً قد مضى. تفوح منه رائحة العرق والصوف والقش المميّزة للمزارع.

لا أذكر من أين أعرفه، لكنني أذكر صوته، صوته فوق كتفي وفي هاتفي.

«عسى أن تموت وعملك مكتمل».

وجهه هو الوجه الذي أراه في المرأة.

ودون أن أفكّر أهتف باسمه بأعلى صوتي.

آدم! آدم برانسن!

يسألني:

- «هل أعرفك؟».

لكنني أجيب بالنفي.

يتحرك صفّ النازلين مُبعدًا إياه أكثر، لكنه يقول:

- «ألم نكبر معًا؟».

وأجيب بالنفي.

الآن يقف عند باب الحافلة ويصيح:

- «ألست أخي؟».

وأصيح بالنفي.

ويختفي هو...

لوقا 22:34: «...حَتَّى تَكُونَ قَدْ أَنْكَرْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي!».

وتعود الحافلة إلى نهر الطريق...

لا يمكنني أن أصفه إلا بأنه قبيح، يبدو كغرباء الأطوار، زائد الوزن بعض الشيء، فاشل، مشير للشفقة في أفضل الأحوال، ضحية، أخي الأكبر بثلاث دقائق، كريدشي أصيل.

طبيعًا للغة جسدها، فإن كُتِب علم النفس كانت لتصف فرتيليتي الآن بأنها غاضبة مني لأنني ضحكت. ساقاها منعقدتان عند الرُكبة والكاحل، وتنظر من النافذة في تركيز كأن هناك فارقًا بين مكانٍ ومكان.

وطبيعًا لدفتر التنظيم اليومي، فمن المفترض أن أكون منشغلًا الآن بتلميع أرضية غرفة الطعام، ثم أنظف البالوعات وأنظف بقعة ما في ممر السيارة، بالإضافة إلى تقشير الهليون الأبيض من أجل العشاء الليلة. لا يجدر بي الخروج في موعدٍ مع الجميلة الغاضبة فرتيليتي هوليس حتى

لو كنت قد قتلت أخواها، وحتى لو كان صوتي على الهاتف يثيرها جنسياً حين أنها لا تطيقني شخصياً.

الحقيقة أنه لا يهم ما يجدر بي أن أفعله أو يفعله أيُّ ناجٍ آخر، فكلُّ ما تربّينا عليه يقول إننا فاسدون أشرار ملوثون.

هواء وسط المدينة الذي يتحرّك في الحافلة معنا ساخن كثيف مختلط بأشعة الشمس والجازولين المحترق. تمر بنا الزهور المزروعة في الأرض، ورود من المفترض أن تكون لها رائحة، حمراء وصفراء وبرتقالية، متفتحة عن آخرها لكن بلا تأثير.

كلُّ شيءٍ يمكننا أن نفعله هو خطأ طالما ما زلنا أحياء.

ما تشعر به هو أنك لا تملك أيَّ تحكُّم، أنه يتم نقلك من مكانٍ إلى آخر لا أكثر.

لا شيءٍ صحيحاً يمكنني فعله، وأخي التوأم يسعى إلى قتلي.

تبدأ مباني وسط المدينة في التكوُّم على الأرصفة وتبداً حركة المرور. ترفع فرتيليتي ذراعها وتجذب الحبل، فيقول الجرس: دينج! وتتوقّف الحافلة وترجّل منها أمام واحدٍ من المتاجر متعدّدة الأقسام. رجال ونساء صناعيون يقفون في الواجهات يرتدون أحدث الملابس، يتسمون، يضحكون، يتظاهرون بأنهم يقضون وقتاً مرحاً. أعرف كيف يشعرون بالضبط.

الملابس التي أرتديها عبارة عن سروالٍ تقليدي وقميص كاروهات، لكنهما ملك الرجل الذي أعمل لديه. كنت قد قضيت الصباح كله في الطابق العلوي أجرب تشكيلاتٍ مختلفة من الملابس وأهرع إلى الطابق السفلي حيث تقوم موظفة التحريّات الاجتماعية بتنظيف أغطية المصايح القماشية بالمكنسة الكهربائية لأسأله عن رأيها.

ثمّة ساعة كبيرة فوق باب المتجر تنظر إليها فرتيليتي وتقول:

- «أسرع. يجب أن نكون هناك في الثانية على الأكثر».

وتضع يدي في يدها الباردة الجميلة الجافة حتى في هذه الحرارة،
ونندفع عبر الأبواب إلى الهواء المكيف والطابق الأول الحافل بأكوام
السُّلع على الطاولات أو داخل الخزائن الزجاجية المغلقة.

تقول فرتيليتي وهي تحتوي يدي وتضغط عليها ساحبةً إياي:

- «إلى الطابق الخامس».

نرتقي السلالم الكهربائية. الطابق الثاني، ملابس الرجال. الطابق
الثالث، ملابس الأطفال. الرابع، ملابس الأنسات. الخامس، ملابس
السيدات.

نسمع هذا النوع المألوف من الموسيقى المسجلة القادمة من فتحات
في السقف. إنها موسيقا التشا-تشا. خطوتان بطيئتان وثلاث خطوات
سريعة. هناك خطوة متقاطعة ثم تدور الراقصة تحت ذراع الراقص كما
علّمتني فرتيليتي.

ليس هذا اللقاء الذي توقّعت. الملابس مطوية على الرفوف أو معلقة
على المشاجب، والبائعون متأنقون يخطون هنا وهناك ويعرضون
المساعدة. لا شيء من هذا لم تسبق لي رؤيته.

أسأل: هل تريدان الرقص هنا؟

- «لا تستعجل رزقك».

في البدء كانت رائحة الدخان...

تشير فرتيليتي إليّ أن أتبعتها إلى غابة من الفساتين الطويلة المعروضة
للبيع.

ما حدث بعد ذلك أن الأجراس بدأت في الدقّ واندفع الناس نحو
السلالم الكهربائية التي توقفت عن العمل، فهُرعوا نازلين عليها كما
السلالم العادية. ينزلون على سلالم الصعود فيبدو لي هذا خطأ تمامًا

كانه مخالفة القانون. تُفرغ إحدى البائعات خزانتها في كيسٍ، وتنظر عبر الطابق إلى مجموعةٍ من الواقفين عند أحد المصاعد يتطلعون إلى لوحة الأرقام ويحملون أكياسًا كبيرة لامعة مليئة بالمشتريات. ما زالت أجراس الإنذار تدقُّ والدخان كثيف جدًا.

تصيح البائعة:

- «لا تستخدموا المصاعد. إنها تتوقف إذا كان هناك حريق. استخدموا السلالم».

ثم تهرع نحوهم عبر متاهة الفساتين المعلقة وقد دسَّت الكيس تحت ذراعها كما يفعل اللاعب الظهير في كرة القدم، وتسوقهم نحو باب الخروج.

ثم لا يتبقى إلا أنا وفرتيليتي، وتومض المصاييح مرّاتٍ أخيرة قبل أن تنظفني تمامًا.

في الظلام يحيط بنا الدخان وحكّة المخمل المقصوص وبرودة الحرير ونعومة القطن وخشونة الصوف في الفساتين المعلقة، وأشعر ببرودة يد فرتيليتي التي تضم يدي وهي تطلب مني ألا أقلق، وفي وجوهنا تلمع لافتات الخروج الخضراء في الظلام.

وتدقُّ الأجراس...

- «حافظ على هدوئك».

وتدقُّ الأجراس...

- «في أيّ لحظة الآن».

ثم ينطلق الوميض البرتقالي الزاهي في الظلام على الجانب الآخر من الطابق محيلًا كلَّ شيءٍ إلى أشكالٍ غريبة من البرتقالي والأسود، وتحوّل الفساتين والسراويل المعلقة هنا وهناك إلى أشباح آدمية ذات أذرعٍ وسيقانٍ ينفجر منها اللهب، ونجد ألف شبحٍ محترقٍ يزحف نحونا،

والأجراس تدقُّ بصخبٍ شديدٍ يُشعرك بالهلع، لكن يد فرتيليتي الباردة هي الشيء الوحيد الذي يُبقيني في مكاني ويحافظ على رباطة جأشي.
- «في أي لحظة الآن».

الحرارة قريبة تشعر بها تلفحك، والدخان كثيف يجعلك تذوّقه على لسانك، وعلى بُعد أقل من عشرين قدمًا تبدأ الفزاعات الأثوية المُشكّلة من الفسّاتين المعلّقة على المشاجب في الاحتراق والسقوط على الأرض. يصبح التنفّس عسيرًا، ولا أستطيع إبقاء عيني مفتوحتين.
والأجراس تدقُّ...

أشعر بملاسي جافّة تكاد تحترق على جسدي. النار بهذا القرب إذن.
تقول فرتيليتي:

- «ليس هذا رائعًا؟».

أرفع يدي لتصنع حاجزًا من البرودة بين وجهي ورفّ الملابس المصنوعة من الرايون القريب منا. هذه هي الطريقة الأفضل لاختبار نوعية القماش، أن تسحب منه خيطًا وتضعه على اللهب، فإذا لم يحترق فهو صوف، وإذا احترق ببطء فهو قطن، وإذا اشتعل في الحال مثل السراويل القريبة منا التي تأجّجت تمامًا فهو قماش صناعي، بوليستر أو رايون أو نايلون.

تقول فرتيليتي:

- «الآن».

ثم يسود البرد قبل أن أعرف السبب وأشعر بالبلل يغمرنني فجأة. الماء ينهمر من السقف، ويخفق الضوء البرتقالي أقل فأقل إلى أن يتلاشى تمامًا، ويختفي الدخان من الهواء رويدًا رويدًا. واحدًا تلو الآخر تضییء الكشّافات لثرينا ما تبقى من ظلالٍ ضخمة من الأبيض والأسود، وتتوقّف الأجراس عن الدق، وتعود موسيقا التشا-تشا.

تقول فرتيلىتي:

- «رأيت كل هذا يحدث في حلم. لم تكن في خطرٍ حقيقي أبداً».

تماماً كما حدث معها وترفور على متن السفينة نصف الغارقة.

- «الأسبوع القادم سينفجر مخبز شهير. هل تريد أن نذهب ونتفرّج؟

لقد رأيت ثلاثة أو أربعة أشخاص على الأقل يلقون مصرعهم».

شعري وشعرها وملابسي وملابسها خالية تماماً من أي حروقٍ أو آثار

حروق.

دانيال 3:27: «فوجدوا أنّ النارَ لم تؤذِ أجسامهم، ولم تحترق شعرةٌ

من رؤوسهم، ولم تسيط نيابهم، ولم تعلق بهم رائحة النار».

أفكر أنني مررتُ بهذا، وفعلتُ ذلك...

- «أسرع». تقولها فرتيلىتي وهي تضع يدي في يدها. «سيصل رجال

المطافئ خلال دقائق. دعنا لا نضيع رقصّة التشا-تسا هذه».

واحد، اثنان، تشا تشا تشا... نرقص، ثلاثة، أربعة، تشا تشا تشا...

الحطام وأذرع وسيقان الملابس المحترقة المتشابكة حولنا على

الأرض والمياه لا تزال تسقط وكلُّ شيءٍ مبتل عن آخره، ونرقص، واحد،

اثنان، تشا تشا تشا.

وفي هذا الوضع بالضبط وجدنا رجال الإطفاء.

سوف تنفجر محطة وقود الأسبوع القادم، وهناك متجر للحيوانات الأليفة به المئات من طيور الكناري التي ستهرب كلها. لقد رأيت فرتيليتي كل هذا في حلم وراء حلم. هناك فندق به ماسورة تُسرب المياه في هذه اللحظة بالتحديد، وطوال أسابيع والمياه تسيل إلى داخل الجدران لتتسبب في ذوبان الجص وإصابة الخشب بالعفن والمعدن بالصدأ، وفي الثالثة وأربع دقائق عصر الثلاثاء القادم سوف تسقط الثريا الكريستال العملاقة المعلقة في منتصف سقف اللوبي. في حلمها رأيت فرتيليتي كريستالات الثريا تهتز وتحدث جلبةً أولاً، ثم يتساقط بعض من غبار الجص وتسقط قطعة معدنية صدئة من الثريا على شكل سهم وتحط على السجادة إلى جوار رجل عجوز يحمل أمتعته، فيلتقطها ويديرها في راحة يده ناظراً إلى الصدأ والمعدن اللامع المتبدئي من داخل الجزء المكسور منها. تتوقف امرأة تجر حقيبتها ذات العجلات إلى جواره وتسأله إن كان واقفاً ينتظر دوره في الصف.

يقول العجوز: لا، وتقول المرأة: شكراً، ويضرب موظف الاستقبال الجرس ويصبح طالباً مجيء أحد خدام الفندق إلى مكتبه، فيتقدم واحد منهم.

وفي هذه اللحظة تهوي الثريا.

أحلام فرتيليتي دقيقة إلى هذه الدرجة، وكلما تكرر الحلم تبحث عن تفصيلة جديدة. المرأة ترتدي بذلة حمراء تتألف من سترة وتثورة ذات حزام ذهبي ذي شكل سلسلة من كريستيان ديور، والعجوز له

عينان زرقاوان، واليد التي يحمل بها القطعة التي سقطت من الثرياً بها خاتم زفافٍ ذهبي. خادم الفندق له أذن مثقوبة، لكنه لا يُعلّق فيها القِرْط. تقول فرتيليتي إن وراء مكتب الاستقبال هناك ساعة باروك فرنسية معقدة الشكل داخل غلافٍ من الرصاص المطلي بالذهب عليه أشكال محار ودلافين تُنبّت وجه الساعة التي تشير عقاربها إلى الثالثة وأربع دقائق. أخبرتني فرتيليتي بكلّ هذا بعينين مغلقتين، ولا أدري حقاً إن كانت تتذكّره بالفعل أم تختلقه فقط.

رسالة تسالونيكى الأولى 5:20: «لَا تَحْتَقِرُوا النُّبُوءَاتِ».

سوف تومض الثرياً وتنطفئ في اللحظة التي تسقط فيها، ما سيجعل كلّ الواقفين أسفلها ينظرون إلى أعلى، لكنها لا تعرف ما سيحدث بعد هذا. دائماً ما تستيقظ في هذه اللحظة وينتهي الحلم هنا، عندما تهوي الثرياً أو تسقط الطائرة أو يخرج القطار عن القضبان أو يضرب البرق أو يبدأ الزلزال.

بدأت فرتيليتي تضع تقويماً بالحوادث القادمة أرنتني إياه، كما أريتها دفتر التنظيم اليومي الذي يحتفظ به من أعمل لديهم. ينتظرنا الأسبوع القادم انفجار المخبز وهروب طيور الكناري وحريق محطة الوقود والثرياً الساقطة في الفندق.

تقول فرتيليتي أن أختار ما أشاء، وسوف نحزم بعض الطعام معنا ونجعله يوماً للمرح.

المفترض أن أقوم الأسبوع القادم بجزّ الحشائش مرّتين وتلميع أدوات المدفأة النحاسية وتفقد تاريخ الصلاحية على كلّ شيء في المجمّد وتدوير الأطعمة المعلّبة في حجرة المؤن وشراء هديتين لعيد زواج الرجل والمرأة اللذين أعمل لديهما كي يُعطيتهما كل منهما للآخر. كل هذا من المفترض أن أفعله، لكنني أقول لفرتيليتي أن لا بأس، سأكون معها.

كان هذا بعد أن وجدنا رجال المطافئ نرقص التشا-تشا في الطابق الخامس المحترق بلا أثرٍ لإصابة. بعد أن أخذوا شهادتنا وجعلونا نوعَ استمارات تأمين تُعفيهم من المسؤولية اصطحبونا إلى الشارع، وهناك أسأل فرتيليتي: لماذا؟

لماذا لا تتصل بأحدٍ وتُبلغ عن الكارثة المرتقبة؟
تهز كتفيها في لامبالاة وتقول:

- «لأن لا أحد يرغب في سماع الأخبار السيئة. كان ترפור يحاول تحذيرهم كلما رأى حُلماً كهذا، والنتيجة كانت وقوعه في المشاكل دائماً».

تقول إن أحداً لا يريد تصديق وجود موهبة كهذه، لهذا كانوا يتهمون ترפור بأنه إرهابي أو مصاب بجنون الحرائق.

مهووس بإشعال الحرائق طبقاً لكتاب (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية).

لو كنا في قرنٍ آخرٍ لاتهموه بالشعوذة.
وهكذا انتحر ترפור...

... بمساعدةٍ صغيرة من العبد لله.

- «لهذا السبب لم أعد أقول لأحدٍ شيئاً. ربما أتكلّم إن كان هناك ملجأ أيتام سيحترق، ربما، لكن هؤلاء الناس قتلوا أخي، فلم يجدد بي أن أسدي لهم أيّ خدمات؟».

يمكنني أن أنقذ أرواح الناس الآن بأن أخبرها بالحقيقة، بأنني قتلت أخاها، لكنني لا أفعل. فقط نجلس في محطة الحافلات صامتين إلى أن تلوح حافلتها من بعيد، فتكتب لي رقم هاتفها على إيصالٍ وجدته على الأرض (يمكنه أن يعود عليّ بأكثر من ثلاثمئة دولار إذا أخذته إلى المتجر ومارست حيلتي إياها). تقول لي فرتيليتي أن اختار الكارثة التي

تروق لي وأتصل بها، ثم تحملها الحافلة بعيدًا، إلى العمل أو العشاء أو إلى عالم الأحلام.

طَبَقًا لدفتر التنظيم اليومي، من المفترض أن أكون الآن منشغلاً بمسح الغبار عن سيقان الموائد، ثم قصُّ الأوراق التالفة في سياج أشجار الحديدية، ثم جزُّ الحشائش، ثم غسيل السيَّارات، ثم كيِّ بعض الملابس. من المفترض أن أفعل كل هذا، لكنني أعرف أن موظفة التحريَّات الاجتماعية تقوم بعملِي بدلًا مني.

طَبَقًا لدليل الاضطرابات النَّفسية، من المفترض أن أدخل أحد المحال الآن وأسرق شيئًا، أن أفرغ بعض الطاقة الجنسيَّة المكبوتة لديّ.

طَبَقًا لفرتيليتي، من المفترض أن أحزم بعض الطعام لناكله ونحن نتفرَّج على بعض الغرباء إذ يلقون حتفهم. أستطيع أن أتخيَّلنا جالسَيْن على أريكةٍ مخمليَّة صغيرة في لوبي الفندق نرشف الشاي عصر يوم الثلاثاء ونُشاهد العرض من مقعدنا الأمامي.

طَبَقًا للكتاب المقدَّس، من المفترض أن...! لا أدري.

طَبَقًا لتعاليم الكنيسة الكيريدشيَّة، من المفترض أن أكون ميتًا.

لا أجد أيًا من الخيارات المذكورة أعلاه جذابًا، لذا أتمشَّى فقط في وسط المدينة. تفوح رائحة المخبوزات الطازجة من المخبز الذي سوف ينفجر خلال خمسة أيام حسب كلام فرتيليتي. في خلفيَّة متجر الحيوانات الأليفة تُرفرف مئات من طيور الكناري من جانبٍ إلى جانبٍ في أقفاصها المزدحمة إلى أن تتحرَّر كلها الأسبوع القادم. ثم ماذا؟ أريد أن أقول لها أن تبقى في الأقفاص، إن هناك أشياء أفضل من الحرِّيَّة، وأشياء أسوأ من قضاء حياة طويلة مملَّة في بيت أحد الغرباء ثم الموت ودخول جنة الكناري.

يضخ العمال الوقود في المحطَّة التي تقول فرتيليتي إنها ستنفجر وقد

بدأت عليهم السعادة - أو عدم التعاسة - دون أن يتصوّر أيهم أنه خلال أسبوع سيكون ميتاً أو عاطلاً عن العمل، حسب توزيع الورديات. يحل الظلام بسرعةٍ شديدة.

خارج الفندق، وعبر واجهة اللوبي الزجاجية السمكية، أرى الثرياً جاثمة في مكانها الحالي في السقف فوق ضحيةٍ وراء ضحيةٍ: امرأة تحمل جرّواً صغيراً، أسرة من أمّ وأبّ وثلاثة أطفالٍ صغار. الساعة وراء مكتب الاستقبال تقول إنه لا يزال هناك وقت طويل بينهم وبين الثالثة وأربع دقائق عصر الثلاثاء القادم. يمكنك الوقوف هناك لأيام وأيام وستكون في أمان، لكن ليس لثانيةٍ واحدةٍ أطول من اللازم. يمكنك الدخول ماراً بالبوابين في ملابسهم الموشاة بالجدائل الذهبية وتقول للمدير إن الثرياً سوف تسقط.

كل من يحبهم سيموتون.

هو نفسه سيموت ذات يوم.

سوف يأتي بنا الله لنمثّل أمامه ويُصدِر حكمه علينا.

سوف تُلقني به خطاياها في الجحيم.

يمكنك أن تخبر الناس بالحقيقة، لكن لا أحد منهم سيُصدّقك حتى يقع الحادث، حتى يفوت الأوان. أما في الوقت الحالي فلن تُفضي الحقيقة إلا لإثارة غضبهم عليك وإيقاعك في مشاكل أنت في غنى عنها. وهكذا تعود إلى بيتك.

هناك عشاء يجب أن تجهّزه، قميص تكويه للغد، حذاء تُلمّعه، أطباق تغسلها، وصفات طعام جديدة تتعلّمها.

هناك شيء اسمه حساء الزفاف يتطلّب ستة أرطال من نخاع العظام. لحوم أعضاء الحيوانات منتشرة جدّاً هذا العام، ومن أعمل لديهم يريدون

أن يأكلوا على أحدث صيحة في عالم الطعام. كلى، كبد، مثانة، أمعاء بقرة محشوة بالجرجير والشمرة كما لو أنه طعام مُجْتَر. يريدون أكل حيوانات محشوة بأغرب الحيوانات الأخرى طرًا. دجاج محشو بالارانب، سمك محشو باللحم المقدد، إوز محشو بالسلمون.

هناك أشياء كثيرة يجب أن أتدرّب عليها حتى أجيدها تمام الإجابة عندما أعود إلى المنزل.

أغطي شريحة من لحم الشواء بقطع من دهن حيوان آخر لأحميه من الاحتراق أثناء الطهي، وهذا ما يجدني ألهاتف عليه عندما يرن.

إنها فرتيلتي بالطبع.

- «كنت محققًا بشأن غريب الأطوار».

أسألها: كيف؟

- «صاحب ترثور هذا، إنه في حاجة إلى أحدٍ حقًا. لقد خرجت معه كما طلبت وكان هناك أحد أتباع الطائفة الدينية إياها معنا على الحافلة. لا بد أنهما توأمان، فهما متشابهان للغاية».

أقول لها إنها ربما تكون مخطئة، فأتباع الطائفة الدينية هؤلاء ماتوا. كانوا مجانين وأغبياء والآن معظمهم تحت الأرض. كل ما آمنوا به أتضح أنه خطأ.

- «ذلك الرجل الآخر على الحافلة سأله إن كانا قرييين، لكن صاحب ترثور أنكر هذا».

إذن فهما ليسا قرييين، أقول، فلا أحد يعجز عن تعرّف أخيه التوأم.

- «وهذا هو الجزء المحزن من الأمر، فقد تعرّف عليه بالفعل، وقال اسمه. براد أو تيم تقريبًا».

آدم.

أسألها: وما المحزن في هذا؟

- «لأن إنكاره كان شديد الوضوح ومثيراً للشفقة. من الواضح جداً أنه يحاول التظاهر بأنه شخص عادي سعيد. شعرت بحزنٍ وأسفٍ شديدٍ عليه فأعطيته رقم هاتفي. أريد أن أساعده على أن يتقبل ماضيه، كما أن لدي شعوراً بأنه في طريقه إلى خراءٍ كثيرٍ».

أسألها: ما الذي تعنيه بالخراء؟

- «بؤس، مصيبة. ما زال هذا الشعور ضبابياً إلى حدٍ كبير. كارثة، ألم، قتل جماعي. لا تسألني كيف أعرف، فهذه قصة طويلة».

أحلامها. محطة الوقود، المخبز، طيور الكناري، الفندق، والآن أنا.

- «اسمع، ما زال علينا أن نتكلم عن لقائنا، لكن ليس الآن».

- لماذا؟

- «لأنني مشغولة جداً بسبب وظيفتي اللعينة الآن، لذلك إذا اتصل بك شخص اسمه دكتور أمبروزي يسأل عن جوين، فقل إنك لا تعرفني. قل له إننا لم نلتق قط، اتفقنا؟».

جوين؟

أسألها: من يكون دكتور أمبروزي؟

تقول فرتيليتي، أو تقول جوين:

- «هذا اسمه فقط. هو ليس طبيباً حقيقياً، لا أعتقد هذا. يمكنك أن تعتبره وكيل الحجز الخاص بي. ليس هذا هو العمل الذي أرغب في ممارسته، لكنني متعاقدة معه».

أسألها: وما العمل الذي تقوم به بموجب العقد؟

- «ليس شيئاً غير قانوني أو ما شابه. كلُّ شيءٍ تحت السيطرة... إلى حدٍ كبير».

- ماذا إذن؟

وتُخبرني، فتبدأ صفارات الإنذار في العواء في رأسي.
ما أشعر به الآن أنني أتضاءل وأتضاءل.
صفارات الإنذار والأجراس وأضواء الخطر في كلِّ مكانٍ حولي.
وما أشعر به الآن أنني أحقر فأحقر.

السيدات والسادة، أنا هنا في قمرة القيادة على متن الرحلة 2039، وقد انطفأ أول المحركات الأربعة. إنها بداية النهاية.

جزءاً من محاولتها الحيلولة دون انتحاري، أن تخلط موظفة التحريّات الاجتماعية لي كأساً أخرى من الجين والتونيك بينما أتكلّم على الهاتف. ثمّة مُنتج من برنامج *The Don Williams Show* ينتظر على الخط الثاني، وكل مصابيح الخطوط الأخرى تومض بلا توقّف. شخصٌ ما من برنامج *Barbara Walters* ينتظر على الخط الثالث. الأولوية الآن لعثوري على شخصٍ يتعامل مع كلّ هذا الصخب، فالأطباق المتخلّفة عن الإفطار مكوّمة في حوض المطبخ ولن تغسل نفسها بنفسها طبعاً.

الأولوية الآن لعثوري على وكيل أعمالٍ جيد.

الأسيرة لا تزال غير مرتّبة بالطابق العلوي، ويجب إعادة طلاء الحديقة.

على الهاتف لا ينفك واحد من كبار وكلاء الأعمال يسأل: ماذا لو لم أكن النّاجي الأخير؟ فأقول له إنني هو لا بُد. لم تكن موظفة التحريّات الاجتماعية لتأتي لتتناول معي إفطاراً من الجين والتونيك لو لم يكن هناك انتحار آخر ليلة أمس. على طاولة المطبخ فردت أمامي جميع ملفّات الحالات الأخرى. يمكنك الآن أن تحكّم على البرنامج الفدرالي للحفاظ على النّاجين بالفشل التام. في الحقيقة، موظفة التحريّات الاجتماعية التي تخلط لي الجين والتونيك هي التي في حاجةٍ إلى من يمنعها من الانتحار.

تُتابعني موظفة التحريّات الاجتماعية بعينها طوال الوقت كي تتأكّد من ألا أفعلها وأنتحر أنا أيضاً، وكي أبعدها عن طريقي أجعلها تُقطّع

ليمونة. اخلطي لي شرابًا طازجًا، أقول، وإلا قتلت نفسي. أقسم إنني سأدخل الحمام وأفتح شرابيني كلها بالموسى.

تُحضِر لي شرابًا جديدًا حيث جلسنا إلى طاولة المطبخ وتساَلني إن كنت أريد المساعدة في التعرُّف على بعض الجثث، ما يُفترَض أن يساعِدني على إغلاق هذه الصفحة من حياتي نهائيًا. تقول إنهم قومي رغم كلِّ شيء، لحمي ودمي، أهلي وأصدقائي ومعارفي.

تفرد الصُّور الحكوميَّة نفسها التي أصبح عمرها عشرة أعوام على الطاولة، ومن الصُّور يرمقني مئات من الموتى المرصوصين جنبًا إلى جنبٍ في صفوفٍ على الأرض وقد اسودَّ جلدهم كله بفعل السيانايد وانتفخوا. إلى درجةٍ جعلت ملابسهم الداكنة الفضفاضة تضيق عليهم. من التُّرابِ وإلى التُّرابِ نعود. من المفترَض أن تكون عملية إعادة التدوير كلها بهذه السهولة، لكنها ليست كذلك أبدًا. الجثث مُمدَّدة وقد تصلَّبت وبدأت تتعفن، وموظَّفة التحريَّات الاجتماعيَّة تحاول جعلني أنقُب عن مشاعري بداخلي لأنني أكتب حزني على حدِّ تعبيرها.

هل أحب أن أراجع الصور وأتعرَّف على هؤلاء الموتى؟

إذا كان هناك قاتل بالفعل، تقول، فيمكنني أن أدلها على الشخص الذي من المفترَض أن تكون صورته هنا لكنها ليست كذلك.

شكرًا، أقول لها، لكن لا، شكرًا. دون أن أنظر أعرف أن آدم برانسن لن يكون ميتًا في أيِّ من صُورها.

أسألها وهي تجلس إن كانت تمنع أن تُسدِل الستائر. ثمة سيَّارة فان بالخارج تابعة لشبكةٍ إخباريةٍ ما تُصوِّر فيديو عبر نافذة المطبخ لتبته فيما بعد عبر الأقمار الصنعيَّة، وأطباق الإفطار المتسخة في الحوض ليست الشيء الذي أريده أن يظهر معي في الأخبار الليلة. الأطباق المتسخة في

الحوض، أنا وموظفة التحريّات الاجتماعيّة جالسان إلى طاولة المطبخ مع الهاتف، أوراقها مفرودة على المفرش الأبيض والأصفر الكاروهات، والچين والتونيك في يدينا في العاشرة صباحًا.

سوف يقول صوت مذيع النشرة الإخبارية كيف أن النَّاجي الأخير من آخر طائفة انتحاريّة في أمريكا، طائفة الكريديش، خاضع للملاحظة بعد سلسلة الانتحارات المأساويّة الأخيرة التي أتت على بقيّة أتباع الطائفة واحدًا بعد الآخر.

ثم قَطَعَ إلى فقرة إعلانية.

تُقلّب موظفة التحريّات الاجتماعيّة بين ملفات آخر عملاء لها. برانون، ميت. ووكر، ميت. فيليبس، ميت. كلهم موتى. كلهم.. ما عداي. فتاة ليلة أمس، النَّاجية الأخرى الوحيدة عداي من مستعمرة مقاطعة الكنيسة الكريديشيّة، أكلت طينًا. صدّق أو لا تُصدّق، لكن ثمّة اسمًا لما فعلته هو چيوفاجي، وهو ما كان شائعًا بين الأفارقة الذين جيء بهم إلى أمريكا كعبيد. لعل (شائعًا) ليست الكلمة الصحيحة. جلست الفتاة القرفصاء في حديقة المنزل الذي عملت فيه طوال أحد عشر عامًا، والتهمت الطين من حوض الزهور بملعقة. كلُّ هذا مذكور في تقرير موظفة التحريّات الاجتماعيّة. ثم إن شيئًا اسمه تهتُّك المريء حدث لها، ثم شيئًا اسمه التهاب الصَّففاق، ومع شروق الشمس كانت قد غادرت عالمنا.

الفتاة السابقة لها ماتت ورأسها في الفرن، والولد السابق لها جزَّ عنقه. هذا ما علّمتنا إياه العقيدة الكريديشيّة بالضبط. ذات يوم سوف تُدمرنا شرور ملوك العالم -يا للحزن!- وستزحف علينا جيوش العالم -يا للأسى!- وعندها يجب على أبناء الله الأنقى أن يُسلّموا أنفسهم له -أمين!- بأيديهم.

الخلاص...

نعم، وعلى كلِّ من لا يُسلِّم نفسه لله مع الراحلين الأوائل أن يتبعهم في أقرب وقتٍ ممكن.

هكذا طوال السنوات العشر المنصرمة وأتباع الكنيسة الكيريدشيَّة المتبقيين على قيد الحياة - الرجال منهم والنساء، الخادמות والبستانيون وعمال المصانع - في كلِّ أنحاء البلاد ينحرون أنفسهم واحدًا تلو الآخر على الرغم من برنامج الحكومة الموضوع للحفاظ على حياتهم. باستثنائي أنا...

أسأل موظفة التحريَّات الاجتماعية: هل تمنع في ترتيب الأسرة؟ إذا اضطرت لترتيب سريرٍ آخر أقسم إنني سأدس رأسي في الخلَّاط، لكنني أعدها أنها ستجدني حيًّا عندما تعود إذا وافقت، فتصعد إلى الطابق العلوي، وأشكرها.

أول شيء فعلته بعد أن أخبرتني موظفة التحريَّات الاجتماعية بأن أتباع الكنيسة الكيريدشيَّة أصبحوا موتى جميعًا وما إلى ذلك هو أنني بدأت التدخين. أذكر شيء فعلته في حياتي على الإطلاق هو أنني صرت مدخنًا. عندما جاءت لتلقي عليَّ تحية الصباح وتُخبرني بأن النَّاجية الأخرى انتحرت ليلة أمس جلست في المطبخ وعجَّلت بانتحاري الشخصي بشرابٍ قوي. تنصَّ تعاليم الكنيسة على أن أقتل نفسي، لكنها لا تذكر شيئًا عن جعله موتًا لحظيًّا متعجِّلًا.

ما زالت الجريدة ملقاة عند عتبة الباب، والأطباق في الحوض غير مغسولة، أما من أعمل لديهم فقد غادروا للفرار من دائرة الضوء بعد سنواتٍ قضيتها في إعادة شرائط الپورنو التي يستأجرونها إلى بدايتها وتنظيف أوساخهم. هو يعمل في بنك وهي تعمل في بنك. لديه سيَّارة

ولديها سيّارة. يملكان هذا المنزل الكبير الجميل، ويملكاني لترتيب
الأسيرة وجزء الحشائش. الحق أقول إنهما غادرا غالبًا كي لا يعودا ذات
ليلة ويجدانني متحرًا على أرضية المطبخ.
ما زالت خطوط الهاتف الأربعة تتلقى الاتصالات.

برنامج *The Don Williams Show* وبرنامج *Barbara Walters*. يقول
وكيل الأعمال أن أشتري مرآة يد لأتمرّن فيها على أن أبدو مُخلصًا بريئًا.
يحمل أحد الملفات على الطاولة اسمي، والصفحة الأولى منه تحمل
جميع المعلومات الأساسية عن الأفراد الموثّقين الذين نجوا من كارثة
مستعمرة الكنيسة الكريديشيّة.

يقول وكيل الأعمال: حملتك الإعلانية الخاصّة.

يقول وكيل الأعمال: برنامجك الديني الخاص.

من المعلومات الموثّقة في الملف أنه لأكثر من مائتي عام اعتبر
الأمريكيون الكريديش أكثر قوم يتمتّعون بالتّقوى والورع والعمل الجاد
والتهديب والوعي على وجه الأرض.

يقول وكيل الأعمال: مليون دولار كدفعة أولى مقابل حقوق نشر
قصة حياتك في طبعة فاخرة.

تذكّر إحدى صفحات الملف الأخرى كيف قام مأمور مَحَلّي منذ
عشر سنواتٍ بالحصول على إذن لتفتيش مستعمرة مقاطعة الكنيسة
الكريديشيّة. كانت هناك اتهامات بإساءة معاملة الأطفال. جاء البلاغ
المجنون عن طريق مجهولٍ زعم أن العائلات في مقاطعة الكنيسة تنجب
أطفالًا وأطفالًا وأطفالًا بلا حساب، وأن لا أحد من هؤلاء الأطفال له
وثائق رسميّة لدى الحكومة؛ لا شهادات ميلاد، لا أرقام ضمان اجتماعي،
لا شيء. كل هؤلاء المواليد جاءوا إلى الحياة داخل مستعمرة الكنيسة

ولم يتلقَ أيّ منهم التعليم إلا في مدارسها، ولا أحد منهم كان مسموحًا له بالزواج وإنجاب الأطفال عندما يكبر، وعندما يبلغون السابعة عشرة من عمرهم يتمّ تعميدهم كأتباع بالغيين للكنيسة وإرسالهم إلى العالم الخارجي. كلُّ هذا أصبح من المعلومات العامّة.

يقول وكيل الأعمال: شرائط فيديو للتمارين الرياضية.

يقول وكيل الأعمال: ظهور حصري على غلاف مجلة (بيبول).

كان أحدهم قد سرّب هذه الشائعات المجنونة إلى إدارة حماية الأطفال، وإذا بالمأمور يقود حملة من شاحنتين مليئتين بالجنود إلى مستعمرة الكنيسة الكيريدشيّة في بولستر كاونتي، نبراسكا، لعدّ الرؤوس والتأكد من أن كلّ شيءٍ رسمي. ثم إن المأمور اتصل بالـFBI.

يقول وكيل الأعمال: ظهور مدفوع الأجر في توك شو.

علمت الـFBI أن الكيريدش كانوا يعتبرون الأطفال الذين يُخرجونهم إلى العالم مُبشّرين عاملين، وكان التحقيق الحكومي هو ما أطلق على الأمر كله تسمية الرقيق الأبيض، أما التليفزيون فاختر اسم طائفة الأطفال العبيد. عندما يبلغ هؤلاء الأطفال السابعة عشرة من عمرهم يُسلّمهم المشرفون الكيريدش في العالم الخارجي أعمالهم المتفقّ عليها، والتي يتلقّون أجورهم عنها نقدًا وليس بشيكات. أعمال مؤقّته بلا تعاقّد يمكنها الاستمرار لسنواتٍ وسنوات.

اختارت الصّحف اسم كنيسة السّخرة.

كانت الكنيسة تضع النقود في جيبتها، بينما يحصل العالم الخارجي على جيشٍ كامل من الخادِمات والبستانيّين وغاسلي الأطباق وعمال الدهان المُخلّصين الذين تربّوا على الإيمان بأن السبيل الوحيد للنّجاة بالروح هو العمل حتى الموت مقابل لا شيء سوى غرفةٍ وسرير.

يقول وكيل الأعمال: عمود ثابت في جريدة.

عندما تحرّك رجال الـFBI لإلقاء القبض على المشتبه بهم، وجدوا سُكَّان مستعمرة الكنيسة كلهم داخل دار الاجتماعات. من المحتمل أن الشخص نفسه الذي سرّب تلك القِصَّة الحمقاء عن الأطفال العبيد ومحصول المال الوفير الذي يأتي منهم هو نفسه الذي سرّب للمستعمرة الأخبار عن الغزو الحكومي الوشيك. كل مزرعة في بولستر كاونتي كانت مهجورة، وسوف يعرف الناس في ما بعد أن كل بقرة وخنزير ودجاجة وحمامة وقطة وحمار هناك كانوا موتى بدورهم. حتى الأسماك الذهبية كانت مسمومة في أحواضها. كل مزرعة كيريدشيّة صغيرة بيتها الأبيض وزريرتها الحمراء كان الصمت يُخيّم عليها مع مجيء جنود الحرس الوطني. كل حقل بطاطس كان فارغًا يكتنفه الصمت تحت السماء الزرقاء والسُّحُب القليلة.

يقول وكيل الأعمال: سهرة تليفزيونية خاصة ليلة الكريسماس.

طبّقًا للمذكور في الملف -الذي أطلعه هنا مُشعلاً سيجارة جديدة عند طاولة المطبخ وموظّفة التحريّات الاجتماعية تُرّب الأسرة بالأعلى - فإن نشاط إرسال المُبشّرين العاملين إلى العالم الخارجي مستمر منذ أكثر من مئة عام، فاغتنى الكيريدش أكثر فأكثر واشتروا المزيد من الأراضي وأنجبوا المزيد من الأطفال، الذين أخذوا المزيد والمزيد منهم يختفون من وادينا كل عام. ترحل البنات في الربيع والأولاد في الخريف.

يقول وكيل الأعمال: عطرك الخاص.

يقول وكيل الأعمال: طبعة من الأناجيل الموقّعة بخطك.

كان المُبشّرون مُتزوِّين متوارين عن الأنظار في العالم الخارجي، ولم تُشغَل الكنيسة نفسها بدفع الضرائب. طبّقًا لتعاليم الكنيسة، فإن

أنبل منزلة يمكنك الوصول إليها هي أن تعمل وتأمل أن تعيش طويلاً بما يكفي لأن تعود على المستعمرة بمكاسب ضخمة. كان من المفترض أن تكون حياتك القادمة عبثاً؛ تُرْتَبُ أَسْرَةُ الآخرين، تعنى بأطفال الآخرين، تطهو الطعام للآخرين.

إلى أبد الأبد... ..

عمل بلا نهاية... ..

كانت الخطة هي بناء جَنَّة الكَرِيدِش رويداً رويداً بالاستيلاء على العالم بُقْعَةً بعد بُقْعَةٍ وفدائناً بعد فدآن.

كان هذا إلى أن توقّف رجال الـFBI على مسافة الثلاثمئة قدم الرّسْمِيَّة خارج دار اجتماعات مستعمرة مقاطعة الكنيسة. كان الهواء سَاكِنًا طَيْقًا للتحقيق الرسمي في المذبحة، ولا صوت واحداً خرج من الكنيسة.

يقول وكيل الأعمال: محاضرات مُلهمة على شرائط كاسيت.

يقول وكيل الأعمال: فندق سيزر بالاس.

عندها بدأ الجميع في كلّ أنحاء العالم في تسمية الكَرِيدِش بطائفة موت العهد القديم.

دخّان السيجارة كثيف إلى درجة تجعل من الممكن أن أتركه حبسًا في صدري. بقية الشّاردين مثلي موثّقون في ملفّات موظّفة التحريّات الاجتماعيّة. عميل البرنامج الفدرالي للحفاظ على النّاجين رقم 63، بيدي باترسن، السن 29 عامًا تقريبًا، انتحرت بشُرب محلول تنظيف بعد ثلاثة أيام من حادث مقاطعة الكنيسة.

عميل البرنامج الفدرالي للحفاظ على النّاجين تندر سميشن، السن 45 عامًا، انتحر بالقفز من واحدة من نوافذ المبنى الذي كان يعمل فيه كعامل نظافة.

يقول وكيل الأعمال: خط ساخن للراغبين في الخلاص.
الدخان ساخن كثيف بداخلي كما لو أن لديّ روحًا.
يقول وكيل الأعمال: إعلانك التثقيفي الخاص.

جثث الكيريدش سوداء منتفخة إثر استسلامهم للموت. حمل رجال
الـFBI صفوفًا طويلة من الموتى من دار الاجتماعات وقد اكتسوا بالسواد
بعد تناول السيانيد على عشاءهم الأخير. هؤلاء الذين فضّلوا الموت
على مواجهة ما كان قادمًا إليهم في الطريق.

ماتوا معًا ككتلةٍ واحدةٍ وقد تشابكت أيديهم بشدةٍ إلى حدّ جعل رجال
الـFBI ينتزعون الأصابع من بعضها البعض انتزاعًا.
يقول وكيل الأعمال: سوپر ستار.

تنصُّ تعاليم الكنيسة على أنه يجدر بي الآن، وقد غابت موظّفة
التحرّيات الاجتماعية، أن أسألُ سكينًا من حوض الأطباق المتسخة
وأفتح به قصبتي الهوائية، أن أفرغ أحشائي على أرضية المطبخ.
يقول وكيل الأعمال إنه سيتولّى مسألة البرنامجين.

ثمّة ملف يحمل اسمي، فأكتب فيه: «عميل البرنامج الفدرالي للحفاظ
على النّاجين رقم 84 فقد كلّ من أحبّهم بلا استثناء وكلّ شيءٍ أعطى
لحياته معنى. إنه مُرهِقٌ وينام معظم الوقت وقد بدأ في التدخين وشرب
الكحول وفقد شهّيته. نادرًا ما يستحم الآن ولم يخلق ذقنه منذ أسابيع».
منذ عشر سنواتٍ فقط كان ملح الأرض. جُل ما أراه هو دخول
الجنة. اليوم يجلس وقد فقد كلّ ما عمل لأجله في حياته. كل قواعده
وقوانينه راحت.

ليس هناك جحيم، ليست هناك جنة.
ومع ذلك، تراوده الآن فكرة أن أيّ شيءٍ ممكن.

الآن يريد كل شيء.

أغلق الملف وأضعه وسط كومة إخوته.

بيني وبينه فقط، يسألني وكيل الأعمال، هل احتمال أنني سأقتل نفسي بدوري قريباً وارد؟

أنظر عبر كأس الچين والتونيك إلى الوجوه الغائرة لكل من عرفتهم في ماضي في صور الحكومة. بعد لحظات كهذه تصبح حياتك كلها كسباً غير مشروع.

أخلط لنفسي شراباً جديداً.

أشعل سيجارة جديدة.

حقاً لم يعد لحياتي معنى أو هدف. أنا حُر... بالإضافة إلى كوني وريثاً لعشرين ألف فدان في وسط نبراسكا الآن.

ما أشعر به الآن لا يختلف في شيء عما شعرت به منذ عشرة أعوام عندما ركبت سيارة الشرطة مع موظفة التحريّات الاجتماعية. مرّة أخرى أصبحت ضعيفاً، ومع كلّ دقيقة تمر أبتعد عن الخلاص وأقترب من المستقبل.

أقتل نفسي؟

شكراً، لكن لا، شكراً.

دعنا لا نستعجل أي شيء ها هنا.

أقضي النهار كله في إخبار رجال الشرطة بأنني تركت موظفة التحريّات الاجتماعية حيّة تُنظف القرميد المحيط بالمدفأة في غرفة المعيشة. المشكلة أن المدخنة لا تفتح جيدًا فيخرج الدخان من الأمام، ومن أعمل لديهم يُفضّلون حرق الخشب المبتل.

أقول للشرطة إنني بريء، إنني لم أقتل أحدًا.
طبقًا لدفتر التنظيم اليومي، كان من المفترض أن أقوم بتنظيف القرميد بالأمس.

هكذا مضى يومي حتى الآن.

أولًا تُمطّرني الشرطة بالأسئلة عن سبب قتلي لموظفة التحريّات الاجتماعية، ثم يتصل بي وكيل الأعمال ليعدني بالعالم.
فرتيليتي، فرتيليتي، فرتيليتي خارج الصورة. لنقل فقط إنني غير مستريح للطريقة التي تكسب بها قوتها، كما أنني لا أحبّد معرفة كل ما ينتظرني من مصائب في المستقبل.

هكذا أحبس نفسي في الحمام الأخضر بالطابق الأرضي وأحاول استيعاب كل ما حدث.

أقول في شهادتي للشرطة إنني وجدت موظفة التحريّات الاجتماعية مُلقاة على وجهها، ميتة، أمام المدفأة في غرفة المعيشة، وهي لا تزال ترتدي سروالها الكاكري الأسود وقد تجمّع جزء منه حول مؤخرتها من جرّاء الطريقة التي سقطت بها. قميصها الأبيض غير مزرّر وقد شمّرت

أكاماه حتى مرفقيها. الغرفة تخبثق بغاز الكلورين المमित وهي لا تزال تعتصر الإسفنجة بيدها البيضاء الميتة.

قبل ذلك دخلت المنزل متسلِّقًا نافذة القبو التي تركناها غير موصدة كي أستطيع الدخول والخروج من دون أن يُزعجني الإعلاميون المرابطون في الخارج بكاميراتهم وأكواب قهوتهم واهتمامهم العملي، كأنهم يتلقون أجرًا كافيًا لأن يجعلهم يُبالون حقًا، وكأن هذا لا يحدث مع كلِّ قِصَّة يقومون بتغطيتها كل يومين.

وهكذا ها أنا حبيس داخل الحُمَّام، بينما يسألني رجال الشُّرطة على الجانب الآخر من الباب إن كنت أفرغ معدتي، ويقولون إن الرجل الذي أعمل لديه يتكلَّم على الهاتف ويصرخ فيهم سائلًا عن توجيهاتٍ لأكل أحد أنواع السَّلطة.

يسألني رجال الشُّرطة: هل تشاجرت مع موظِّفة التحريَّات الاجتماعية؟

انظروا إلى صفحة الأمس في دفتر التنظيم اليومي، أقول لهم، وستجدون أنه لم يكن هناك أيُّ وقتٍ للشُّجار.

من بداية العمل وحتى الثامنة صباحًا كان من المفترَض أن أقوم بتزييت مفصَّلات النوافذ. الدفتر مفتوح إلى جوار الهاتف على طاولة المطبخ، وكان من المفترَض أن أعيد طلاء زخرفة السقف.

من الثامنة وحتى العاشرة كنت أنظِّف بقَّع الزيت في ممر السيَّارات، ومن العاشرة وحتى موعد الغداء كنت أشدِّب سياج الأشجار في الحديقة، ومن بعد الغداء وحتى الثالثة كنت أمسح الشُّرفات بالماء، ومن الثالثة وحتى الخامسة كنت أغيِّر المياه في المزهريَّات كلها، ومن الخامسة وحتى السابعة كان من المفترَض أن أنظِّف القرميد المحيط بالمدفأة.

حياتي كلها حتى آخر لحظةٍ منها كانت مُقيَّدة بجدول، ولقد تعبت وسيَّمت من كلِّ هذا.

لو كان لله دفتر تنظيم يومي يعمل وفقه لكنت مجرد مهمّة أخرى فيه.
توقيت النهضة الإيطالية يأتي بعد العصور المظلمة مباشرةً.

كلُّ شيءٍ يحدث لسبب.

كلُّ نزعةٍ وصيحةٍ ومرحلةٍ ودورةٍ.

سِفر الجامعة، الإصحاح الخامس، الآية من كذا إلى كذا.

توقيت عصر المعلومات يأتي بعد الثورة الصناعيّة مباشرةً، ثم حُقبَة ما بعد الحداثة، ثم فرسان رؤيا يوحنا الأربعة. المجاعات وحدثت، الأوبئة وانتشرت، الحروب وانلدعت، الموت وحصدَ الملايين. وبين الأحداث الكبيرة، بين الزلازل والموجات المدّيّة والأعاصير والسيول، قدر الله لي ظهورًا شرفيًّا. ثم بعد ثلاثين عامًا أو عامٍ واحدٍ ينتهي دوري طبقًا لدفتر التنظيم الكوني.

يسألني رجال الشرطة على الجانب الآخر من باب الحمام: هل ضربتها؟ هل سرقت ملفات عملائها ودليل الاضطرابات النّفسيّة؟ إن ملفاتك كلها ضائعة.

أقول لهم إنها كانت تشرب وتتعاطى أدوية للأمراض النّفسيّة وتخلط المبيّض بالأمونيا في أماكنٍ مغلقة بلا تهوية كافية. لا أدري كيف كانت تقضي وقت فراغها، لكنها تكلمت عن مُواعدها لتشكيلةٍ كبيرة من الفشلة.

وهذه الملفات كانت معها بالأمس.

آخر شيءٍ قلته لها إنه لا يمكن تنظيف القرميد من دون استخدام تكنيك السّفع بالرمال أولاً، لكنها كانت متأكّدة من أن حمض الهيدروكلوريك سيفي بالغرض. لقد أقسم أحد أصحابها على هذا. عندما دخلت المنزل عبر نافذة القبو هذا الصباح كانت قد فارقت الحياة، وقد أغرق حمض

الهيديروكلوريك وغاز الكلورين نصف الحائط القرميدي الذي ظلّ مَسِيحًا رغم كلِّ شيء، والفارق الوحيد الآن أنها أصبحت جزءًا من الفوضى.

بين سروالها الكايري الأسود وجوربها الأبيض القصير أرى عضلات رَبْلَة ساقها بيضاء ناعمة، بينما استحال كلُّ شيءٍ كان أحمر فيها من قبل إلى اللون الأزرق: شفتاها وبشرتها وحافة كلِّ جفن.

الحقيقة أنني لم أقتل موظفة التحريّات الاجتماعيّة، لكنني سعيدٌ لأن أحدهم فعلها.

لقد كانت هي رابطي الوحيد بالسنوات العشر الأخيرة من حياتي، الشيء الأخير الذي يربطني بالماضي.

الحقيقة أنك من الممكن أن تتيّم مرّةً أخرى وأخرى وأخرى.

والحقيقة أن هذا سيحدث لك لا مناص.

السر أن الألم سوف يقل في كلِّ مرّةٍ عن المرّة السابقة إلى أن تكف عن الشعور بأيّ شيء.

ثق بي...

أول خاطر راودني، عندما رأيتها ميتةً بعد السنوات العشر التي قضيناها في الكلام من القلب كل أسبوع، أن ها هو ذا شيء آخر عليّ تنظيفه.

يسألني رجال الشرطة عبر باب الحمام: لماذا أعددت دورقًا من الداكيري بالفراولة قبل أن أتصل بهم؟

لأن ما لدينا من توت نَفَدَ طبعًا!

لأنه -ألا يرون هذا؟- لا فارق حقًا. الوقت ليس عاملاً ضروريًا.

فكّر في هذا على أنه تدريب عملي. فكّر في حياتك على أنها دعابة مريضة.

بمَ تصف موظفة التحريّات الاجتماعيّة التي تكره عملها وتفقد كلّ
عملاتها؟

ميتة.

بمَ تصف موظف الشرطة الذي يضعها في حقيبة الموتى الجلديّة
الكبيرة؟

ميت.

بمَ تصف مذيعة التلفزيون الواقفة أمام الكاميرا في الفناء الأمامي؟
ميتة.

لا يهم. الدعابة الحقيقيّة أن خاتمنا كلنا واحدة.

ينتظر وكيل الأعمال على خطّ الهاتف الأول، ومعه ما يبدو لي
كمستقبلٍ جديدٍ تمامًا يعرضه عليّ.

الرجل الذي أعمل لديه يصرخ على الهاتف أنه في غداء عمل في
أحد المطاعم، لكنه يتّصل بي من هاتفه المحمول من الحمامّ لأنه لا
يعرف كيف يأكل سلطة جمار النخيل. كأن هذا يهم حقًا.

أصرخ فيه أنني مثله تمامًا.

أعني أنني مختبئٌ مثله في الحمامّ.

ثمّة نوع من البهجة الخبيثة يتتابك عندما تعرف أن الشخص الوحيد
الذي يعرف أسرارك كلها مات أخيرًا. والداك، طبيبك، معالجك
النّفسي، موظفة التحريّات الاجتماعيّة. الشمس خارج نافذة الحمامّ
تحاول أن تُرينا كم نحن أغبياء كلنا. كل ما عليك فعله هو أن تنظر
حولك.

يُعلمونك في مستعمرة مقاطعة الكنيسة ألا ترغب شيئًا، ألا تشتهي

شيئًا، أن تكون سيماءك الاعتدال، أن تكون تصرّفاتك ولغة جسدك متواضعة، أن تكون نبرة كلامك بسيطة هادئة.

فانظر إلى الأثر الرائع الذي أحدثته فلسفتهم.

هُم موتى. أنا حي. موظفة التحريات الاجتماعية ميتة. الكل موتى.

انتهت مرافعتي أيها السادة.

معي هنا في الحمام أمواس أقطع بها شراييني، يود أشربه، حبوب نوم أبتلعها. لديك الخيار. عِش أو مُت.

كل نفس تلتقطه اختيار، كل لحظة تمر اختبار.

تكون أو لا تكون.

كل مرّة لا تُلقني فيها نفسك من أعلى السلالم لديك خيار، كل مرّة لا تُحطّم سيارتك وأنت داخلها تعيد الالتحاق بالحياة.

لو تركت وكيل الأعمال يجعلني شهيرًا كما يعد، فلن يتغير شيء مهم حقًا.

بِمَ تصف الكريديشي الذي يُقدّم برنامج التوك شو الخاص به؟

ميت.

بِمَ تصف الكريديشي الذي يتنقّل في سيارة ليموزين ويأكل اللحم المشوي؟

ميت.

أيّا كان الاتجاه الذي أسلكه، فليس لديّ ما أخسره فعلاً.

طبقًا لدفتر التنظيم اليومي، من المفترض أن أحرق بعض الزنك في المدفأة لتنظيف المدخنة من السُخام.

تراقب الشمس خارج نافذة الحمام، رجال المعمل الجنائي وهُم

يضعون موظفة التحريات الاجتماعية داخل حقيبة الجثث الجلدية المثبتة بمحقة يدفعونها إلى سيارة الإسعاف التي لا تدور أضواؤها.

لمدة طويلة بعد أن وجدتها، وقفتُ إلى جوار الجثة أرشف من الداكيري بالفراولة وأرمقها وهي مزرقّة ووجهها إلى أسفل. ليس من الضروري أن تكون فرتيليتي هوليس كي تتوقّع حدوث هذا. كان شعرها الأسود بارزاً من تحت الباندانا الحمراء المربوطة حول رأسها، ومن فمها سال خيط من اللعاب على الأرض، وبدا جسدها كله مغطى بالجلد الميت.

كان يمكنك تخمين أن هذا سوف يحدث منذ البداية، وهو ما سيحدث لنا جميعاً ذات يوم.

لم يعد حُسن السلوك يصلح، وحن وقت الشغب.

هكذا أعددت دورقاً آخر من الداكيري وطلبت رجال الشرطة قائلاً لهم ألا يُسرِعوا، فلا أحد هنا سيتحرّك من مكانه.

ثم إنني أتصلت بوكيل الأعمال. الحقيقة أن هناك دائماً من يُخبرني بما أفعله، سواءً كان كبار الكنيسة أو من أعمل لديهم أو موظفة التحريات الاجتماعية، ولا أطيع فكرة أن أكون وحدي. لا أحتمل أن أكون حُرّ التصرف.

قال وكيل الأعمال أن أنتظر وأدلي بشهادتي لرجال الشرطة، ولحظة أن أغادر ساجد الليموزين تنتظرنني.

ما زالت مُلصقاتي المطبوعة بالأبيض والأسود في كلِّ مكانٍ في المدينة تقول للناس: «أعطِ لنفسك، لحياتك، فرصة أخرى. اتصل بي للمساعدة». ثم رقم الهاتف.

حسن، كلُّ هؤلاء اليائسين أصبحوا وحدهم الآن.

قال وكيل الأعمال إن الليموزين سوف تصحبني إلى المطار، ومن

هناك ستحملني طائرة إلى نيويورك سيتي، حيث بدأ فريق من أشخاصٍ لم ألتق بهم قط، أناسٍ من نيويورك لا يعرفون شيئاً عني، في كتابة سيرتي الذاتية بالفعل. قال وكيل الأعمال إنهم سيرسلون لي الفصول الستة الأولى بالفاكس في الليموزين كي أحفظ تفاصيل طفولتي عن ظهر قلب قبل أن تبدأ المقابلات.

قلت لوكيل الأعمال إنني أعرف تفاصيل طفولتي كلها بالفعل، فقال على الهاتف:

- «لكن هذه النسخة أفضل».
نسخة؟

- «بل إن لدينا نسخة أفضل وأفضل من أجل الفيلم. من تريده أن يكون أنت؟».

- أنا أريد أن أكون أنا.

- «أقصد الممثل الذي سيُجسد شخصيتك».

أقول له أن يتمهّل. ها هي الشهرة تتحوّل إلى قدرٍ أقل من الحرّيّة وأكثر من جدولٍ للقرارات وتكليفٍ بعد تكليفٍ بعد تكليف. ليس الشعور مُحبيّاً، لكنه مألوف.

ثم دخل رجال الشرطة من الباب الأمامي، وحملوا موظفة التحريّات الاجتماعية الميتة من غرفة المعيشة بعد أن التقطوا صوراً للجنة من مختلف الزوايا وطلبوا مني أن أضع شرابي كي يسألونني عن الليلة السابقة. عند هذا حبست نفسي داخل الحمام وأصبت بما تُطلق عليه مراجع علم النفس اسم الأزمة الوجوديّة.

يتّصل الرجل الذي أعمل لديه من حمّام المطعم ليسألني عن سلّطة جمار النخيل فيكتمل يومي تماماً.

أعيش أم أموت؟

أخرج من الحمام وأمرَ برجال الشرطة في طريقي إلى الهاتف، وللرجل الذي أعمل لديه أقول أن يستخدم شوكة السَّلْطَة. اغرس الشوكة في كلِّ قطعة وقد وضعت الأسنان إلى أسفل وارفعها إلى فمك وامتنص ما بها من عُصارة، ثم ضعها في جيب صدر بذلتك الثمينة التي اشتريتها من بروكس براذرز.

يقول إنه فهم، وعندها ينتهي عملي في هذا المنزل إلى الأبد. أمسك الهاتف بيد، وييدي الأخرى أشير لأحد رجال الشرطة أن يضيف المزيد من الرَّم إلى الدَّفعة الجديدة من الداكيري.

يقول لي وكيل الأعمال ألا أزعج نفسي بحزم أيِّ أمتعة، فهناك في نيويورك مصمّم أزياء بدأ في تصميم مجموعةٍ كاملةٍ من الملابس الرياضية دينية الطابع المصنوعة من القطن الخالص وتبدو في مظهرها مصنوعة من الخيش، يريدون مني أن أقوم بالدعاية لها.

تُدكّرني الملابس بالأمتعة، فتُدكّرني بالفنادق، فتُدكّرني بالثُرَيَّات، فتُدكّرني بالكوارث، فتُدكّرني بفرتيليتي هوليس. هي الشيء الوحيد الذي أتركه ورائي. وحدها فرتيليتي قد تعرف أيِّ شيءٍ عني، حتى إذا كانت لا تعرف الكثير. ربما تعرف مستقبلي، لكنها لا تعرف ماضيّ. لا أحد يعرف شيئاً عن ماضيّ.

باستثناء آدم ربما...

هذان الاثنان يعرفان عن حياتي أكثر مني.

طيّقاً لدفتر التحرّكات، يقول وكيل الأعمال، فإن السيّارة ستصل خلال خمس دقائق.

لقد حان الوقت لمواصلة الحياة.

أو حان لإعادة الالتحاق بالحياة بالأحرى.

من المفترض أن تكون هناك نظارة شمس تنتظرني في الليموزين.
أريد أن أكون خفياً لكن بارزاً. أريد مقاعد من الجلد الأسود ونوافذ
تحجب الرؤية من الخارج. أقول لوكيل الأعمال إنني أريد حشوداً في
المطار تُردّد اسمي. أريد المزيد من المشروبات. أريد مدرّب رياضة
بدنية خاصاً. أريد أن أفقد خمسة عشر رطلاً من وزني. أريد أن يكون
شعري أكثر كثافة. أريد أن يبدو أنفي أصغر. أريد أسناناً منتظمة لامعة،
نونة ذقن، عظام وجنة مرتفعة. أريد مانيكيراً، وأريد أن أكتسب سُمرة.
وأحاول أن أتذكّر كل شيءٍ آخر لا يروق لفرتيليتي في مظهري.

في مكانٍ ما فوق نبراسكا أتذكّر أنني تركت سمكتي، ولا بُد أنها جائعة.

من تقاليد الكيريدش أن يكون لكلّ مناشيء يعتني به، كلبًا كان أو قطة أو سمكة. في معظم الأحيان يكون سمكة، مجرد شيء يحتاجك في البيت عندما تعود ليلاً، شيء يجعلك لا تعيش وحيدًا تمامًا.

السّمكة شيء يجعلني أستقر في مكانٍ واحد. طبقًا لتعاليم الكنيسة، فهذا هو سبب زواج الرجال من النساء وإنجاب النساء للأطفال، أن يكون هناك شيء تعيش حياتك حوله.

هذا جنون، لكنك تستثمر مشاعرك كلها في هذه السّمكة الدّهبيّة الصغيرة، وحتى بعد 640 سمكة لا يمكنك أن تترك ذلك الشيء الصغير المسكين يموت جوعًا.

أقول لمضيفة الطائرة إنني يجب أن أعود، أما هي فتقاوم يدي التي أطبقت على مرفقها.

ليست الطائرة إلا صفوفًا كثيرة من أناس جالسين ذاهبين في اتجاهٍ واحد بعيدًا عن الأرض، وذهابي إلى نيويورك يُشبه في مخيلتي الذهاب إلى الجنّة إلى حدّ كبير.

غير ممكن، تقول المضيفة. سيدي، لا يمكن أن تتوقّف الطائرة في أيّ مكان. سيدي، بعد أن نهبط ربما. سيدي، ربما لديك من تُبلّغه بما تريد أن تفعله.

لكن ليس هناك أحد.

لا أحد سيفهم.

لا مُشرف البناية.

ولا الشرطة.

تجذب المضيفة مرفقها بعيدًا عني في عُنْفٍ وترمقني بنظرة ذات مغزى واضح، ثم تبتعد.

كل من يمكنني الاتصال بهم عداها موتى.

هكذا أتصل بالوحيدة التي يمكنها مساعدتي، أتصل بآخر إنسانة أريد أن أكلّمها، وترد عليّ بعد أول رنة.

يسألها عامل الاستئجار إذا كانت تقبل تحمّل تكاليف المكالمة، وعلى بُعد مئات الأميال مني تقول له فرتيليتي أن نعم.

ألقيت عليها التحية فردّتها، ولم يبدُ صوتها مندهشًا لاتّصالي إلى هذا الحد.

تسألني:

- «لِمَ لم أجدك عند سرداب ترفور اليوم؟ كان بيننا موعد».

أقول إنني نسيت. حياتي كلها نسيانٌ في نسيان. هذه المهارة الأكثر قيمة التي أملكها.

أقول إنها سمكتي التي ستموت إذا لم يُطعمها أحد. قد لا يكون هذا مهمًا بالنسبة لها، لكن هذه السمكة تعني لي العالم كله. حاليًا هذه السمكة هي الشيء الوحيد الذي أبالى به، وعلى فرتيليتي أن تذهب إلى شقتي وتُطعمها، أو الأفضل أن تأخذها معها.

- «سمكتك. نعم، بالتأكيد».

نعم. ويجب إطعامها بصورة يومية. علبة الطعام الذي يروق لها

موضوعة إلى جوار الحوض فوق الثلاثجة، وها هو العنوان.

تقول:

- «استمتع بكونك قائدًا دينيًا عالميًا».

تتسع المسافة أكثر فأكثر بيننا إذ تحملني الطائرة شرقًا. الفصول الأولى من سيرتي الذاتية موضوعة على المقعد المجاور لي، ودعني أقول لك إنها شيء صادم تمامًا.

أسألها: كيف عرقتِ؟

تقول:

- «إنني أعرف أكثر مما تحسب بكثير».

مثل ماذا؟ ما الذي تعرفه أيضًا؟

تسألني:

- «وما الذي تخشى أن أكون أعرفه؟»

على الجانب الآخر من الستار تقول المضيفة:

- «إنه قَلِقٌ على سمكة!».

تضحك امرأة أخرى وتقول:

- «أهو معتوه؟».

بقدر ما أقول لفرتيليتي، أقول لطاقم الطائرة أيضًا إنه يتصادف أنني الناجي الأخير من طائفة دينية انقرضت تمامًا أو كادت، فتقول فرتيليتي:

- «كم هذا لطيف!».

وأقول إنني لا أستطيع أن أراها ثانية أبدًا.

- «نعم، نعم، نعم».

أقول إنهم يريدونني في نيويورك غدًا، إنهم يُخططون لشيء كبير.

وتقول فرتيليتي:

- «طبعا».

أقول إنني آسف لأنني لن أرقص معها مرّة أخرى.

فتقول فرتيليتي:

- «بل ستفعل».

بما أنها تعرف الكثير، أسألها، ما اسم سمكتي؟

- «رقم 641».

المعجزات تقع بالفعل. إنها على حَق.

- «لا تحاول أن تُخفي سرّاً عني، فمع كلِّ هذه الأحلام التي أراها كلِّ

ليلة، لم يعد هناك ما يُفاجئني».

بعد الدَّرجات الخمسين الأولى من السلالم، أجد أن أنفاسي ذاتها أصبحت عديمة القيمة ولا تظل داخل رثتي كفايةً. قدماي تطيران ورائي، وقلبي يرتطم بالأضلاع التي يقبع خلفها في صدري، وفمي من الداخل ولساني ملتصقان معاً من فرط جفاف لعابي. مكاني الآن على واحدة من ماكينات تسلُّق السلالم التي قام وكيل الأعمال بتركيبها، تلك الماكينات التي تجعلك تتسلَّق وتتسلَّق دون أن تصل إلى أيِّ مكان ودون أن تبتعد عن الأرض. إنك حبيس في غرفتك بالفندق، وهذه هي تجربة كوخ العَرَق⁽¹⁾ الروحانيَّة على طريقة هذا الزمان، الطريقة الوحيدة للمرور بتجربة روحانيَّة على غرار الهنود الحُمْر دون أن نحيد عن جدولنا اليومي.

هل كان لِد زِبِلِن يتخيَّل أن هناك سُلماً كهربائيًا إلى الجنة؟!

في حدود الطابق الستين يجعل العَرَق قميصي يتهدَّل حتى ركبتَيَّ، وأشعر بأن بطانة رثتيَّ مشدودة ناتئة على وشك التمزُّق. نعم، تمزُّق في الرثتين، تمامًا كما يبدو إطار السيَّارة قبل أن ينفجر مباشرةً. ذلك هو إحساسي برثتيَّ الآن. أذناي تُذكِّراني بالمدفأة الكهربائيَّة أو مُجفِّف الشَّعر عندما يحرق طبقة من الغبار. لا مزاح ها هنا.

لماذا أفعل كلَّ هذا؟ لأن وكيل الأعمال قال إن هناك ثلاثين رطلًا مني

(1) كوخ على شكل قبة مصنوع من المواد الطبيعية، يستخدمه هنود أمريكا الشمالية للقيام بحمام بخار كنوع من التطهر الروحي.

تحول بيني وبين الشهرة.

إذا كان جسدك معبدًا مقدسًا، فمن الوارد أن تؤجّل أعمال الصيانة المطلوبة له لمدة طويلة، أما جسدي أنا فيحتاج إلى شركة مقاولات كاملة.

بشكلٍ ما كان يجب أن أتوقّع هذا.

تمامًا كما يعيد كلُّ جيلٍ اختراع المسيح، فإن وكيل الأعمال يُخضعني لعملية التجديد الشاملة هذه ذاتها. يقول وكيل الأعمال إن أحدًا لا يمكنه أن يعبد أو يُجّل أحدًا بكلِّ هذه الشحوم في جسده، إنه في أيامنا هذه لن يملأ الناس ستادًا كاملًا ويتلقون العظّات من أحدٍ غير جميل. لهذا السبب تجدني أُجري إلى لا مكان بسرعة 700 سُعر حراري في الساعة.

في حدود الطابق الثمانين أشعر كأن مثنائي قد هبطت إلى ما بين فخذيّ. عندما ترفع الغلاف البلاستيكي عن شيء سخّنته في الميكروويف ويلسع البخار أصابعك في جزءٍ من الثانية، فهذه هي درجة حرارة أنفاسي الآن. تصعد إلى أعلى وأعلى وأعلى ولا تصل إلى أيِّ مكان. إنه مجرد وهم التقدّم، ما تريد أن تعتقد أنه خلاصك.

ما ينسأه الناس باستمرار أن الرحلة إلى اللا مكان تبدأ بخطوة واحدة أيضًا.

طبعًا لا تأتي إليك روح ذئب البراري العظمى كما تفعل مع الهنود الحمر، لكن في حدود الطابق الحادي والثمانين تبدأ تلك الأفكار العشوائية التي تتكوّن في طبقة الأوزون العليا، التي لا بُد أنك بلغتها الآن، في التجمّع في رأسك، وتبدأ الأشياء السخيفة في أن تصبح مفهومة معقولة كما أخبرك وكيل الأعمال. هذا بالضبط هو ما تشعر به وأنت تُنظّف المشواة من بقايا جلد الدجاج المحترقة مُستخدِمًا الأمونيا،

فعندها يصير كلُّ شيءٍ سخيِّف في العالم - القهوة منزوعة الكافيين، الكحول، البيرة المجانيَّة، السلالم الكهربائيَّة - منطقيًّا تمامًا؛ ليس لأنك ازددت ذكاءً فجأة، بل لأن الجزء الذكي من مُخِّك ينال قسطًا من النوم في الحقيقة. إنه ذلك النوع من الحِكمة الزائفة، ذلك النوع من التنوير الذي يمنحك إياه الطعام الصيني ثم تنساه تمامًا بعد عشر دقائق عندما يصفو ذهنك مرَّةً أخرى.

هل تعرف تلك الأكياس البلاستيكيَّة الصغيرة للغاية التي يُقدِّمون لك فيها الفول السوداني المحمَّص على متن الطائرة؟ أشعر كأن رتبيِّ قد أصبحتا بذلك الحجم بالضبط الآن. بعد خمسة وثمانين طابقًا يصبح الهواء بهذه النُدرة. ذراعاك تنبضان كالمضخَّة، وساقاك تتعطلان مع كل خطوة جديدة. عند هذه المرحلة يصبح كلُّ خاطرٍ يتتابك بالغ العمق.

هل تعرف الفقاعات التي تتكوَّن في قديرٍ من الماء قبل أن يبدأ في الغليان؟ هكذا يصيبك الفهم الشامل لكلِّ شيءٍ فجأةً.

في حدود الطابق التسعين يصبح كلُّ شيءٍ خلاصة الحكمة ومنتهاها. الأمثلة تذوب ذات اليمين وذات الشمال.

كلُّ شيءٍ تقليدي يستحيل إلى مجازٍ قوي.

المعنى الأعمق لكلِّ شيءٍ في الدُّنيا أمام عينيك مباشرةً.

وكلُّ شيءٍ له مغزى مهم.

كلُّ شيءٍ شديد العمق.

كلُّ شيءٍ واقعي تمامًا.

كلُّ شيءٍ قاله لي وكيل الأعمال أصبح منطقيًّا تمامًا الآن. على سبيل المثال، لو كانوا قد وضعوا يسوع المسيح في السجن دون وجود أحدٍ يُشاهده أثناء عذابه، أكان ليصبح السبب في خلاصنا؟

مع كامل احترامي طبعاً...

طَبَقاً لوكيل الأعمال، فإن أكبر عاملٍ يجعل منك قَدِيماً هو قَدْر التغطية الإعلامية التي تحظى بها يا عزيزي.

في حدود الطابق المئة يصبح كلُّ شيءٍ أوضح من أيِّ وقتٍ سابقٍ— الكون كله، وليس هذا بسبب الإندورفين. ارتفع عن الطابق المئة وسوف تدخل في حالةٍ صوفيّة.

تماماً كما تسقط شجرة في غابة ولا يسمعها أو يراها أحد، أدرك أنه لو لم يكن هناك أحد ليشهد آلام المسيح، فهل كنا سننال الخلاص؟
سِرّ الخلاص هو قَدْر الاهتمام الذي ينالك، قَدْر شهرتك وجمهورك وانتشارك، تعرّف الجموع على اسمك، المتابعة الإعلامية الدائمة لك.
الضجّة التي حولك.

في حدود الطابق المائة يُبعثر العَرَقُ شعرك في كلِّ مكان، والميكانيكا المملّة التي يعمل بها جسدك تتّضح تماماً. تمتص رتاك الهواء لتضعاه في دمك، ويضخ قلبك الدم إلى عضلاتك، وأوتار الرُّكبة تُجاهد كي ترفع ساقيك، فتكافح عضلات الفخذين لتحريكهما إلى الأمام. يحمل الدم الهواء والطعام ليحترق داخل أياً كان اسمه الذي يوجد في منتصف كلِّ خلية من عضلاتك. ليس الهيكل العظمي إلا وسيلة تمنع أنسجتك من التساقط على الأرض، وليس العَرَقُ إلا وسيلة لتبريدك.
تنهمر الحقائق عليك من كلِّ اتجاه.

في حدود الطابق المائة وخمسة تجد أنك لا تُصدِّق أنك عبد لهذا الجسم، هذا الطفل الكبير الذي عليك إطعامه ووضعه في الفراش وإدخاله الحَمَّام. لا تُصدِّق أننا لم نخترع شيئاً أفضل من هذا، شيئاً لا يحتاج إلى كلِّ هذا المجهود أو يستهلك كلَّ هذا الوقت.

تُدرك أن الناس يتعاطون المخدّرات لأنها المغامرة الشخصية الحقيقية الوحيدة التي تبقّت في عالمنا، بكلّ ما فيه من وقتٍ محدود وأنظمة وقوانين عليك الالتزام بها وممتلكاتٍ مُحدّدة لا يمكنك تجاوزها.

فقط في المخدّرات أو الموت يمكننا أن نرى شيئًا جديدًا، لكن الموت يجعل خياراتك محدودةً للغاية.

تُدرك أن لا طائل من فعل أيّ شيءٍ ما لم يكن هناك من يُشاهدك، وتتساءل: لو كان عدد الحضور محدودًا عند الصلْب، فهل كانوا سيؤجّلون مواعده؟

تُدرك أن وكيل الأعمال كان على حق. إنك لا ترى أبدًا تمثالًا أو لوحة لصلْب المسيح دون أن يكون شبه عارٍ فيها. لا ترى أبدًا المسيح بدينًا، ولا ترى شعرًا على جسمه. كلُّ لوحةٍ أو تمثالٍ تراه يكون المسيح عاري الجذع ويكاد يصلح لتسويق نوعٍ جديدٍ من العطور الرجاليّة.

الحياة كما قال وكيل الأعمال بالضبط. تُدرك أنه لو لم يكن هناك من يُشاهدك، فلربما من الحري بك أن تعود إلى بيتك وتبقى هناك، تُداعِب نفسك، وتُشاهد التلفزيون.

في حدود الطابق المائة وعشرة تُدرك أنك لو لم تكن على شرائط الفيديو، بل ويُشاهدك العالم كله على الهواء مباشرةً أيضًا، فإنك غير موجود أصلًا.

إنك تلك الشجرة التي سقطت في غابة ولا يبالي بها أحد مقدار ذرّة. لا يهم ما تفعله إطلاقًا، فطالما لا يُلاحظك أحد سيكون حاصل حياتك صفرًا، لا شيء، عدَمًا.

سواءً كانت زائفة أم لا، فتلك هي الحقائق الكبرى التي تعتمل بداخلك.

تُدرك أن عدم ثقتنا بالمستقبل تجعل التخلّي عن الماضي عسيرًا. لا يمكننا التخلّي عن مفهومنا عن أنفسنا. كل واحدٍ من هؤلاء الكبار الذين يتظاهرون بأنهم علماء آثار في المعارض ويبحث كل منهم عن أثرٍ من طفولته - ألعاب ورقية، سُلّم وُعبان، كاندي لاند، تويستر - يشعر بالرعب. تصبح القمامة رفاتًا مقدّسة، ميستري ديت⁽¹⁾، هولا هوب. إنها طريقتنا للشعور بالحنين إلى ما تخلّصنا منه في سلّة المهملات، وكل هذا لأننا خائفون من التطوّر، من النضوج، من التغيّر وفقدان الوزن وتجديد أنفسنا من التكيّف.

هذا ما يقوله لي وكيل الأعمال وأنا أرتقي السلام الكهربائية، ويصرخ:
- «تكيّف!».

كل شيء يتسارع باستثنائي أنا وجسدي، بما فيه من برازٍ وشعرٍ وشاماتٍ وأظفارٍ صفراء، وأدرك أنني لا أستطيع الفرار من جسدي أبدًا، وها هو يتداعى بالفعل. أشعر بعمودي الفقري كأنهم طرّفوا عليه كالحديد الساخن، وذراعي تتدليان على جانبي في تراخ.
بما أن التغيير عملية دائمة لا تنتهي، فإنك تتساءل إن كان الناس يشتهون الموت لأنه الطريقة الوحيدة لإنهاء أي شيء تمامًا.

يصرخ وكيل الأعمال أنه مهما كان مظهرك رائعًا، فجسدك مجرد شيء ترتديه وأنت تتسلّم الأوسكار.

الغرض الوحيد من يدك أن تحمل بها جائزة نوبل.
شفتاك مخلوقتان فقط كي تطبّع قبلة في الهواء على وجه مذيعة التوك شو.

(1) لعبة أطفال لوحية، صُممت خصيصًا للفتيات تحت سن 14 سنة.

فما المانع إذن أن تبدو في صورة رائعة؟

في حدود الطابق المائة وعشرين تبدأ في الضحك. سوف تفقده على كلِّ حالٍ، جسّدك هذا، بل إنك تفقده بالفعل، وهذا هو الوقت المناسب للرهان بكلِّ شيء.

لهذا السبب عندما يأتي إليك وكيل الأعمال حاملاً المُنشّطات تقول نعم، وتقول نعم لجلستين متتاليتين لاكتساب السُّمرة. إزالة الشعر بالكهرباء؟ نعم. تقويم الأسنان؟ نعم. صنفرة البشرة؟ نعم. تقشير الجلد بالكيماويّات؟ نعم.

طبّقاً لوكيل الأعمال، فإن سر الشُّهرة هو أن تقول نعم لكلِّ شيء.

في السيّارة التي أقلتني من المطار يُريني وكيل الأعمال علاجًا للسرطان اسمه كيموسولف. يقول إنه من المفترض أن يُذيب الأورام، ويفتح حقيقته الجلديّة ليُخرج زجاجة دواء بُنِيّة بها كبسولات ذات لونٍ داكن.

هذه وثبة قصيرة في الزمن إلى ما قبل تعرُّفي على ماكينه السلاالم الكهربائيّة، إلى لقائي الأول بوكيل الأعمال في الليلة التي أقلتني فيها من المطار في نيويورك، قبل أن يقول لي إنني ما زلت أكثر بدانة من أن أكون شهيرًا، قبل أن أكون منتجًا جديدًا يتم طرحه في الأسواق. كان الظلام سائدًا عندما هبطت الطائرة في نيويورك، ولم أر أيّ شيءٍ مبهرًا. إنه الليل نفسه والقمر نفسه الذي أعرفه، ووكيل الأعمال رجل عادي يرتدي نظارة وله شعرٌ بُنيٌّ مفروق من الجانب، يقف ينتظرنني حيث نزلت من الطائرة. نتصافح وتتوقّف سيّارة عند الرصيف الخارجي للمطار ونركب في المقعد الخلفي. يرفع الطيّة في كلّ ساقٍ من سرواله بعض الشيء وهو يدخل السيّارة، ويبدو لي كأنه مُفصّل (وكيل الأعمال نفسه وليس السروال).

الحقيقة أنه يبدو مستديمًا قوي الاحتمال، ومجرّد النظر إليه يُشعرنني بالذنب الذي أشعر به كلما ابتعت شيئًا من المستحيل إعادة تدويره. يقول وهو يُناولني زجاجة بُنِيّة أخرى وأنا جالس إلى جواره على المقعد الخلفي:

- «هذا علاج آخر للسرطان اسمه أونكولوجيك».

هذه سيّارة فارهة مبطنّة كلها بالجلد الأسود الفاخر من الداخل، وحتى حركتها أخف من حركة الطائرة.

هناك المزيد من الكبسولات الداكنة داخل الزجاجة الثانية، وقد لُصقت حول الزجاجة نفسها رُقعة كالتي تضعها الصيدليّات على الأدوية. يُخرج وكيل الأعمال زجاجة ثالثة ويقول:

- «هذا أحد علاجاتنا للإيدز».

يُخرج زجاجة بعد زجاجة.

- «هذا علاجنا الرئيس للسُّل المقاوم للمضادّات الحيويّة. هذا للتليّف الكبدي. هذا للألزهايمر. اعتلال الأعصاب المحيطيّة. الورم النقوي المتعدّد. تصلّب الأنسجة المتعدّد. الفيروسات الأنفيّة».

يقول كلّ هذا ويرُج كلّ زجاجة فتُخشخش الجيوب بداخلها، ثم يُناولني إياها.

فيرال-سبت على واحدة من الزجاجات.

ماليج-نون على زجاجة أخرى.

سيربيرال-سيف.

كوليكاين.

كلمات بلا معنى...

كلها زجاجات بلاستيكيّة صغيرة بُنيّة اللون ذات حجم واحد وأغطية بيضاء مكبوسة تمنع الأطفال من فتحها، وكلها يحمل الرُقعة نفسها من الصيدليّة نفسها.

يأتيني وكيل الأعمال مغلّفًا ببذلة من الصوف الرمادي ومزوّدًا بحقيته الجليديّة فقط. لديه عينان بُنيّتان وراء نظّارته، ولديه فم وأظفار يد نظيفة. لا شيء غير معتادٍ فيه باستثناء ما يقوله لي.

يرفع حفتين آخرين من الزجاجات البنية من حقيبتها ويرجها قائلاً:
- «جلبت كل هذه معي لأثبت نقطة».

مع كل لحظة تمر تذوب سيارتنا أكثر فأكثر في ظلام نيويورك سيتي،
وحولنا تتحرك السيارات الأخرى والقمر بالسرعة نفسها، وأقول إنني
مندهش من أن كل تلك الأمراض لا يزال موجوداً في العالم رغم كل
تلك الأدوية، فيقول وكيل الأعمال:

- «من المؤسف أن التكنولوجيا الطبية لا تزال متأخرة كثيراً عن
الجانب التسويقي. لقد رسمنا خرائط دعم المبيعات منذ سنوات، بما
في ذلك مجّات القهوة التي أعطيناها مجاناً للأطباء وإعلانات المجلات
التي من المفترض أن تمنحك شعوراً بالأمل، بالإضافة إلى خطط إطلاق
المنتجات نفسها. المشكلة تكمن في النغمة التي تسمعها دائماً في
الخلفية طوال الوقت، وأقصد بهذا عملية البحث والتطوير التي لا تزال
متخلفة بسنوات. قرود التجارب لا تزال تتساقط كالذباب في المعامل».
أسنانه المثالية الناصعة تبدو كأنها مرصوفة في صَفِّين على يد
جواهري.

حبوب الإيدز لا تختلف في شيء عن حبوب السرطان لا تختلف
في شيء عن حبوب التهاب الكبد الوبائي لا تختلف في شيء عن
حبوب السكرى.

أسأله: هل لم تُخترع هذه الأشياء إذن؟

- «دعنا لا نستخدم كلمة "اختراع"، فهي تجعل كل شيء يوحى
بالافتعال».

- لكنها ليست حقيقة؟

يقول وهو يختطف أول زجاجتين من يدي:

- «بل حقيقة بالطبع، ولها حقوق ملكية كذلك. إن لدينا مخزوناً

من نحو خمسة عشر ألف اسم موثق باسمنا لمنتجاتٍ لا تزال في مرحلة التطوير، وهذا يتضمّنك بالمناسبة».

- أنا؟

- «هذه هي النقطة التي أريد أن أثبتّها».

ويطوّرون علاجًا للسرطان؟

- «تعمل مؤسّستنا على المفاهيم الجوهرية للتسويق بالإضافة إلى العلاقات العامّة. مهمتنا هي خلق المفهوم. إنك تحصل على براءة اختراع الدواء وتُسجّل حقوق ملكيته باسمك، وبمجرد أن يقوم أحدهم بتطوير منتج ما فإنه يأتي إلينا، أحيانًا باختياره وأحيانًا رغماً عنه».

أسأله: ولِمَ رغماً عنه أحيانًا؟

- «لأننا نُسجّل باسمنا حقوق الملكية لكلّ تشكيّة يمكن تخيلها من الكلمات، كلمات يونانية أو لاتينية أو إنجليزية، أيّ لغة. هكذا تكون لدينا الحقوق القانونيّة لكلّ كلمة، نتصوّر أن شركات الأدوية يمكن أن تستخدمها لتسمية منتج جديد. للسُّكري وحده لدينا قائمة من مئة وأربعين اسمًا».

يُناولني مجموعة من الأوراق المدبّسة معًا من حقيبته الموضوعّة في حِجره.

جلوكو-كيور.

إنسولين-إيز.

پانكري-آيد، هيمازين، جلوكودان، جروديناس. أقلب الصفحة وتسقط الزجاجات من حِجري وتندرج على أرضيّة السيّارة فتُخشخش الحبوب بداخلها.

- «أيّا كانت شركة الأدوية التي ستعالج السُّكري وتريد أن تستخدم أيّ تشكيّة من الكلمات التي لها علاقة بالمرض ولو من بعيد، فعليهم استئجار حق استخدام تلك الكلمة منا».

أقول له إن هذه الحبوب حبوب سُكَّرِ إذن. أفتح واحدة من الزجاجات وأخذ منها حبة لامعة ذات لونٍ أحمر داكن وأرجُّها في راحة يدي، ثم ألعقها فأجدها شوكلاتة مغلّفة بالحلوى. هناك حبوب أخرى مصنوعة من الجيلاتين وبداخلها سُكَّرِ ناعم.

إنها نماذج، يقول، عينات.

- «النقطة التي أريد إثباتها أن كلَّ ذرَّةٍ من مسيرتك المهنية معنا مُخطَّطة بالفعل وفي مكانها، كما أننا نتنبأ بوصولك منذ أكثر من خمسة عشر عامًا. أقول لك هذا كي تسترخي وتدع عنك القلق».

لكن كارثة الكنيسة الكيريدشيَّة كانت منذ عشرة أعوام فقط.

وأضع حبةً برتقاليَّةً من الجريامازون في فمي.

- «كنا نتنبَّعك. بمجرد أن قلَّ عدد النَّاجين من الكيريدش عن المئة بدأنا الحملة. هذا العد التنازلي في مختلف وسائل الإعلام طوال الشهر الستة الماضية نحن المسؤولون عنه، لكنه كان بحاجةٍ إلى بعض التعديل فقط. لم يكن شيئاً محدَّداً في البداية، بل هي مجرد عملية إحلال وتبديل بسيطة، ملء للفراغات، لكن كلَّ شيءٍ كان جاهزاً بالفعل. ما كان ينقصنا هو شخص واحد واسم النَّاجي الأخير، ومن هنا تدخل أنت الصورة».

أُخرج دستتين من الإنزانا من زجاجةٍ أخرى وأضع الحبوب تحت لساني إلى أن يذوب غلافها الأسود المصنوع من الحلوى، ثم تذوب الشوكولاتة في فمي.

يُخرج وكيل الأعمال من حقيبه المزيده من الأوراق المطبوعة ويُناولني إياها.

فورد ميريت.

ميركري رابشر.

دودج فيجنت.

- «معنا حقوق ملكية أسماء سيارات لم تُصمّم بعد، برامج كومبيوتر لم تُكتب كوداتها، علاجات إعجازية لأمراض لا تزال لائحة في الأفق من بعيد، كل منتج يمكننا توقّعه».

تسحق أسناني جرعة زائدة حلوة من حبوب الدونادون الزرقاء.
يرمقني وكيل الأعمال ويتنهد قائلاً:

- «بالمناسبة، كفاك سرعات حرارية عديمة الجدوى. إن مهمتنا الأولى هي العمل على تعديل شكلك كي تكون صالحًا للحملة. أهدا لون شعرك الحقيقي؟».

أحشو فمي بمليون ملليجرام من الجودازون.

- «لا أريد أن أكون وقحًا، لكن وزنك أثقل بثلاثين رطلًا تقريبًا مما نريدك».

يمكنني أن أفهم مسألة الحبوب الزائفة، لكن ما لا أفهمه هو كيف تُخطّط لحملة كاملة عن شيء ما قبل أن يحدث. من غير الممكن أن يكون قد خطّط للحملة قبل الخلاص.

يخلع وكيل الأعمال نظّارته ويطويها ويضعها في حقيبته، ثم يأخذ مني قوائم المنتجات المعجزة التي سوف يشهدها المستقبل القريب أو البعيد ويضعها في الحقيبة بدورها. ينتزع زجاجات الكبسولات من يدي انتزاعًا وقد فرغت كلها.

يقول:

- «الحقيقة أن لا شيء جديدًا يحدث أبدًا».

يقول:

- «لقد رأينا كل شيء».

يقول:

- «أصغ إليّ جيدًا».

في سنة 1653 غيّرت الكنيسة الروسية الأرثوذكسيّة بعض الطُقوس الدينيّة القديمة، مجرد تغييراتٍ طفيفة، مجرد كلمات، وباللغة الروسية بحقّ السماء! كان هناك أسقف اسمه نيكون هو من قدّم هذه التغييرات، بالإضافة إلى بعض السلوكيّات الغربيّة التي كانت قد صارت ذاتة في البلاط القيصري وقتها، إلى المجتمع الروسي. ثم بدأ الأسقف في تطبيق الحرمان الكنسي على كلّ من تمرد على تلك التغييرات الجديدة.

يمد يده في ظلام السيّارة عند قدمي ليلتقط بقية الزجاجات.

طبقًا لوكيل الأعمال، فإن الرهبان الذين لم يرغبوا في تغيير الطريقة التي اعتادوا العبادة بها لاذوا بالفرار إلى أديرة في أماكنٍ قصيّة، لكن السُلطات الروسية طاردتهم ونكّلت بهم، ومع حلول عام 1665 كانت مجموعات صغيرة من الرهبان قد بدأت في إحراق نفسها حتى الموت، واستمرّت حالات الانتحار الجماعي هذه في شمال أوروبا وسيبيريا خلال سبعينات القرن السابع عشر. في عام 1687 استولت مجموعة من ألفين وسبعمئة راهب على أحد الأديرة، وحبس هؤلاء أنفسهم داخله وأضرموا فيه وفي أنفسهم النيران، وفي عام 1688 أحرق ألف وخمسمئة من المؤمنين القدماى أنفسهم أحياء في ديرهم المغلّق. مع نهاية القرن السابع عشر كان نحو عشرين ألف راهب قد قتلوا أنفسهم بدلًا من الخضوع للحكومة.

يُغلق وكيل الأعمال حقيبته الجليديّة ويميل إلى الأمام على نحوٍ يشي بخطورة ما يقول.

- «واصل هؤلاء الرهبان الروس قتل أنفسهم حتى عام 1897. هل يبدو هذا مألوفًا؟».

لديك شمشون في العهد القديم، يقول، ولديك الجنود اليهود الذين قتلوا أنفسهم في قلعة مسعدة، والهارا كيري لدى اليابانيين، والساتي بين الهندوس، والإندورا بين الكاثار في جنوب فرنسا خلال القرن الثاني

عشر. ظلَّ وكيل الأعمال يعد طائفةً بعد طائفةٍ على أطراف أصابعه. هناك الرواقيون، وهناك الإبيقوريون، وهناك قبائل هندود الجويانا الذين قتلوا أنفسهم كي يولدوا من جديد كرجالٍ بيض.

- «في العصر الحديث لديك مأساة الانتحار الجماعي لأتباع معبد الشعب في 1978 التي خلّفت أكثر من تسعمائة من الموتى».

وخلّفت كارثة الفرقة الداوودية في العام 1993 ستًّا وسبعين جثة.

وتسببت كارثة الانتحار والقتل الجماعي لجماعة المعبد الشمسي في عام 1994 في مصرع ثلاثة وخمسين شخصًا.

وأتى انتحار طائفة بؤابة الفردوس في عام 1997 على حياة تسعة وثلاثين.

- «ليس انتحار الكريديش إلا غيضًا من فيض. كان مجرد انتحار جماعي متوقّع في عالم مليء بالجماعات المُنشقة التي تترنّح في الحياة إلى أن تحين لحظة المواجهة. ربما كان قائدهم على وشك الموت كما في حالة بؤابة الفردوس، أو ربما تحرّشت بهم الحكومة كما في حالة الرهبان الروس أو معبد الشعب أو كنيسةكم الكريديشية».

يقول:

- «الحقيقة أن كلّ هذا يثير الملل إلى أقصى حد. إنك تتوقّع المستقبل بناءً على الماضي. يجدر بنا أن نفتح فرعًا للتأمين في مؤسستنا في الحقيقة، لكن على كلّ حال مهمّتنا هي أن نجعل انتحار الطوائف الدينية يبدو شيئًا جديدًا مثيرًا في كلّ مرّة».

بعد أن عرفتُ فرتيليتي، أتساءل إن كنت الشخص الوحيد في العالم الذي لا يزال يندهش من أيّ شيء. إن فرتيليتي وأحلامها بالكوارث، وهذا الرجل بذقنه الحليقة ودائرة التاريخ المغلقة التي يحملها معه، كفولة قُسمت إلى نصفين مملّين!

- «الواقع يقول إنك تعيش إلى أن تموت، والحقيقة الحقيقية أن لا أحد يريد الواقع».

يُغلق وكيل الأعمال عينيه ويضغط كفه المفتوحة على جبهته ويواصل:
- «الحقيقة أن لا شيء مميزاً على الإطلاق في حادث الكنيسة الكريديشية. لقد أسستها جماعة مُنشقة من الميلريت سنة 1860 خلال الصحوة الكبرى، أي في الفترة التي شهدت فيها كاليفورنيا وحدها أكثر من خمسين ديانة مُنشقة كَوْن كل منها مدينته الفاضلة الخاصة».

ويفتح عينيه ويشير إليّ مستطردًا:

- «لديك حيوان أليف ما، قطة أو طائر أو سمكة، أليس كذلك؟».

أسأله: كيف يعرف بأمر سمكتي؟

- «ليس من الضروري أن يكون هذا صحيحًا، لكنه مُحتمل. لقد منح الكريديش مُبشريهم العاملين ما عُرف باسم امتياز التميمة -أي الحق في اقتناء حيوان أليف- سنة 1939. كان هذا العام نفسه التي سرقت فيه واحدة من بناتكم اللاتي يُدعَيْن بيدي طفلاً من العائلة التي كانت تعمل لديها. لقد وجدوا أن اقتناء حيوان أليف يُعوضك عن الحاجة إلى رعاية الأطفال لأن زواجكم ممنوع».

- واحدة من البنات سرقت طفلاً؟

- «في برمنجهام، ألاباما. بالطبع قتلت نفسها لحظة أن عثروا عليها».

أسأله عن المعلومات الأخرى التي لديه.

- «لديك مشكلة مع الاستمناء».

أقول إنه من السهل عليه أن يعرف هذا، فهو مذكور في ملفي لدى برنامج الحفاظ على الناجين.

- «لا، فلحسن حظنا أن جميع ملفات العملاء التي كانت مع موظفة التحريّات الاجتماعية التي تولّت حالتك مفقودة. لن يكون هناك مجال

لتكذيب أيّ شيءٍ نقوله عنك. وقبل أن أنسى، لقد اقتطعنا ستة أعوام من حياتك. إذا سألك أحد، فأنت في السابعة والعشرين من عمرك».

كيف إذن يعرف الكثير عن... عني؟

- «عن مشكلتك مع الاستمناء؟ يبدو أنكم كلكم تعاونون من المشكلة نفسها أيها المُبشرون العاملون».

آه لو يعلم! في مكانٍ ما في ملفّي الضائع سجلات عن كوني مولعًا بكشف عورتي، عن كوني أعاني من الاضطراب ثنائي القطب ورهاب الجراثيم والولع بالسرقة من المحال... إلخ. في مكانٍ ما في الليل وراءنا تأخذ موظّفة التحريّات الاجتماعية أسرارِي معها إلى القبر، وفي مكانٍ ما في العالم ورائي هناك أخي.

بما أنه خبير كبير هكذا، أسأل وكيل الأعمال إن كانت هناك حالات قتل لأناس كان من المفترض أن يتحروا ولم يفعلوا. في تلك الديانات الأخرى، هل أخذ أحدهم يقتل النَّاجين؟

- «في حالة معبد الشعب كانت هناك حفنة من النَّاجين الذين قُتلوا دون تفسير، وفي حالة جماعة المعبد الشمسي كذلك. دعني أقول لك إن متاعب الحكومة الكندية مع جماعة المعبد الشمسي هي التي دفعت الحكومة الأمريكية لبدء البرنامج الفدرالي للحفاظ على النَّاجين، بعد أن ظلّت مجموعات صغيرة من النَّاجين الفرنسيين والكنديين تقتل بعضها البعض لسنواتٍ بعد الكارثة الأصليّة. أطلقوا على جرائم القتل هذه اسم الرحيل. أتباع المعبد الشمسي هؤلاء أحرقوا أنفسهم أحياءً بالجازولين ومتفجّرات الهروبان التي اعتقدوا أنها ستقذفهم إلى الحياة الأبدية على النجم سيربوس!».

ويشير إلى السماء ويضيف:

- «مقارنةً بهذا، كانت فوضى الكريديش محكومة إلى حدّ كبير».

أسأله: هل توقع شيئاً عن ناچ بطارد الكريديش المتبقيين ويقتلهم؟
- «ناچ آخر غيرك؟».

- نعم.

- «يقتل الناس؟».

- نعم.

يتطلّع خارج السيّارة إلى أضواء ليل نيويورك ويغمغم:

- «كريديشي قاتل؟ ربّاه! كم لا أتمنى هذا حقاً!».

أنظر إلى الأضواء نفسها من وراء الزجاج الداكن، أنظر إلى النجم سيريوس، أنظر إلى ما وراء انعكاس وجهي الملطّخ بالشوكولاتة وأقول:
نعم، وأنا أيضاً.

- «إن حملتنا كلها قائمة على حقيقة أنك النّاجي الأخير. إذا كان هناك كريديشي آخر على قيد الحياة في أيّ مكانٍ في العالم، فأنت تُضيّع وقتنا ولا مكانٍ للحملة إلا في مواسير المجاري. إذالم تكن الكريديشي الوحيد الحي في العالم كله فأنت بلا قيمة لدينا».

ويفتح حقيبته ويُخرج زجاجة بُنيةٍ أخرى يناولني إياها ويقول:

- «هاك. خُذ حَبَّتَيْنِ من السيرينادون. إنه أفضل مضاد للقلق تم اختراعه على الإطلاق».

كل ما هنالك أنه غير موجود حقاً بعد.

ويضع الحَبَّتَيْنِ في راحتي ويقول:

- «تظاھر بأنه موجود على سبيل تأثير البلاسيبو».

سوف يقول الناس فيما بعد إن المنشّطات هي التي أصابتنني بالجنون.

الدوراستون 250.

حبوب المايفرستون للإجهاض من فرنسا.

الپلیناستریل من سویسرا.

الماسٹیرون من البرتغال.

هذه هي المنشطات الحقيقية، وليست أسماء الأدوية ذات حقوق الملكية التي سيتم اختراعها مستقبلاً.

هذه هي المنشطات التي تُحقن وتُبتلع وتُلصق على الجلد.

سيقولون بكلّ ثقةٍ إن المنشطات هي ما حوّلتني إلى هذا المجنون
خاطف الطائرات الذي يُحلّق حول العالم إلى أن يقتل نفسه. كأن الناس
يعرفون أيّ شيءٍ عن كون المرء قائداً دينياً شهيراً مُحْتَفَى به في كلّ مكان.
كأن أحداً منهم لا يبحث في كلّ مكانٍ بالفعل عن معلّم روجي جديد يجعله
يفهم المراد من حياته المملة الخالية من الإثارة، بينما يجلس على مؤخرته
يشاهد التلفزيون ويُصدر عليّ أحكامه. الناس كلهم يبحثون عن ذلك،
عن يدٍ تمتد إليهم وتُرشدُهم، عن الطمأنينة والوعد بأن كلّ شيءٍ سيكون
على ما يرام. هذا هو كل ما أراه مني أنا المُنهك اليائس المشهور، أنا
الذي لا تخفّ عنه الضغوط أبداً. لا أحد من هؤلاء الناس يعرف شيئاً
واحداً عن كون المرء مثلاً أعلى كبيراً ساحراً يخلب ألباب الجماهير.
في حدود الطابق المائة وثلاثين على ماكينه التسلّق إياها تبدأ في
الهديان والثرثرة بلُغاتٍ لا تعرفها.

لا أحد - باستثناء فرتيّتي ربما- يعرف قدر المجهود الذي بذلته ليل
نهار كي أصبح أنا، الذي صرته الآن.
تخيّل شعورك لو تحوّلت حياتك كلها إلى وظيفةٍ لا تطيقها.
لا، الجميع يعتقدون أن حياتهم يجب أن تكون كلها بنفس متعة
الاستمناة على أقل تقدير.

أود أن أرى هؤلاء يحاولون، ولو مرّة، الحياة في عُرف الفنادق
والعثور على وجبةٍ منخفضة الدهون والتظاهر على نحوٍ قد لا يُقنع أحداً
ببلوغ أعماق السلام الداخلي والتوحد مع الله.

عندما تصبح شهيرًا لا يعود العشاء طعامًا، بل يضحى عشرين أوقية من البروتين وعشرًا من الكربوهيدرات ووقودًا خاليًا من الملح والسكر والدهون. هناك وجبة كل ساعتين ست مرات في اليوم. لم يعد الأكل يعني الأكل، بل توزيع البروتين على الجسم وتجديد الخلايا. الاغتسال يعني تقشير البشرة، والتنفس أصبح تجديد الهواء.

سأكون أول من يُهنئك إذا أبلت بلاءً أحسن مني في تقديم صورة من الجمال الخالص وإعطاء رسائل ملهمة مُبهِمة:

- اهدؤوا، فليتنفس الجميع بعمق، الحياة حلوة، كُن عادلاً طيبًا، كُن الحب نفسه.

هراء في هراء!

في معظم المناسبات كانت تلك الرسائل الداخلية العميقة والمعتقدات تصلني من فريق الكتابة قبل ثلاثين ثانية من صعودي على خشبة المسرح، وكان هذا هو الغرض الوحيد من الدعاء الافتتاحي الصامت، إذ يُعطيني بعض الوقت الذي أخفض بصري فيه إلى المنصة وأقرأ النص المكتوب لي.

تمر خمس دقائق، عشر دقائق، والـ400 ملليجرام من الديكا-ديورابولين وسييونات التستوستيرون التي تعاطيتها في الكواليس صارت عبارة عن كرة صغيرة محشورة في مؤخرتك. الخمسة عشر ألف مؤمن-الذين لم يدخلوا مجانًا- راعون أمامك برؤوس محنية، وتشعر بدخول هذه الكيماويات في مجرى دمك كأنه عويل سيّارة إسعاف في شارع صامت.

العباءة ذات الطابع الديني التي بدأت ارتدائها على المسرح الغرض منها إخفاء الانتصاب الذي يدوم معك بسبب واحد أو أكثر من الأشياء التي تتعاطاها.

تمر خمس عشرة دقيقة وما زالوا جائين.

عندما تصبح مستعداً عليك فقط أن تقول الكلمة السحرية.
أمين.

وبدأ العرض...

- «أنتم أبناء السلام في كونٍ من الحياة الأبدية وفيض من الحب والاستقامة، إلخ... إلخ... إلخ... اذهبوا في سلام».

لا أدري من أين يأتي فريق الكتابة بهذه الأشياء.

دعنا لا نذكر المعجزات التي قُمت بها على شاشة التلفزيون الوطني. معجزتي الصغيرة التي أدّيتها بين الشوطين في نهائي دوري كرة القدم، كل الكوارث التي تنبأت بها، كل الأرواح التي أنقذتها.

تعرف القول القديم إياه: ليست المسألة مسألة ما تعرفه، بل من تعرفهم.

يتصور الناس أنه من البساطة أن يكون المرء أنا، فيظهر أمام الناس في ستادٍ ممتلئٍ عن آخره ويؤمهم في الدعاء، ثم يستقل نفّاثة متجهة إلى استاد التالي قبل نهاية الساعة، محافظاً طوال الوقت على مظهرٍ صحيٍّ لامع. كلا، لكنهم سيهتمونك بالجنون رغم ذلك لأنك اختطفت طائرة. الناس لا يعرفون شيئاً عن الألق والنشاط والصحة.

دعهم يحاولون العثور على قطع كافية مني تصلح للتشريح. ليس من شأن أحدٍ أن وظائف الكبد لديّ تالفة أو أن طحالي ومرارتي متضخّمان بسبب آثار هرمونات النمو، كأن أحداً منهم سيقض أن يُحقن بأيّ شيءٍ امتصوه من الغدة النخامية لجثة خنزيرٍ ميت إذا حسب أنه سيجعله يبدو رائعاً مثلما كنت على شاشات التلفزيون.

من مخاطر الشهرة أنك يجب أن تتعاطى ليفوثايروكسين الصوديوم كي تظل نحيفاً. صحيحٌ أن هذا يتضمّن التأثير السلبي على جهازك العصبي المركزي، بالإضافة إلى الأرق والتدهور في عملية الأيض

وسرعة نبضات القلب والعرق المفرط والشعور بالعصبية طوال الوقت،
إلا أنك تبدو في أبهى صورة.

تذكر فقط أن قلبك لا ينبض إلا كي تكون ضيفًا دائمًا على مائدة
العشاء في البيت الأبيض.

جهازك العصبي المركزي ليس موجودًا إلا كي تُخاطب الجمعية
العامة للأمم المتحدة.

الأمفيتامينات هي أكثر دواء أمريكي الطابع في العالم. تجعلك تُعجز
الكثير وتحافظ على مظهرك المتألق وتصبح النجاح مجسدًا.

يصرخ وكيل الأعمال:

- «جسمك كله مجرد ما يكان لعرض الملابس الرياضية التي تحمل
اسمك!».

تمنع غدتك الدرقية الإفراز الطبيعي للثايروكسين في جسمك، لكنك
لا تزال تبدو رائعًا، وأنت كذلك بالفعل. أنت الحلم الأمريكي، أنت
الاقتصاد ثابت النمو.

طبعًا لو كليل الأعمال، فالناس يبحثون عن قائد نابض بالحياة، لا يكل
ولا يمل. لا أحد يريد إلهاً ضئيل الحجم نحيفًا. يريدون صدرًا عريضًا
وخصرًا نحيفًا، منكبين كبيرين، ساقين طويلتين، ذقنًا ذات نونة.

يريدون ما هو أعلى من البشر.

يريدون ما هو أكبر من الحياة.

لا أحد يريد الذي تشريعه الجسدي متناسق فحسب.

الناس يريدون المُحسن، المُزود، المُطوّر، المزروع بالسيليكون،
المحققون بالكولاچين.

بالمناسبة، بعد دورتي الأولى التي دامت ثلاثة شهور من تعاطي
الديكا-ديورابولين لم أعد أستطيع الانحناء لعقد رباط حذائي لأن

ذراعِيَّ صارتا بذلك الحجم الكبير فعلاً. قال وكيل الأعمال إنها ليست مشكلة، وعيّن شخصاً لربط أحذيتي.

بعد تعاطي الميثاهاپوكتيهوسيش الروسي الصُّنع لمدة سبعة عشر أسبوعاً سقط شعري كله، فأحضر لي وكيل الأعمال شعراً مستعاراً. يقول وكيل الأعمال:

«يجب أن تتنازل قليلاً في هذه النقطة. لا أحد يريد أن يعبد إلهاً يربط حذاءه بنفسه».

لا أحد سيريد أن يعبدك إذا كنت تعاني من المشاكل نفسها، والأنفاس الكريهة نفسها، والأظفار الطويلة نفسها التي يعاني منها أي شخص تقليدي. يجب أن تكون كل ما لا يستطيع العاديون أن يكونوه. يجب أن تقطع الشوط إلى آخره حيث فشلوا، أن تكون ما يخافون أن يكونوه، أن تكون محط إعجابهم.

من يتسوّقون بحثاً عن مُخلّص يريدون الجودة، ولا أحد سيتبع أحداً فاشلاً. عندما يتعلّق الأمر باختيار مُنقذ فلا أحد سيرضى بمجرد إنسان تقليدي.

«الشعر المستعار أفضل لك، فهو يتمتّع بمستوى الكمال الثابت الذي يمكننا الاعتماد عليه. لا يمكنك التحكم في جودة الشعر الحقيقي وأنت تخرج من الهليكوبتر أو من الحمام بعد أن تغتسل. يجب أن يبدو شعرك بالمستوى نفسه في كل لحظة تقضيها بين الجموع».

شَرَح لي وكيل الأعمال خطّتهم التي تلخّصت في أننا لا نستهدف أذكي الناس في العالم، بل أكثرهم عدداً فحسب.

«فكّر في نفسك من الآن فصاعداً على أنك دايت كولا. فكّر في كل أولئك الشباب في كل أنحاء العالم الذين يعانون مع الديانات التي عفى عليها الدهر أو مع عدم وجود ديانات على الإطلاق. اعتبرهم سوقك المستهدفة».

يبحث الناس عن وسيلة تجعل لحياتهم معنى، يريدون نظرية موحدة

تجمع بين الجاذبيّة والقداسة والموضة والرّوحانيّة، يحتاجون إلى توفيق بين كونهم صالحين ومتألّقين في آنٍ واحد.

يمرّ يومٌ بعد يومٍ من دون طعامٍ صلبٍ وبساعاتٍ محدودةٍ من النوم وتسلّق آلاف السّلاّلم ووكيل الأعمال يصرخ أفكاره في وجهي مرارًا وتكرارًا، وأجد أن كلّ هذا منطقي تمامًا.

كان الفريق الموسيقي مشغولًا بكتابة الترانيم قبل أن أوقّع العقد حتى، بينما يُنجز فريق الكتابة سيرتي الذاتيّة، ويتولّى الفريق الإعلامي كتابة البيانات الصحافيّة وإبرام اتفاقيّات البضائع التي ستحمل اسمي وعروض التزّج. مأساة الكنيسة الكيريديشيّة على الجليد، توصيل القنوات الفضائيّة، مواعيد جلسات اكتساب السُّمرة. يتولّى فريق التصوير التحكّم في صورتني من الناحية الإبداعيّة، ويتحكّم فريق الكتابة في كلّ كلمةٍ تخرُج من فمي.

لتغطية حَب الشباب الذي أُصبت به من فرط استخدام اللورابولين بدأت في وضع الماكياج، ولعلاجه أعطاني واحد من العاملين في الفريق المساعد كيريما اسمه ريتين-إيه.

لعلاج تساقط الشّعر أعطوني دواءً يُرّش اسمه روجاين.

كلُّ شيءٍ فعلناه لعلاجي كانت له آثارٌ جانبيّةٌ يجب علاجها، ما يؤدّي إلى آثارٍ جانبيّةٍ أخرى يجب علاجها بدورها، وهكذا دواليك.

تخيّل حكاية خرافيّة ينظر فيها البطل في المرآة فيجد شخصًا غريبًا تمامًا ينظر إليه بدلًا من انعكاسه. كلّ كلمةٍ يقولها كتبها له فريق من المحترفين. كل شيءٍ يرتديه اختاره أو صمّمه فريق من المصمّمين.

كلُّ دقيقةٍ من كل يومٍ خطّطتها وكيلة الدعاية.

كما أن بطلك هذا يتعاطى أدوية لا يمكنك شراءها إلا من السويد أو المكسيك، إلى أن يعجز عن رؤية أيّ شيءٍ أبعد من صدره المتفتّح. إنه

أسمر حليق يضع شعرًا مستعارًا ويعيش حياته طبقًا لجدول، لأن الناس في تسكان وسياتل وشيكاجو وياتون روج لا يريدون إلهاً ذا ظهرٍ مشعر. في حدود الطابق الممتين تبلغ الدرجة الأعلى على الإطلاق. إنك تحرق العضلات بدلًا من الدهون الآن، لكن عقلك أصفى ما يكون.

الحقيقة أن كلَّ هذا كان مجرد جزءٍ من عملية الانتحار، لأن اكتساب السُّمرة وتعاطي المنشطات لا يُمثل مشكلة حقيقية إلا إذا كنت تنوي مواصلة الحياة لوقتٍ طويل.

لأن الفارق الوحيد بين الانتحار والاستشهاد هو قدر التغطية الإعلامية.

إذا سقطت شجرة في غابة دون أن يراها أو يسمعها أحد، أفلا تظل مُلقاةً في مكانها حتى تتعفن؟

ولو كان المسيح قد مات بجرعةٍ زائدةٍ من الباربيتورات وهو وحيد على أرضية الحمَّام، فهل كان ليدخل الجنة؟ مع كامل احترامي. طبعًا...

لم يكن كل هذا متعلقًا بنيتي الانتحار من عدمها. إن هذا، كل هذا، كل هذه الأموال والمجهود وفريق الكتابة والأدوية والحمية ووكيل الأعمال والسلالم الكهربائية الصاعدة إلى اللا مكان—كل هذا كان في سبيل هدفٍ واحدٍ فقط، أن أقتل نفسي والأضواء كلها مُسلطة عليّ بالكامل.

سألني وكيل الأعمال ذات مرّة أين أرى نفسي بعد خمس سنوات. ميتًا، قلت له. أرى نفسي ميتًا أتعفن تحت الأرض، أو رمادًا. أرى نفسي وقد احترقت وأصبحت رمادًا.

أذكر أنه كان معي مسدّسًا محشوًّا في جيبي. لم يكن هناك سوانا نحن الاثنين في خلفيّة قاعة المحاضرات المزديجة المظلمة، وأذكر أنها الليلة التي ظهرت فيها على الملأ للمرّة الأولى.

أرى نفسي ميتًا وفي جهنم، قلت له.

أذكر أنني كنت أخطّط لقتل نفسي تلك الليلة.

قلت لو كُيل الأعمال إنني أتصوّر أنني سأقضي سنواتي الألف الأولى في جهنم في مستوى مبتدئ، لكنني أريد أن أترقى إلى منصب إداري بعد ذلك، أن أكون أحد أفراد الفريق الكبير. سوف تشهد جهنم نموًّا هائلًا في القيمة السوقيّة خلال الألفيّة التالية. أريد أن أبلغ القمّة.

قال وكيل الأعمال إن هذا تصوّر واقعي تمامًا.

أذكر أننا كنا ندخن السجائر، وعلى خشبة المسرح كان هناك واعظ محلي ما يؤدّي فقرته الافتتاحيّة. جزءٌ من عملية تسخين الجمهور التي يقوم بها أن يجعلهم يُفِرطون في التنفس، والغناء أو الإنشاد بصوت عالٍ كفيفل بهذا. طبّقًا لو كُيل الأعمال، عندما يُهلّل الناس بهذه الطريقة أو يُنشدون *Amazing Grace* حتى تُبج أصواتهم، فإنهم يُفِرطون في التنفس. يجب أن يكون دمهم حمضيًّا، وعندما يتنفسون بسرعةٍ وقوّة هكذا ينخفض مستوى ثاني أكسيد الكربون في دمهم ويصبح الدم قلويًّا.

- «اسمها القلوِيَّة التَّنْفِيسِيَّة».

هكذا يصابون بالدُّوار، وهكذا يسقطون مصابين برنينٍ في آذانهم ويشعرون بالخدر في أصابع أيديهم وأرجلهم، يصابون بالآلام في الصدر، يعرقون بإفراط. المفترَض أن تكون هذه هي النَّشوة. يتهاوى الناس على الأرض وقد تقلَّصت أيديهم على شكل مخالب. هذا ما يعتبرونه الوَجْد.

- «في البنس الديني يُطلقون على هذا اسم الاستغفال».

تزيد الحركات المتكرِّرة من هذا التأثير، وتمرُّ الفقرة الافتتاحية على خشبة المسرح بالخطوات التقليديَّة. يُصَفَّق الجمهور معًا في تناغم، وتتشابك أيدي صفوفٍ طويلة من الناس معًا ويتميلون في هذيانهم، ويؤدُّون تلك الحركة المعروفة باسم يد قوس قزح.

يقول لي وكيل الأعمال إن من اخترع هذا الروتين، أيًا كان، لا بُدَّ أنه يدير الأمور في جهنم الآن.

أذكر أن الراعي الرسمي كان شركة ما تباع عصير الليمون الفوري. أتلقَّى الإشارة عندما ينتهي الواعظ من فقرته الافتتاحية ويُناديني إلى خشبة المسرح، ودوري بعدها أن أضع تعويذة على الجميع.

حالة نشوة طبيعيَّة على حدِّ تعبير وكيل الأعمال.

يُخرج زجاجة بُنيَّة من جيب البليزر ويقول:

- «خذُ حَبَّتَيْنِ من الإندورفينول إذا شعرت بأيِّ مشاعرٍ تراودك».

أقول له أن يعطيني حفنة.

من بين خطوات الاستعداد لليلة، بدأ موظِّفو الحملة زيارة السُّكَّان المحليين في منازلهم وإعطائهم تذاكر مجانيَّة للعرض. هذه هي المرَّة المئة التي يُخبرني وكيل الأعمال فيها بهذا. يطلب هؤلاء الموظِّفون دخول الحمَّام خلال الزيارة، ويُدوِّنون الملاحظات عن كلِّ شيء يجدونه

في خزانة الأدوية. طبقاً لوكيل الأعمال، كان الكاهن چيم چونز يفعل هذا، ما كان له وقع المعجزة على أتباعه في معبد الشعب.

لكن لعل (المعجزة) ليست الكلمة السليمة التي ينبغي استخدامها. على المنبر هناك قائمة بأناسٍ لم أتقهم من قبل قَطّ وحالة كلّ منهم المرضية.

مسز ستيفن براندن، أنادي، تعالي ليلمس الله كليتيك الفاشلتين.

مستر ويليام دوكسي، تعال وضع قلبك المعطوب بين يدي الله.

جزءٌ من تدريبي أن أضغط بأصابعي على عين المريض بسرعة وقوة كي يُسجّل عصبه البصري الضغط كوميضٍ من النور الأبيض.

النور الإلهي على حدّ تعبير وكيل الأعمال.

و جزءٌ من تدريبي أن أضغط بيديّ على أذني المريض بقوة شديدة حتى يسمع طنيناً أقول له إنه نداء السماء.

يقول وكيل الأعمال:

- «ها!».

لقد استغرقت في أفكارٍ وفاتتني الإشارة، وعلى خشبة المسرح يصبح الواعظ باسم تندر برانسن في الميكروفون. الأوحده، الوحيد، الناجي الأخير، تندر برانسن العظيم.

يشير لي وكيل الأعمال بالانتظار ويتزع السيجارة من فمي، ثم يدفعني في الممر أمراً إياي بالذهاب.

تمتد الأيادي كلها في الممر لتلمسني، ودائرة الضوء أمامي على خشبة المسرح ساطعة أكثر من اللازم. في الظلام حولي ابتسامات ألفٍ من المغيّبين الذين يحسبون أنهم يُحبونني. كل ما عليّ فعله هو المشي ودخول دائرة الضوء.

هذا هو الموت دون مشاكل التحكّم.

المسدّس ثقيل يضرب فخذي في جيب سروالي.
أن تكون لك عائلة وأنت مقطوع من شجرة، أن تكون في علاقةٍ وأنت
غير مرتبطٍ بأحد.

دائرة الضوء على خشبة المسرح دافئة.

أن تكون محبوبًا دون أن تجازف بحب أحدٍ في المقابل.

أذكر أن هذه كانت اللحظة المثاليّة للموت.

لم تكن هذه هي الجنّة بالطبع، لكنها أقرب شيءٍ إليها أمكنني أو
سيمكنني بلوغه.

رفعت ذراعيّ فهلّوا. خفضتُهما فلاذوا بالصمت. كان النصّ مكتوبًا
جاهزًا ينتظرنني على المنصّة لأقرأه، والقائمة المكتوبة على الآلة الكاتبة
كانت تُخبرني مَنْ بين هؤلاء الجالسين في الظلام يعاني من ماذا.

دم الجميع كان قلوبًا، قلوب الجميع كانت جاهزة لأختطفها. هذا
هو الشعور الذي كانت السرقة من المحال تمنحني إياه. هذا هو الشعور
الذي كان يتابني وأنا أسمع الاعترافات على خط الأزمات الساخن. هذا
هو تصوّري لممارسة الجنس.

أتذكّر فرتيليتي وأبدأ في قراءة النصّ:

«كلنا حصاد الخلق المقدّس».

«كلنا شظايا تصنع معًا شيئًا كاملًا جميلًا».

كل مرّة أتأتّى فيها في الكلام كانوا يحبسون أنفاسهم.

إن عطية الحياة، أقرأ من النصّ، ثمينة.

أضع يدي على المسدّس المحشو بالطلقات في جيبي.

يجب الحفاظ على هدبة الحياة مهما بدت مؤلمة أو بلا قيمة. السلام،
أقول لهم، هدبة مثاليّة. مكتملة لا يستطيع إلا الله وحده منحنا إياها. فقط
أبناء الله الأكثر أنانية هم من يسرقون هدبته الكبرى، هدبته الوحيدة

الأعظم من الحياة، هديّة الموت.

هذا الدرس أوجّهه للقاتل، أقول، وللمتجر والمُجهض. هذا الدرس أوجّهه للمرضى والمُعانين.

الله وحده يملك الحق في مفاجأة عباده بالموت.

لم أدرِ ماذا كنت أقول إلى أن فات الأوان. لعلها كانت مصادفة، ولعل وكيل الأعمال خَمَّن ما كنت أنوي فعله عندما طلبت منه أن يُحضر لي مسدّساً وطلقات، لكن الذي حدث أن النصّ أفسد خطّتي تمامًا. من المستحيل أن أقرأ هذا الكلام ثم أقتل نفسي. من غباء الغباء أن أفعل هذا الآن.

وهكذا لم أقتل نفسي...

مضت بقيّة الليلة كما هو مخطّط. عاد الناس لبيوتهم وقد شعروا بالخلاص، وقلت لنفسي إنني سأنتحر في وقتٍ آخر. كانت اللحظة خاطئة تمامًا، وهكذا أرجأت الأمر كله لأن التوقيت المناسب هو كل شيء.

كما أن...

... الأبدية تدوم إلى الأبد!

مع التحشود المبتسمة في وجهي في ظلام القاعة، وجهي أنا الذي قضيت عمري في تنظيف الحمامات وجز الحشائش، قلت لنفسي: ولم الاستعجال؟

لقد تعثّرت من قبل، وسأتعثر ثانية، لكن التدريب يعطيك نتائج مثاليّة. إذا كان يمكنك أن تعتبره تدريبيًا...

خطر لي أن بضعة ذنوبٍ إضافيّة ستساعدني على إضافة المزيد من السطور إلى سيرتي الذاتيّة.

هذا هو الجانب المشرق من أن تكون ملعونًا إلى أبد الأبد.

خطر لي أن جهنم يمكنها أن تنتظرنني قليلًا.

أحد الأشياء التي أريد الاعتذار عنها قبل أن تسقط هذه الطائفة، قبل أن ينتهي شريط التسجيل داخل الصندوق الأسود، هو كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا).

يجب أن يعرف الناس أن كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا) لم يكن فكرتي. صحيح أنه باع أكثر من مليوني نسخة على مستوى العالم، نعم، وصحيح أنني تركتهم يضعون اسمي عليه، لكن الكتاب كان من بنات أفكار وكيل الأعمال، وقبل هذا كان فكرة نكرة ما في فريق الكتابة، كاتب إعلانات نسيت اسمه كان يبحث عن نصيب من كعكة النجاح. المهم أن الكتاب لم يكن فكرتي أنا.

الذي حدث أن وكيل الأعمال جاء إليّ ذات يوم بهذا البريق المتراقص في عينه الذي يعني اتفاقًا جديدًا. طبقًا لوكيل الدعاية، فإنه لم يسبق أن كان الطلب عليّ بهذه الكثرة. كان هذا بعد إطلاق طبعة الأناجيل التي ذيلتها بتوقيعي في المكتبات، ما ضمن لنا مساحة تبلغ أكثر من مليون قدم من أرفف المكتبات، وهذا بالإضافة إلى جولتي الدعائية طبعًا.

يقول وكيل الأعمال:

- «لا تتوقع أن تكون الجولة الدعائية للكتاب كلها لهو ومرح».

يقول وكيل الأعمال إن حفلات توقيع الكُتُب لا تختلف في أي شيء عن يومك الأخير في المدرسة الثانوية، عندما يرغب الجميع في تبادل التوقعات والإهداءات، مع الفرق أن حفلات التوقيع هذه من الممكن أن تستمر ما حيت.

طبّقاً لدفتر التحرّكات فإنني في مخزني في دنفر أوقّع عددًا من النسخ من الإنجيل، عندما يطرح عليّ وكيل الأعمال فكرة لكتاب صغير من التأمّلات التي يمكن أن يستخدمها الناس في حياتهم اليوميّة. يتصوّرهُ كتابًا من الحجم المتوسّط يضم عددًا من القصائد الثريّة، خمسين صفحة على الأكثر، بعض التقدير للبيئة والأطفال، الأشياء الصغيرة، الأمهات، دبة الهاندا، المواضيع التي لا تثير غضبة أحد، المشكلات الشائعة. نضع اسمي على كعب الكتاب ونقول إنني كتبتُه ونرى النتيجة.

ما يجب أن يعرفه الناس أيضًا أنني لم أر الكتاب أصلًا إلا بعد الطبعة الثانية، بعد أن باع أكثر من خمسين ألف نسخة. طبعًا لا داعي للقول إن كل الجلبة التي أثّرت حول الكتاب تسبّبت فقط في ارتفاع مبيعاته.

الذي حدث أنني كنت ذات يوم في غرفة الاستراحة -الغرفة الخضراء- أنتظر المشاركة في تقديم برنامج تليفزيوني نهارى ما، وكان هذا بعد الجولة الدعائية للأناجيل الموقّعة بفترة طويلة. الفكرة هنا أنني إذا شاركت في تقديم البرنامج وشاهده عدد كافٍ من الجمهور، فيمكنني الانفراد ببرنامجي الخاص في ما بعد. وهكذا أنا ذا في الغرفة الخضراء أبادل أسرار العناية بالأطفال مع امرأة ما -أعتقد أنها كانت الممثلة وندي دانييلز تقريبًا- عندما تطلب مني أن أوقّع نسختها من الكتاب، كتاب (الأدعية الأكثر تداولًا) الذي أراه الآن -أقسم لك- للمرّة الأولى، بل وأقسم بهذا على كوميّة من أناجيلي الموقّعة إذا أردت.

طبّقاً لوندي دانييلز، يمكنني التخلّص من الانتفاخات تحت عينيّ بدهانها بكريم البواسير.

ثم إنها تُناولني إياه، كتاب (الأدعية الأكثر تداولًا)، وبالفعل ها هو اسمي على الكعب. أنا، أنا، أنا، هأنذا، وبالداخل الأدعية التي يحسب الناس أنني ألّفْتُها:

دعاء فقدان الوزن.

دعاء تأخير الذروة.

الإحساس هو ذاته إحساس حيوانات التجارب في المعامل عندما يفرمونها لعمل الهوت دوج. هذا هو مدى ما شعرت به من ألم.

دعاء الإقلاع عن التدخين:

«أبانا المقدَّس،

اسلبي الاختيار الذي أعطيتني إياه

تولَّ التحكُّم في إرادتي وعاداتي

انتزع مني سُلطة توجيه سلوكياتي

فلتكن إرادتك كيف أتصرَّف

فلتكن يداك وحدك السبب في إخفاقاتي

ثم إنني إذا واصلتُ التدخين

فعسى أن أتقبَّل أن تدخيني هو مشيئتكَ

آمين».

دعاء إزالة العَقْن الفطري.

دعاء منع سقوط الشَّعر:

«يا رب يا ذا القوة المطلَّقة،

يا راعي عبادك،

كما تساعدنا في تنفيذ أقل أوامرك

وكما تُنقذ أكثر الحملان ضياعاً في حظيرتك

أعد إليَّ مجدي كاملاً تاماً

واحفظ لي ما تبقي من شبابي

الخلق كله لك تمنحه إن شئت

والخلق كله لك تمنعه إن شئت
يا رب يا ذا السَّخاء بلا حدود
أغثني في معاناتي
«آمين».

دعاء إسكات الكلاب النابحة.
دعاء إسكات أجهزة إنذار السيارات.
دعاء الحصول على انتصاب.
دعاء الحفاظ على الانتصاب.

لا بُد أنني بدوت شنيعًا على شاشات التلفزيون بعد هذا، وبالتالي
أعطيت برنامجي الخاص قُبلة الوداع. بعد دقيقة واحدة من انتهاء الحلقة
كنت على الهاتف مع وكيل الأعمال في نيويورك، وتلخَّص طرفي من
المحادثة في الصراخ الغاضب لا غير.
كل ما كان يهمه هو المال.

يصرخ وكيل الأعمال بدوره على الهاتف:

- «وماذا يكون الدعاء؟ إنه تعويذة، رُقية. إنه وسيلة يُركِّز بها الناس
طاقتهم حول حاجةٍ بعينها. الناس بحاجةٍ لاستيضاح أهدافهم وتفصيلها
ثم السعي إلى تحقيقها».

دعاء منع المخالفات المروريَّة.

دعاء منع تسرُّب المياه من المواسير.

- «الناس يدعون لحلِّ مشاكلهم، وهذه هي المشاكل التي تُقلِّق الناس
فعلًا وبمنتهى الأمانة».

دعاء زيادة الحساسية المهبليَّة.

- «ما الدعاء إلا تزييت العجلة التي تُصير صريرًا».

يُطلقون على أمثاله أن قلوبهم مصنوعة من الجُبِن .

- «إنك تدعو كي تجعل حاجاتك معروفة» .

دعاء خفض ضوء القطار .

دعاء الحصول على مكانٍ لركن السيارة:

«يا رب يا مقدّس يا رحيم،

لن يرى التاريخ مثيلاً لمحبتني لك

إذا أعطيتني اليوم مكاناً أركن فيه سيّارتي

فأنت المانع

وأنت مصدر كل شيء

منك يأتي الخير كله

وفيك يوجد كل شيء

برعايتك سأجد راحتي

وبإرشادك سأجد السلام

أن أتوقّف، أو أرتاح، أو أتكاسل، أو أركن السيّارة

كل هذه الأشياء لك تمنحني إياها إذا شئت، وهي ما أطلبه منك

«آمين» .

بما أنني على وشك الموت هنا، فعلى الناس أن يعرفوا أن نيّتي

الخاصّة كانت دائماً خدمة المجد الإلهي... إلى حدّ كبير. لن تجد هذا

تحت بند أهدافنا أو رسالتنا طبعاً، لكن تلك كانت خطّتي العامّة على كلّ

حال، أن أبذل مجهوداً على الأقل. المشكلة أن هذا الكتاب لم يبدُ بأيّ

شكلٍ على علاقة بالتقوى والورع ولو من بعيد.

دعاء منع الإفراط في العرق تحت الإبط.

دعاء الحصول على مقابلة شخصيّة ثانية.

دعاء معرفة مكان العدسة اللاصقة الضائعة.

على أن فرتيليتي تقول إنني بالغت كثيرًا في ردِّ فعلي تجاه الكتاب، تقول إنها تريد جزءًا ثانيًا منه.

تقول فرتيليتي إنني عندما أكون في ستادٍ ما أقف أمام الجماهير أسبِّح الله وأثنى عليه، فإنني لا أختلف في شيءٍ عن من يرتدون ملابس عليها ميكسي ماوس أو كوكا-كولا. الأمر سهل للغاية، وليس خيارًا حقيقيًا حتى، ولا يوجد مجال للخطأ. تقول فرتيليتي إن ذكر الله لا يوجد آمن منه ولست مضطرًا لأن تُفكِّر في فعله من عدمه.

تقول فرتيليتي:

- «أَثْمِرُوا وَتَكَاثَرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ، المجد لله، كل هذه الأشياء التي يروق للناس سماعها. ليست هناك مخاطرة حقيقية، بل تلك هي إعدادات المصنع التي خُلِقنا بها».

الذي أنقذ كتاب (الأدعية الأكثر تداولًا) أن الناس استخدموا كلِّ دعاءٍ فيه. بعض الناس كان غاضبًا منا، ومعظمهم من المتديِّنين الذين يكرهون المنافسة، لكن في تلك المرحلة كان الكتاب قد حقق مبيعاتٍ خياليةً بالفعل، وإن كان العائد قد بدأ يقل شيئًا فشيئًا. يُطلِقون على هذا اسم تشبُّع السوق. كان الناس قد حفظوا الأدعية كلها الآن عن ظهر قلب، العالق منهم في زحام المرور يُردِّد دعاء جعل المرور يتحرَّك، ومن على وشك ممارسة الجنس يُردِّد دعاء تأخير الذروة. أصبح الناس يحفظون ما بالكتاب أكثر من جدول الضرب، وكان أفضل خيارٍ لديَّ الآن أن أطبق فمي على لساني وأبتسم.

كما أن الأعداد الحاضرة للمناسبات التي أظهر فيها كانت تقل بدورها، ما بدا لي كبداية النهاية، خصوصًا أن ظهوري على غلاف مجلة (بيبول) كان منذ ثلاثة شهورٍ كاملة.

وليس هناك شيء اسمه شهرة بالانتساب. إننا لا نرى الممثلين الذين

أفل نجمهم يعودون للدراسة للتدرب من جديد. المجال الوحيد الذي تبقى لي هو تقديم البرامج الرياضية، وأنا لست بهذا الذكاء.

لقد بلغت القمة، ومن حيث التوقيت بدت لي هذه فرصة سانحة أخرى للانتحار، وهو ما كدت أفعله. كانت الحبوب في يدي بالفعل، ما يُريك إلى أي مدى كنت قد اقتربت، وكنت أخطط للانتحار بجرعة مفرطة من الميتا-ستوس-تيرون. ثم يتصل بي وكيل الأعمال ويتكلم بصوت عالٍ - عالٍ للغاية في الواقع كما صوت مليون مسيحي متدين يُردّدون اسمي في كانساس سيتي - يوحى بمدى الإثارة التي تتأبه الآن.

في غرفتي بالفندق يُخبرني وكيل الأعمال على الهاتف بأكبر فرصة في عمري كله. الأسبوع القادم، ثلاثون ثانية بين إعلان لأحد أحذية التنس وآخر لسلسلة مطاعم محلية تُقدّم التاكو، في فترة ذروة المشاهدة وخلال أسبوع استطلاعات آراء الجمهور.

يُذهلني التفكير في أن تلك الحبوب كانت على وشك دخول فمي منذ لحظات.

لم تعد هذه اللعبة مملّة على الإطلاق.

شبكات التلفزيون، ملايين البلايين يُشاهدونني. إنها اللحظة المنتظرة، فرصتي الأخيرة لإطلاق النار على نفسي في حضور نسبة لا بأس بها إطلاقًا من الجماهير.

سيكون هذا استشهاده لا يمكن أن يتجاهله أحد.

- «لكن هناك شرط واحد. الشرط أنني قلت لهم إنك ستقوم بمعجزة».

معجزة؟

- «ليس شيئًا كبيرًا، ليس عليك أن تشقّ البحر الأحمر أو ما شابه.

يكفي تحويل الماء إلى خمير مثلاً. لكن تذكّر، بدون معجزة لن يعرضوا أيّ شيء».

وتدخل فرتيليتي هوليس حياتي مرّة أخرى في سپوكان، واشنطن، وأنا جالسُ ألثهم فطيرة وأحتسي القهوة في أحد فروع مطعم شاريز. تدخل من الباب الأمامي وتتّجه إلى مائدتي مباشرة. لا يمكنك أن تصف فرتيليتي هوليس بأنها جنيّة طيّبة، لكنك قد تندهش من الأماكن التي تظهر لك فيها فجأة.

وإن كنت لن تندهش معظم الوقت...

فرتيليتي بعينها الرماديتين الملولتين كالمحيط.

فرتيليتي وكلُّ زفير خارجٍ منها يحمل تنهيدةً مُتعبّة.

إنها عين الإعصار الذي هو العالم من حولها.

فرتيليتي وتعبير التراخي في حركة ذراعيها وعلى وجهها كأنها ناجية مُنهكة، كأنها مصّاصة دماء فرعونية خالدة بعد مليون عام من مشاهدة البرامج التليفزيونية المُعادة نفسها التي نُسمّيها التاريخ. تجلس فرتيليتي في استرخاء على المقعد المواجه لي وقد بدا عليها السرور لأنني كنت أحتاجها من أجل معجزةٍ على كلِّ حال. كان هذا في الفترة التي كنت ما زلت أستطيع فيها التهرّب من حاشيتي. لم أكن وقتها لا أحد بعد، لكنني كنت على نقطة التقاء المنحيين، وكل هذا بفضل سقوطي الإعلامي، بفضل ركودي الدعائي.

الطريقة التي تضع بها فرتيليتي مرفقيها على المائدة وتُسند ذقنها إلى يديها وقد انسدل شعرها الأحمر على وجهها تجعلك تحسب أنها

جاءت للتو من كوكبٍ آخر تقل جاذبيته عن جاذبية الأرض كثيرًا، كما لو أن مجرد وجودها هنا، ورغم نحافتها، يجعلها تزن ثمانمئة رطلٍ دفعةً واحدة.

ترتدي ملابس عاديةً تمامًا، سروالًا فضفاضًا وبلوزة وحذاء وتجرُّ حقيبة يد كبيرة. الهواء مكيف في المطعم، ويمكنك أن تشم رائحة مُنعم الأقمشة الذي تستخدمه، حلوة وزائفة.

تبدو مُخففة بالماء.

تبدو كأنها تتلاشى.

تبدو كأنها ممحوّة.

تقول:

- «لا عليك. هذه أنا دون ماكياج فحسب. أنا هنا في مهمّة».

وظيفتها...

- «نعم، وظيفتي الشريرة».

أسألها عن سمكتي، فتقول إنها بخير.

مستحيل أن يكون لقاؤها بي هنا مصادفةً. من المؤكّد أنها تتبعني.

تقول فرتيّليتي:

- «تنسى دائمًا أنني أعرف كلّ شيء».

ثم تسألني:

- «كم الساعة؟».

أقول لها إنها الحادية وثلاث وخمسون دقيقة ظهرًا.

- «خلال إحدى عشرة دقيقة ستُحضر لك النّادلة قطعة فطيرة أخرى،

مارينج الليمون هذه المرّة، ولاحقًا لن يحضر عرضك سوى ستين

شخصًا تقريبًا الليلة، ثم في صباح الغد سينهار شيء اسمه جسر ووكر

ريفر في بلدة شريفپورت التي لا أعرف أين تقع أصلاً».

أقول إنها مجرد تخمينات، فتضيف مبتسمةً في نُخبث:

- «وأنت تحتاج إلى معجزة، تحتاج إلى معجزة بشدة».

أقول ربما، فمن ذا الذي لا يحتاج معجزة في أيامنا هذه؟ كيف تعرف

كلّ هذا؟

تجيب وهي تؤمئ برأسها نحو الجانب الآخر من المطعم:

- «بنفس الطريقة التي أعرف بها أن هذه النّادلة هناك مصابة بالسرطان.

أعرف أن قطعة الفطيرة التي تأكلها الآن ستصيبك بالمغص، وأعرف أن

دار عرض ما في الصين سوف تحترق خلال دقائق، حسب التوقيت في

آسيا. في هذه اللحظة بالذات في فنلندا ثمة مُترلّج يسبب انهياراً جليدياً

سيدفن تحته دستة من الضحايا».

تشير فرتيليتي بيدها فتأتي النّادلة المصابة بالسرطان.

تميل فرتيليتي على المائدة وتقول:

- «أعرف كلّ هذا لأنني أعرف كلّ شيء».

النّادلة شابةٌ ولديها شعرها وأسنانها وكلُّ شيء، أي أن لا شيء في

مظهرها يوحي بالمرض. تطلب فرتيليتي الدجاج المحمّر بالخضراوات

والسمسم وتساءل إن كان الأرز يُقدّم مع الطبق أيضاً.

ما زالت سبوكان خارج النافذة. المباني والنهر والشمس التي

نتقاسمها جميعاً، المرآب، أعقاب السجائر.

أسألها: ولمّ لم تُحدّر النّادلة؟

- «كيف سيكون رد فعلك إذا جاء إليك شخص غريب بخير كهذا؟

سوف يُدّمّر هذا يومها تماماً، كما أن كلّ هذه الدراما ستتسبّب في تعطيل

طلبي».

فطيرة الكرز التي أكلها هي التي سوف تصيبي بالمغص. إنها قوة الإيحاء.

- «كل ما عليك فعله هو الانتباه لأنماط الأشياء، وبعد أن ترى الأنماط يمكنك استقراء المستقبل».

طبّقاً لفرتيليتي هوليس، ليس هناك شيء اسمه الفوضى.

ليس هناك إلا الأنماط. أنماط فوق أنماط، أنماط تؤثر في أنماط أخرى، أنماط تخفيها أنماط، أنماط داخل أنماط.

إذا انتهت جيداً ستجد أن التاريخ لا يفعل شيئاً سوى تكرار نفسه.

ما نقول إنه فوضى ليس إلا أنماطاً لم نتعرّف عليها بعد، ما نقول إنه عشوائي هو أنماط نعجز عن سبر أغوارها، ما لا نفهمه نقول إنه هراء، ما لا نستطيع قراءته نقول إنه كلام فارغ.

ليست هناك إرادة حرة.

ليست هناك متغيرات.

تقول فرتيليتي:

- «ليس هناك سوى المحتوم، وليس هناك سوى مستقبل واحد، وليس لديك الخيار».

الخبر السيء أننا لا نملك التحكم في أي شيء.

الخبر الطيب أنك لا يمكن أن تقع في الخطأ بهذه الطريقة.

النّادلة على المشرب تبدو شابّة وحسنة وحكم عليها بالموت.

تقول فرتيليتي إنها تنتبه للأنماط، بل إنها لا يمكنها ألا تنتبه لها أصلاً.

- «إنها تزايد أكثر فأكثر في أحلامي كل ليلة، كل شيء. كأنك تقرأ كتاب تاريخ عن المستقبل كل ليلة».

هي تعرف كل شيء إذن.

- «لهذا أعرف أنك بحاجة إلى معجزة تظهر بها في التلفزيون».
ما أحতاجه هو نبوءة جيدة.

تقول وهي تُخرج دفتر تنظيم يومي كبير من حقيبتها:

- «لهذا أنا هنا. والآن أعطني إطارًا زمنيًا، يومًا لهذه النبوءة».

أقول لها: في أيّ وقتٍ خلال الأسبوع بعد القادم.

تقول وهي تقرأ من دفترها:

- «ماذا عن حادث تصادمٍ لعدّة سيّارات؟».

أسألها: كم سيّارة؟

- «ست عشرة سيّارة. عشرة موتى وثمانية مصابين».

ألديها شيء أكثر بهرجة؟

- «ماذا عن حريقٍ في أحد ملاهي لاس فيجاس؟ فتيات استعراض

عاريات بأغطية رأس من الريش المحترق، أشياء من هذا القبيل».

هل من موتى؟

- «كلا. مجرد إصابات طفيفة هنا وهناك. كثير من التّلف بسبب

الدخان رغم ذلك».

أريد شيئًا أكبر.

- «انفجار في صالون لاكتساب السّمرة؟».

شيئًا أكثر إبهارًا.

- «حالة سعار بسبب داء الكلب في حديقة عمّامة؟».

ممل.

- «تصادم قطارين في أنفاق المترو؟».

إنك تدفعيني دفعًا إلى النعاس الآن.

- «مُدافع عن حقوق الحيوانات يُهدد بتفجير نفسه في باريس؟»
غيره.

- «انقلاب ناقلة بترول؟»

ومن يبالي بهذا؟

- «إجهاض نجمة سينمائية؟»

عظيم. سيقول جمهوري إنني وحش عندما يتحقق هذا.

- «تبًا! إنه الصيف وليست لدينا خيارات كارثية كثيرة».

أقول لها أن تُواصل البحث.

- «الأسبوع القادم سيصاب الپاندا العملاق الذي تحاول حديقة

الحيوان الوطنية تزويجه بمرض تناسلي من الأنتى التي أحضروها له».

مستحيل أن أقول هذا على شاشة التلفزيون.

- «ماذا عن نفش للسُّل؟»

أثناء ب.

- «قنّاص يصيد الناس على الطريق السريع؟»

أثناء ب.

- «هجوم لسّمكة قرش؟»

لا بُد أنكِ يائسة حقًا.

حصان سباق يكسر ساقه؟

لوحة تالفة في اللوفر؟

رئيس وزراء مصاب بالفتق؟

سقوط نيزك؟

ديوك رومي مجمّدة تنقل عدوى فيروسية؟

حريق في غابة؟

أقول لها: لا.

حزين أكثر من اللازم.

فني أكثر من اللازم.

سياسي أكثر من اللازم.

لا يهم كثيرين.

مقرّر جدًا.

بلا جاذبية.

- «تدفّق للحمم البركانية؟».

بطيء أكثر من اللازم، لا يحمل ما يكفي من الدراما، ولن يُسفر إلا عن
بضع خسائر في الممتلكات في الغالب.

المشكلة أن أفلام الكوارث جعلت الجميع يتوقّعون أكثر من اللازم
من الطبيعة.

تأتي النَّادلة حاملةً الدجاج المحمّر وفطيرة مارينج الليمون وتعيد ملء
قدحي بالقهوة، ثم تبسّم وتذهب لتموت.

تتصفّح فرتيليتي كتابها جيئةً وذهابًا.

بدأت فطيرة الكرز هجومها على أحشائي. سبوكان في الخارج
والهواء المكيف بالداخل، ولا أرى نمطًا في أيّ شيء.

تقول فرتيليتي هوليس:

- «ماذا عن سرب من النحل القاتل؟».

أين؟

- «في دالاس».

متى؟

- «صباح الأحد القادم في الثامنة وعشر دقائق».

كم العدد؟ قليل؟ كثير؟ متوسط؟

- «ملايين».

ممتاز.

تتنهّد فرتيليتي وتبدأ أكل دجاجها المحمّر قائلةً:

- «شيت! كنت أعرف أن هذا ما ستختاره من البداية».

وهكذا تهاجم ملايين النحلات القاتلة دالاس، تكساس، في الثامنة وعشر دقائق صباح الأحد، في الموعد تمامًا، وهذا على الرغم من أن نسبة مُشاهدتي لم تتجاوز الخمسة عشر في المئة. في الأسبوع التالي خصّصت لي الشبكة دقيقة كاملة وقد اصطفّت مجموعة كبيرة من العمالقة - شركات أدوية وسيّارات وبنفط وتبغ - كرعاةٍ محتملين إذا استطعت القيام بمعجزةٍ أكبر في المرّة القادمة.

جديرٌ بالذكر أن شركات التأمين مهمّةٌ جدًّا كذلك، لكن لأسبابٍ كلها خاطئة.

بين الآن والأسبوع القادم أقضي وقتي على الطريق من أجل عروضي المتّفق عليها في فلوريدا. إنها دائرة جاكسونفيل - تامبا - أورلاندو - ميامي، إنها حملة معجزات تندر برانسن، ليلة واحدة في كل مدينة.

(معجزة في دقيقة) هو الاسم الذي يريد وكيل الأعمال والشبكة إطلاقه على ظهوري الأسبوعي على الشاشة، والذي لن يتطلّب إنتاجه أيّ مجهود. يُصوّب أحدهم الكاميرا عليك وقد صفّفت شعرك وعقدت ربطة عنقك، ثم تتكلّم بغموضٍ وكأبة قائلاً إن منارة إيسويتس بوينت سوف تسقط غداً. في الأسبوع القادم سينهار جزء من نهر مانينجتون الجليدي في ألاسكا ويقلب سفينة سياحيةٍ اقتربت أكثر من اللازم من منطقة الخطر. في الأسبوع الذي يليه سوف تظهر جزدان حاملة فيروسا قاتلاً في شيكاغو وتاكوما وجرين باي. إنك الآن كمذيع نشرة الأخبار بالضبط، مع الفارق أنك تسبق الحدث.

الطريقة التي أرى بها سير هذه العملية أن تُعطيني فرتيليتي بضع عشراتٍ من التنبؤات في المرّة، وعليه أسجّل ما يكفي موسمًا كاملًا من (معجزة في دقيقة)، ومع إنجاز ما يكفي عامًا كاملًا من هذا العمل (إن كان يمكنك أن تعتبره كذلك) سأجد الوقت الكافي للظهور هنا أو هناك والدعاية للمنتجات وتوقيع الكُتب، ولربما أقدم بعض الاستشارات كذلك أو أظهر ظهورًا شرفيًا في بعض الأفلام والمسلسلات.

لا تسألني متى لأنني لا أذكر، لكنني في مرحلة ما بدأت أنسى أن أنتحر. إذا وضع وكيل الدعاية انتحاري على جدول الأعمال ستجدني ميتًا، لا بأس. السابعة مساء الخميس سأشرب منظّف البالوعات، لا مشكلة. لكن بعد النحل القاتل والطلب المتزايد عليّ أجد نفسي أتساءل في توتّر: ماذا لو لم أستطع العثور على فرتيليتي مرّة أخرى؟ هذا بالإضافة إلى وجود حاشيتي معي طوال الوقت. دائمًا ما يتعقّبني الفريق ويُزعجني بشيء ما؛ وكيل الأعمال، منظّمو المواعيد، مدرّب اللياقة الخاص، طبيب تقويم الأسنان، طبيب الأمراض الجلديّة، خبير التغذية.

حقّق النحل القاتل أقل مما تتوقّع ولم يقتل أحدًا، وإن كان قد نال الكثير من الاهتمام بالفعل على مستوى البلاد. والآن أحتاج إلى عرضٍ ثانٍ، إلى انهيارٍ في ملعبٍ رياضي أو منجم، إلى خروج قطارٍ عن القضبان. اللحظات الوحيدة التي أنفرد فيها بنفسي هي التي أدخل فيها الحمام، وحتى هناك لا أكون وحيدًا.

ولا أثر لفرتيليتي...

في جميع حمّامات الرجال العامّة تقريبًا ثمة فتحة محفورة في الحائط الفاصل بين كلّ مرحاضٍ وآخر. هذه الفتحة حفرها أحدهم عبر سُمك بوصة كاملة من الخشب الصّلب بأظفاره فقط، ما يتم على مدى أيام أو شهورٍ في المرّة. ترى هذه الفتحات محفورة في الرخام والفولاذ، كأن هناك سجينًا يحاول الهرب. لا يسمح حجم الفتحة إلا بالنظر أو الكلام

عبره فقط، أو ربما لإدخال شيءٍ عبره، كإصبعٍ أو لسانٍ أو عضو ذكري، والهرب قطعة قطعة في المرّة.

يُطْلِقُونَ عليها اسم (فتحات المجد)، كأنك بعثورك على هذه الفتحة قد وجدت عِرْقًا من الذهب. هذا هو المجد.

أجلس إذن على المرحاض في مطار ميامي وبالتّرب من مرفقي هناك فتحة في الحائط الفاصل بيني وبين المرحاض المجاور، وفي كل مكانٍ حول الفتحة ثمة رسائل من الرجال الذين جلسوا هنا قبلي.

جون إم كان هنا في 64/3/14.

كارل بي كان هنا في 8 يناير 1976.

نقوشٌ على ضرائح...

بعض المحفور هنا حديث، وبعضه مغطى لكنه محفور على عمقٍ كبيرٍ يجعله قابلاً للقراءة بعد عقودٍ من الطلاء فوقه.

ها هنا الظلال التي خلّفتها على الحائط ألف لحظةٍ وألف مزاجٍ لرجالٍ كانوا هنا ورحلوا. ها هنا الدليل على أنهم كانوا هنا، على زيارتهم، على مرورهم. ها هنا ما كانت موظّفة التحريّات الاجتماعيّة لتُطلق عليه اسم مستند المصدر الأساسي.

تاريخ موثّق لكلّ ما هو غير مقبول...

كُن هنا الليلة إذا أردت أن تمصّه مجانًا، السبت 18 يونيو 1973.

كل هذا محفور على الحائط.

ها هنا كلمات بلا صور، جنس بلا أسماء، صور بلا كلمات. صورة محفورة لامرأةٍ عارية تفتح ساقيها عن آخرهما وقد برز ثدياها المستديران وشعرها الطويل المنساب وغاب وجهها، ومن قضيبٍ مقطوعٍ في حجم رجلٍ بالغ تتساقط قطرات دموعٍ ضخمة نحو فرجها المشعر.

تقول الكلمات: النَّعِيم هو بوفيه مفتوح تلتهم فيه ما يمكنك من فروج النساء.

النَّعِيم أن يدخل قضيب في مؤخرتك.

اذهب إلى الجحيم أيها الشاذ.

مررتُ بهذا.

اذهب والعق بعض الخراء.

فعلتُ ذلك.

هذه مجرد عينة من الأصوات المحيطة بي عندما أسمع صوتاً حقيقياً، صوت امرأة، يهمس:

- «تحتاج كارثة جديدة، أليس كذلك؟».

الصوت قادم من الفتحة، لكن عندما أنظر لا أرى إلا شفتين مصبوغتين، شفتين حمراوين، أسناناً بيضاء، ولمحة من لسانٍ مبتل يقول:

- «كنت أعرف أنني سأجدك هنا لأنني أعرف كل شيء».

فرتيليتي...

عبر الفتحة أرى الآن العينين الرماديتين وقد جعلهما مُحدّد العيون الأزرق والماسكارا الثقيلة على الأهداب تبدو أكبر من حجمهما الفعلي. الحدقتان تكبران وتصغران، ويقول الفم:

- «لا تقلق، ستأخر طائرتك ساعتين أخريين».

يقول المحفور على الحائط بجوار الفم: أمصّ وأبتلع.

إلى جوار هذا كُتب: أريد أن أحبها، لكن إذا أعطتني الفرصة فقط.

ثمّة قصيدة تبدأ بعبارة *دافئٌ بداخلك الحب...* وبقيتها محاها المني المقذوف على الحائط.

يقول الفم:

- «أنا هنا في مهمّة».

لا بُدّ أنها وظيفتها الشريرة.

- «إنها وظيفتي الشريرة».

عملها ليس شيئاً نتكلّم عنه.

- «لا أريد أن أتكلّم عن هذا».

أهنتك، أهمس لها، على النحل القاتل أعني.

حُفِر على الحائط: بِمِ تصف الفتاة الكريديشيّة التي تُجهض؟
ميتة.

بِمِ تصف الكريديشي الشاذ الذي يقبل دخول القضبان في مؤخرته؟
يقول الفم:

- «تحتاج كارثة جديدة، أليس كذلك؟».

أو خمس عشرة، أهمس، أو عشرين.

يقول الفم:

- «كلا. يبدو أنك مثل كلّ رجلٍ وثقت به. أنت جشع».

- أريد أن أنقذ أرواح الناس فقط.

- «أنت خنزير طمّاع».

- أريد أن أنقذهم من الكوارث.

- «بل أنت مجرد كلب يودّي حيلة».

- كل هذا كي أقتل نفسي فقط.

- «وأنا لا أريدك أن تموت».

- لماذا؟

- «لماذا ماذا؟».

لماذا تريدني أن أحيأ؟ لأنها تحبني؟
- «كلا. لا أعني أني أكرهك، لكنني أحتاجك».

لكنها لا تكرهني؟

- «هل تملك أدنى فكرة كم من المُمَل أن أكون أنا؟ أن أعرف كلَّ شيء؟ أن أرى كلَّ شيءٍ قادمًا من على بُعد مليون ميل؟ كل هذا لا يُحتمَل، وبالتأكيد لا يناسبني».

يقول الفم إننا كلنا مصابون بالملل، ويقول الحائط: ضاجعتُ ساندي مور، وحول هذه العبارة تقول عشر عبارات أخرى: وأنا أيضًا. آخر: هل هناك من لم يضاجع ساندي مور هنا؟ إلى جوار هذا كُتِب: أنا، وإلى جوار هذا كُتِب: ساذ.

يقول الفم:

- «كلنا نشاهد البرامج التليفزيونية نفسها، كلنا نسمع الأشياء نفسها على الراديو، كلنا نكرّر الكلام نفسه لبعضنا البعض. لم تعد هناك مفاجآت، بل المزيد والمزيد من الأشياء ذاتها. حياتنا كلها برامج مُعادة».

تقول الشفتان الحمراءوان من داخل الحائط:

- «كلنا تربينا على برامج ومسلسلات التليفزيون نفسها، كأن هناك شريحة ذاكرة صناعية مزروعة في دماغ كلِّ واحدٍ منا لا تختلف الواحدة منها عن الأخرى. إننا لا نذكر أيَّ شيءٍ تقريبًا من طفولتنا الحقيقية، لكننا نذكر كلَّ شيءٍ حدث لهذه العائلة أو تلك في مسلسلات السيكتوم. كلنا لديه الأهداف والمخاوف الأساسية نفسها».

تقول الشفتان:

- «المستقبل ليس واعدًا يا صاحبي. قريبًا جدًّا ستراودنا كلنا الأفكار نفسها في اللحظة نفسها، سنكون في اتساقٍ كامل، متزامنين، متّحدين، متساوين، تمامًا كالنمل. سنكون كالحشرات، كالخرفان».

كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَقٌّ مِنْ شَيْءٍ.

مرجعٌ إلى مرجعٍ إلى مرجعٍ.

- «السؤال الكبير الذي يسأله الناس ليس ما هي ماهية الوجود؟ بل من أين أتى هذا؟».

أصغيت إلى الفتحة تمامًا كما كنت أصغي للاعترافات على الهاتف وللسرايب بحثًا عن دلالة على الحياة.

أسألها: ولمَ تحتاجني إذن؟

- «لأنك نشأت في عالم آخر. لأنه إذا كان هناك من سيفاجئني فهو أنت. أنت لست جزءًا من الثقافة العامّة، ليس بعد. أنت أملي الوحيد في رؤية أيّ شيءٍ جديد. أنت الأمير المسحور الذي يمكنه كسر تعويذة الملل، هذه الغيبوبة المنتظمة التي لا تختلف اليوم عن الأمس أو الغد. لقد مررتُ بهذا وعلتُ ذلك. أنت دواء في طور الاختبار أنتظر نجاحه».

لكنني، أهمس، لست مختلفًا عن غيري إلى ذلك الحد.

- «بل أنت كذلك، وبقاؤك مختلفًا هو أملي الوحيد».

- امنحيني بعض التنبؤات إذن.

- «لا».

- لماذا؟

- «لأنني لن أراك بعدها أبدًا إذا فعلت. سوف يلتهمك عالم البشر وأفقدك. من الآن فصاعدًا سأعطيك نبوءةً واحدةً كلَّ أسبوعٍ».

- كيف؟

- «بهذه الطريقة، تمامًا كما أفعل الآن. لا تقلق، سأجدك أينما ذهبت».

طبقًا لدفتر التحركات، فأنا في استوديو تلفزيوني مُظلم أجلس على أريكة بُنِيَّة اللون (يقول ملمسها إن النسيج 60٪ من البولستر و40٪ من الصوف، مغزول على نول عريض، معالج لمقاومة البقع وانطفاء اللون تحت دسّته من مصابيح الاستوديو الكبيرة). تصفيقة شعري من فلان الفلاني، ملابسي صمّمها فلان الفلاني، جواهري برعاية فلان الفلاني.

تقول سيرتي الذاتية إنني لم أكن قط سعيدًا راضيًا في حياتي كما أنا الآن، وأنني أستمتع بكل لحظة منها. تقول البيانات الصحافية إنني أسجّل برنامجًا تليفزيونيًا جديدًا، نصف ساعة تُعرض في وقت متأخر من كل ليلة أتلقّى فيها مكالمات من ينشدون النصيحة وأقدم لهم وجهة نظر جديدة. تقول البيانات الصحافية أيضًا إن البرنامج سوف يُقدّم نبوءة جديدة بين الحين والآخر. من الممكن أن تكون كارثة جديدة - زلزال، تسونامي، غزو للجراد - في الطريق إليك، لذا يُستحسن أن تُشاهد البرنامج على سبيل الاحتياط.

إنها نشرة الأخبار المسائية قبل وقوع الحدث. أطلقت البيانات الصحافية على هذا البرنامج اسم (السلام النفسي)، إن كان يمكنك اعتباره هكذا بالطبع.

فرتيليتي هي من قالت إنني سأصير شهيرًا ذات يوم، قالت إنني سأحكي للعالم كله عنها، لذلك يجدر بي أن أعرف الحقائق كاملة. قالت فرتيليتي إنني سأصف عينيها - بعد أن أشتهر - بأنهما كعيني قطعة، وشعرها كأنما بعثرته عاصفة. تلك هي كلماتها بلا زيادة أو نقصان. نعم، وشفيتها

كانما لدغتهما نحلة. قالت إن ذراعيها ناعمتان كصدر دجاجة منزوع الجلد، وقالت إن طريقة مشيها توحى بحُب المرح.
قالت فرتيليتي:

- «بعد أن تشتهر لا تجعلني أبدو كوحشٍ أو ضحيةٍ أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل. أعرف أنك سوف تبيع دينك كله وكلّ ما تؤمن به، لكن لا تتحدّث كذبًا عني أرجوك، اتّفقنا؟».

جزءٌ من شهرتي إذن أن أقدم ذلك البرنامج مع إعلاميةٍ شهيرة. يبدأ الفاصل الإعلاني فتُعطيني ملخصًا بالمتّصلين الذين طرحوا الأسئلة لأقرأ الإجابات على شاشة الملقّن الآلي. يتّصل الناس بي على رقم البرنامج المجّاني و... ساعدني، عالِجني، أطعمني، اسمعني. ما كنت أفعله بالضبط في شقّتي الحقيرة ليلاً لكن على الملائمة هذه المرّة. أنقذني أيها المنقذ، خلّصني أيها المُخلّص.

الاعترافات التي يدلون بها لي في شقّتي. الاعترافات التي يدلون بها على شاشة التلفزيون الوطني—إنها لا تختلف في شيءٍ عن قصّتي التي أحكيها الآن للصندوق الأسود في قمرة القيادة. اعترافي الخاص.

الأدوية التي كنت أتعاطاها عند تلك المرحلة، إذا أردت أن تنام ليلاً فالأجدر بك ألا تقرأ نشرتها الداخلية، فالأعراض الجانبية تتضمن أشياء لا يمكنك أن تفعلها على شاشة التلفزيون الوطني، كالقيء وغازات البطن والإسهال.

تتضمّن الأعراض الجانبية أيضًا الصداع والحمى والدوار والطفح الجلدي والتعرق.

يمكنني أن أسردها لك جميعًا:
لديك عُسر الهضم.

والإمساك.
وضيق التنفُّس.
والنعاس.
ومشاكل التدوُّق.

طَبِيقًا لمدْرِبِي الخاص، فالپريمابولين هو الذي يجعلني أسمع ذلك الطنين في أذني، ويجعل يدي ترتجفان والعرق لا يكف عن التفضد من مؤخره عنقي. قد يكون السبب هو التفاعل بين الأدوية المختلفة.
طَبِيقًا لمدْرِبِي الخاص، فهذا شيء جيد لأنني أفقد الوزن الزائد بمجرد جلوسي ودون بذل مجهود.

طَبِيقًا لمدْرِبِي الخاص، فإن أفضل طريقة للحصول على المنشطات الممنوعة هي أن تجد قِطَّة مصابة باللويميا وتأخذها إلى عيادات الأطباء البيطريين الذين سيصفون محاقن مملوءة بمنشطات الحيوانات تُعادل أفضل المنشطات التي يستعملها آدميون. يقول إنه لو عاشت القِطَّة فترة كافية يمكنك أن تُكُدِّس لديك مخزون عام كامل.
عندما سألته عمًا سيحدث للقِطَّة، هز كتفيه وسألني إن كان هذا من شأنه.

تجلس الإعلامية قبالي، ساقها -كبقيته جسدها- قصيرتان، وأذناها متواريتان تحت قرط كبير. كل مشاكلها متوارية بداخلها، كل عيوبها مخفية تحت مظهرها السطحي، والرائحة الوحيدة التي تصدر منها -حتى من أنفاسها- هي رائحة سبراي الشعر. الطريقة التي تجلس بها في كرسيها وقد وضعت ساقاً على ساقٍ وطوت يديها في حجرها تُدكرني بشيء مصنوع من الأوريجامي، لكن على نحوٍ أقل إتقاناً.

ها أنا الآن أجلس على أريكة سُلطت عليها الأضواء الساخنة، متحاطاً بالكاميرات والكابلات والفنيين الصامتين الذين يمارسون عملهم حولي

في الظلام. وكيل الأعمال موجود هنا بين الظلال وقد عقد ذراعيه وينظر إلى ساعته. يتحرّك وكيل الأعمال إلى فريق الكتابة الذي يُجري بعض التعديلات الأخيرة على النسخة التي ستظهر على شاشة الملقّن الآلي. على الطاولة الصغيرة المجاورة للأريكة هناك كوب من الماء المثلّج، إذا رفعته ستتهتز يدي بشدّة تجعل مكعبات الثلج ترتج فيه، إلى أن يهز وكيل الأعمال رأسه لي وفمه يقول (لا) صامتةً.

وتبدأ الحلقة...

طَبَقًا للإعلاميّة، فإنها تشعر بالمي. لقد قرأت سيرتي الذاتية وتعرف كل شيء عن الذل الذي خضعت له، وقرأت كل شيء عن المهانة التي لا بُد أنني شعرت بها وأنا عارٍ أباغ كعبد عارٍ، عن كوني في السابعة أو الثامنة عشر فقط من عمري ويُجبرونني على الوقوف عارياً أمام كل هؤلاء الناس، كل أتباع الطائفة، عارياً. عبدٌ عارٍ، تقول، مكبّل بأصفاد العبودية وعارٍ.

وكيل الأعمال في مجال رؤيتي وراء كتف الإعلاميّة وقد تجمّع فريق الكتابة حوله في الظلام، جميعهم يرتدون ملابسهم طبعًا.

إلى جوار وكيل الأعمال تقول لي شاشة الملقّن الآلي إنني «شعرت بالانتهاك وهم يعرضونني عبدًا عارياً للبيع بالمزاد».

طَبَقًا للملقّن الآلي، فإنني «شعرت بإهانة بالغة، شعرت بأنني ملوث مستباح، بأنني فقدت إنسانيتي».

يحتشد أفراد فريق الكتابة حول الملقّن الآلي ويردّدون الكلمات بلا صوتٍ إذ أقرأها بصوتٍ عالٍ.

بينما أقرأ كل هذا والكاميرات تراقبني، تنظر الإعلاميّة إلى المخرج في الظلام وتلمس معصمها، فيرفع المخرج إصبعين ثم ثمانية أصابع،

فيخطو أحد الفنيين إلى دائرة الضوء ويعيدُ خُصلة نافرة من شعر الإعلامية إلى وراء أذنها.

يقول لي الملقن الآلي إنني «تعرّضت للانتهاك الجنسي الذي كان شيئًا شائعًا بين أتباع الطائفة الكريديشية. زنا المحارم كان جزءًا من الحياة اليومية لكل أسرة، وكذلك كان الجنس مع جميع أنواع الحيوانات. عبادة الشيطان كانت منتشرة، والكريديش كانوا يُضحون بأطفالهم للشيطان طوال الوقت، لكن ليس قبل الاعتداء الجنسي المجنون عليهم. ثم إن كبار الكنيسة الكريديشية كانوا يقتلون الأطفال بعدها ويشربون دماءهم. كان هؤلاء أطفالًا اعتدت الجلوس إلى جوارهم في المدرسة يوميًا، لكن كبار الكنيسة التهموهم. عندما يكتمل القمر كان كبار الكنيسة يرقصون عرايا لا يسترهم شيء إلا جلود الأطفال الموتى».

نعم، أقول، لقد مررت بكلّ هذه الأحوال، ويقول الملقن الآلي: «ستجدون كلّ الروايات المتعلقة بجرائم الكريديش الجنسية في كتابي. اسمه (الخلاص من الخلاص)، وستجدونه في جميع المكتبات».

بين الظلال يُعطي وكيل الأعمال وفريق الكتابة لبعضهم البعض سلاماتٍ صامتةٍ بالكف، ويشير لي وكيل الأعمال بإبهامه المرفوع.

أشعر بالخدر في يديّ ولا أشعر بوجهي كله. لساني ينتمي لأحدٍ غيري وفمي ميت من فرط التنميل.

أعراض جانبية...

أما التنميل في قدميّ فيقتل أيّ إحساسٍ فيهما. أشعر بجسدي بعيدًا منفصلاً، تمامًا كصورتني وأنا أرتدي بذلة سوداء وأجلس على أريكةٍ بُنيةٍ على شاشة الستوديو، تمامًا كما من المفترض أن يحدث عندما تفارق روحك جسدك وتراقب ما تبقى منك -لحمك ودمك- إذ يموت.

يلوِّح المخرج بأصابعه في وجهي، إصبعين في يد وأربعة أصابع في الأخرى، ولا أدري ما يحاول أن يقوله لي.

معظم المکتوب على شاشة الملقّن الآلي موجود في سيرتي الذاتية التي لم أكتبها وطفولتي التي لم أعشها. طبقًا للملقّن الآلي، فإن الكريديش يتلظون جميعًا في جهنم الآن.

يقول الملقّن الآلي إنني «لن أنسى الألم المهين المؤلم الذي أشعر به مهما ازددت ثراءً عندما أُرث أرض مستعمرة مقاطعة الكنيسة الكريديشية». طبقًا للملقّن الآلي فإن «كتابي الأحداث، (الأدعية الأكثر تداولًا)، أداة مهمّة للتعامل مع الضغوط الحياتية التي نمر بها كلنا. الكتاب اسمه (الأدعية الأكثر تداولًا) وموجود في جميع المكتبات».

طبقًا للإعلامية التي تُتابع المخرج الذي يُتابع وكيل الأعمال الذي يُتابعني وأنا أتابع الملقّن الآلي—طبقًا لها، فإنني أشعر بسعادة ونجاح لا يضاهايهما شيء الآن وقد نجوت من طائفة الموت الكريديشية. عندما نعود بعد الفاصل، تقول للكاميرات، ستلقّي اتصالات المشاهدين في المنازل.

فقرة إعلانية.

تسألني أثناء الإعلانات إن كانت نشأتي بتلك الفضاة حقًا، فيتدخّل وكيل الأعمال قائلاً أن نعم، كانت كذلك، كانت مروّعة. يأتي أحد الفنيين وقد تدلّت الأسلاك من حزامه وحول رأسه ويسألني إن كنت أريد بعض الماء، فيقول وكيل الأعمال أن لا. يسألني المخرج إن كنت أريد دخول الحمّام، فيقول وكيل الأعمال إنني لا أريد. يقول إنني لا أحب التعامل مع حشدٍ من الغرباء الذين يُلقون عليّ الأسئلة، إنني تطوّرت وسموت فوق الحاجات البديّة. عندها يقبل الفنيون عيونهم في ضيق وينظر المخرج والإعلامية إلى بعضهما البعض ويهز كل منهما كتفيه كأنني صرفتهما بنفسني.

ثم يقول المخرج إننا سنعود على الهواء الآن، وتقول الإعلامية إن المتصل الأول على الخط.

المتصل امرأة يأتي صوتها عبر سماعات الاستوديو:

- «إذا كنت في مطعم مزدحم، وهو مطعم غالٍ جدًا، وأخرج أحد الجالسين إلى المائدة المجاورة ريحًا، ليس مرّة واحدة فحسب بل مرّات كثيرة والرائحة شنيعة، فماذا أفعل؟».

تضع الإعلامية يدها على وجهها ويدير المخرج ظهره، بينما يلتفت وكيل الأعمال إلى فريق الكتابة الذي يضع إجابتي على الملقّن الآلي. في محاولة لكسب الوقت تسأل الإعلامية المتصلة عمّا كانت تأكله، فتجيب هذه:

- «لحمًا، لكن هذا لا يهم. الرائحة كانت مقزّزة للغاية وجعلتني لا أستطيع تذوّق أيّ شيء».

يقول الملقّن الآلي إن «الله خلقنا بحواس كثيرة».

الملقّن الآلي يحاول كسب بعض الوقت أيضًا.

«من بين هذه الحواس حاسة الشم وحاسة التذوّق».

لا أفعل شيئًا لإقراءة الكلمات التي تظهر على الشاشة بصوت عالٍ.

«لكن الإنسان وحده هو من يحكم على المنح الإلهية بأنها جيّدة أو

سيّئة. الروائح كلها سواء عند الله».

لا أدري إلام يرمون بهذا.

«لا تعاني ولا تبتهجي، ولا تُشعرنك تلك المنح بالإطراء أو الإهانة،

فلا تحكمي على أحدٍ خشية أن يُحكّم عليك».

يُحرّك المخرج فمه قائلاً شيئًا ما صامتًا، بينما تقول الإعلامية إن

المتصل الثاني على الخط.

يسأل المتّصل الثاني عن رأيي في الثونج⁽¹⁾ كملبسٍ للسباحة.
يقول الملقّن الآلي إنه «رجس».

أقول إنه بعد سنواتٍ من الخدمة لدى الأغنياء أعتقد أن صانعي ثونج
السباحة والملابس الداخليّة يجدر بهم أن يجعلوها سوداء اللون.
تقول الإعلامية إن المتّصل الثالث على الخط.
- «هناك رجل أحبه، لكنه يتحاشاني».

إنها فرتيليتي. هذا صوتها يتردّد من سماعات الاستوديو ويكلمني،
يتكلّم عني لأمرিকা الشماليّة كلها. هل تريد بدء مشاخنة هنا على
شاشات التليفزيون؟ تتفرّع أفكاري إلى رسم بياني بالأكاذيب التي قلتها
واستجابتي المحتملة لما قد تقوله. هل ستفضحني وتكشف اللثام عن
تنبؤاتي بالكوارث؟

هل استنتجت ما حدث وخمّنت أنني دفعت أخاها إلى الانتحار؟ أم
أنها كانت تعرف طوال الوقت؟ وإذا كانت تعرف من البداية أنني قتلت
أخاها، فماذا الآن؟

- «هذا الرجل الذي يمتنع عن الأتصال بي حكيت له عن عملي. إنه
يرفضه، لكنه يتظاهر بأنه لا يبالي به».

تسألها الإعلامية: وما هو عمك بالضبط؟
شاشة الملقّن الآلي خالية...

... وأمريكا كلها على وشك أن تعرف سرّاً كبيراً الآن، إما عن فرتيليتي
أو عني. وظيفتها الشريرة، خطي الساخن للانتحار، أحلامها بالكوارث،
نبوءاتي المستعارة منها.
تقول فرتيليتي:

(1) لباس بحر يكشف معظم الجسد.

- «لديّ وكيل أعمال اسمه دكتور أمبروزي، لكنه ليس طبيباً حقيقياً».

قالت لي فرتيليتي ذات يوم إنه سيأتي يوم يكون فيه للجميع، حتى عمال القمامة والسباكين، وكيل أعمال. يجد دكتور أمبروزي هذا الأزواج الذين يملكون ما يكفي من مالٍ وبيحثون عن امرأةٍ تحمّل أطفالهم، عن أمّ بالوكالة. يُطلق دكتور أمبروزي على هذه العملية اسم الإجراء، وتتم بوجود الأب في الفراش مع فرتيليتي بينما تنتظر زوجته في الخارج.

- «تكون الزوجة خارج الغرفة تحيك أو تبحث بين أسماء الأطفال بينما يُفرغ الزوج محتويات خصيتيه الضئيلة بداخلي».

عندما أخبرتني عن عملها للمرّة الأولى، عندما كنت لا أزال نكرةً ينصح الناس بالانتحار، قالت لي إن فرتيليتي هوليس اسم مستعار، وإن اسمها الحقيقي هو جوين لكنها تكرهه.

- «يقول دكتور أمبروزي إن الجماع بيني وبين الأب نوع من المداواة الطبيعيّة. هذا ما يُردّده للأزواج اليائسين. إنه ليس زناً».

قالت لي إن هذا ليس احتيلاً أو دعارة، قالت إنه مذكور في الكتاب المقدّس، وقالت إن الإجراء يتكلّف خمسة آلاف دولار.

- «هل قرأت سفر التكوين؟ قصة راحيل وبيلاها، وليا وزيلفا؟».

أردت أن أقول لها إن بيلاها لم تستخدم حبوب منع الحمل، وزيلفا لم تجنّ خمسة آلاف دولار دون دفع ضرائب. لقد كانتا أمّتين حقيقيّتين ولم تسافرا إلى هنا وهناك لينكحهما أزواج العاجزات عن الإنجاب المتلهّفون على مجيء الورث.

تمضي فرتيليتي مع الزوجين فترة قد تبلغ أسبوعاً كاملاً، لكن كلّ مرّة يتم فيها الإجراء مع الزوج تُكلّف خمسة آلاف أخرى، ما يعني خمسة عشر ألف دولار في الليلة الواحدة في بعض الحالات، كما أن الزوجين يتكفّلان بمصاريف الطيران وخلافه.

- «دكتور أمبروزي مجرد صوت على التليفون يُرتَّب كلُّ شيء. إنه ليس شخصاً حقيقياً بالمعنى المعروف، والزوجان يُرسلان له شيكاً بالنقود فيُرسل لي نصفها نقدًا. لا أعرف عنوانه حتى. إنه جبان كبير!».
أعرف ذلك الشعور.

يقول الملقن الآلي: «مومس!».

- «كل ما عليَّ فعله هو ألا أحمل، ونجاحي لا شكَّ فيه».

وظيفتها، قالت لي، أن تكون عاقراً.

يقول الملقن الآلي: «بغبي!».

على الهاتف تقول إنها عقيم.

يقول الملقن الآلي: «ساقطة!».

إنها مهارتها الوحيدة الصالحة للتسويق، مهنتها التي لا تعرف غيرها.

إنه العمل الذي وُلِدَت لتمارسه.

لا تدفع أيَّ ضرائب، تحب السفر، تعيش في بيوت الأثرياء المختلفة، وهناك مرونة في المواعيد! قالت لي إن النوم يغلبها أحياناً أثناء الجماع، ومع بعض الأزواج تحلم بالحرائق والجسور المنهارة والسيول التي تكتسح كلَّ شيء في طريقها.

- «لا أعتقد أنني أرتكب أيَّ خطأ. إنني أصنع ليمونادة من الليمون لا

أكثر».

يقول الملقن الآلي: «ستحترقين في نيران الجحيم إلى أبد الأبدين

أيتها الشيطانة الوثنيَّة القذرة!».

تسأل فرتيليتي على الهواء:

- «ما رأيك إذن؟».

تُحدِّق في الإعلامية بشدَّة تجعلها لا تلاحظ خُصلة شعرها التي

سقطت على جبهتها. يُحدِّقُ فيَّ المخرج، يُحدِّقُ فيَّ وكيل الأعمال،
تزدرد الإعلامية لعابها، يكتب فريق الكتابة أشياء على شاشة الملقَّن
الآلي.

«ادعي الله أن يختطفك الموت يا عاهرة الشيطان!».

أمريكا كلها تشاهد.

«لا مجال للغفران لك أيتها السافلة!».

يُكرِّرُ صوت فرتيليتي:

- «ما رأيك إذن؟».

«قدرة!».

يشير إليَّ وكيل الأعمال، ثم إلى الملقَّن الآلي، ثم إليَّ، ثم إلى الملقَّن
الآلي.

«ذنيسة!».

- «لن تُصدر عليَّ حكمًا رادعًا الآن، أليس كذلك؟».

«نجسة!».

لا تعرض القناة الآن إلا الصمت التام. يجب أن يقول أحدنا شيئًا.
بفمي فاقد الحس أقرأ الكلمات المكتوبة على الملقَّن الآلي، بشفتيَّ
اللتين لا أشعر بهما أردد ما كتبه لي لا غير.

تسأل الإعلامية:

- «المتَّصلة رقم ثلاثة، أما زلتِ معنا؟».

يُلَوِّحُ لنا المخرج بأصابعه، خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد، ثم
يُمَرِّرُ سبابته على حلِّقه.

أريد أن يعرف الناس أيضًا، قبل أن تسقط الطائرة، أنني لم أكن صاحب فكرة پورنفييل، أو مقبرة پورنوو.

دائمًا ما يضع وكيل الأعمال أوراقًا ما أمامي ويقول: وقّع هذا. يقول: وقّع هنا، هنا، وهنا. يقول وكيل الأعمال أن أضع الحروف الأولى من اسمي عند كل فقرة، ويقول ألا أزعج نفسي بالقراءة لأنني لن أفهم شيئًا. وبهذه الطريقة خرجت مقبرة پورنوو إلى الوجود.

لم تكن فكرتي أن آخذ العشرين ألف فدان التي تُمثل أرض مقاطعة الكنيسة الكريديشية وأحوّلها إلى مستودع لجميع مواد پورنوو التي عفا عليها الزمن على مستوى القارة الأمريكية كلها، من مجلات وأوراق لعب وشرائط فيديو وأقراص مضغوطة وقضبان ومهابل صناعية مستهلكة ودُمى نفخ مثقوبة. تعمل الجرافات هناك على مدار ساعات اليوم الأربع وعشرين. لاحظ أننا نتكلم عن عشرين ألف فدان، اثنان-صفر-صفر-صفر-صفر فدان، أي كل قدم مربع من أرض الكريديش التي نزحت منها الحياة البرية وتلوّثت مياهها الجوفية.

يقارنون هذه المقبرة بمأساة لاف كانال في نيويورك -الولاية لا المدينة- لكن هذا ليس ذنبي.

قبل أن ينتهي شريط التسجيل داخل الصندوق الأسود يجب أن يعرف الناس من يستحق اللوم. إنه وكيل الأعمال. كتاب (الأدعية الأكثر تداولًا)، برنامج (السلام النفسي)، شركة پورنفييل الأمريكية، حملة سفر التكوين، تمثال تندر برانسن المصغر، وحتى ظهوري بين الشوطين

في نهائي دوري كرة القدم؛ كل هذه الأشياء تفتتت عنها قريحة وكيل الأعمال وحده.

وكلها أشياء جنت أطنانًا من المال.

المهم - أكرّر - أن لا شيء منها كان فكرتي أنا.

مقبرة الهورنو طَرَحَ عليّ وكيل الأعمال فكرتها ذات يوم في دالاس أو ممفيس. كانت حياتي في تلك المرحلة عبارة عن ستادات وُغُرِف فنادق يفصل بينها الوقت الذي أقضيه على متن الطائرات بدلًا من قطع المسافات الفعلية. العالم كله كان عبارة عن نقوش على سجاد تمر تحت قدمي، تشكيلات زهرية من البولستر والنيلون أو شعارات لشركات ما على أرضيات ذات لونٍ أزرق غامق أو رمادي لا تُظهِر حروق السجائر أو البقع.

كان العالم كله عبارة عن حمّامات عامّة أجلس فيها وفرتيليتي على الجانب الآخر من الحائط تهمس:

- «ليلة الغد ستصطدم سفينة سياحية بجبلٍ جليدي».

تهمس:

- «في الثانية ظهرًا بتوقيت الساحل الشرقي يوم الأربعاء القادم سينقرض النمر البوليفي الرمادي».

يقول وكيل الأعمال إن واحدة من أكبر المشاكل التي يعاني منها الأمريكيون هي التخلص من المواد الهورنو جرافية بأسلوب آمن يضمن الخصوصية. في جميع أنحاء أمريكا، يقول، هناك مجموعات هائلة من مجلات (بلايبوي) أو (سكرو) لم تعد تثير أحدًا. هناك مخازن كاملة بها أرفف مليئة بشرائط الفيديو التي تعرض نكراتٍ ذوي سواف طويلة أو عيون مظللة بالأزرق يتناكحون على أنغام موسيقا رديئة. ما تحتاجه أمريكا، يقول، هو مكان يُشخّن إليه هذا السُخام البالي ليتحلل بعيدًا

عن أعين الأطفال والمتدينين. يعرض عليّ وكيل الأعمال الفكرة بعد أن أجرى دراسة جدوى عن دفن المواد المختلفة -ورق، بلاستيك، إلاستيك، لاتكس، مطّاط، جلد، إيزيمات معدنيّة، سحابات، حلقات من الكروم، فلكرو، فاينل، نفظ، زيوت تشحيم، نيلون- تحت الأرض.

فكرته هي إنشاء نقاط تجميع يضع فيها الناس موادّهم البورنو جرافيّة دون طرح أسئلة، ومن هناك تشحن الشركات المحليّة هذه المواد في الحاويات الخاصّة التي تُستخدم لنقل المواد البيولوجيّة الضارّة، كالألات الحادّة والضمّادات الملوّثة من المستشفيات مثلاً، وينتهي الأمر بالبورنو في أرض مستعمرة مقاطعة الكنيسة الكريديشيّة في وسط نبراسكا حيث ستبقى هناك.

سوف تكون هناك ثلاثة تصنيفات:

سوفت كور، هارد كور، وأطفال.

سُيَسَمَح للنوع الأول بالتعفن على سطح الأرض، والثاني ستدفنه الجرافات تحت الأرض، أما الثالث فسيعامل معه قوم غير مكترئين بهذا النوع من البورنو، يرتدون بذلات واقية كاملة مضادة للتمزق، تتضمّن قفّازات وأحذية بسّمك 50 ملليمترًا وأقنعة للتنفّس، وسيتولّى هؤلاء دفن بورنو الأطفال في سراديب تحت الأرض حتى يبلى فيها بعد أن تنتهي دورة حياة المواد التي صُنعت منها وتستمر بليون عام تقريبًا.

طبّقًا لوكيل الأعمال، علينا أن نجعل الناس يشعرون بالهلع من التهديد الذي يُمثله البورنو على المجتمع.

سوف نلح على الحكومة كي تجعل التخلص من البورنو المستهلك بطريقة نظيفة آمنة إجباريًا، أي على طريقتنا نحن، تمامًا كزيوت المحرّكات أو الإسبستوس: إذا أردت التخلص منها فعليك دفع المقابل.

سوف نُريهم المواد البورنو جرافيّة المستهلكة وقد ملأت الشوارع، تُفسد الأطفال وتحت على الجرائم الجنسيّة.

سوف توزن المواد المشحونة إلينا بالطَّن كي نقبلها، وستُمرَّر الشركات المحليَّة التكلفة لعملائها مع هامش ربح إضافي. هكذا نكسب وتكسب الشركات المحليَّة ويستطيع المواطن الأمريكي العادي الخروج لشراء پورنو طازج، وتُثري صناعة پورنو. حسن، أقصد تزداد ثراء.

طبَّقاً لو كيل الأعمال، فهذا موقف مُريح لجميع الأطراف...
... ثم لم يصبح كذلك.

كان وكيل الأعمال يُعدُّ بالفعل مُسَوِّدَةً بالقانون الفدرالي الجديد الذي يفرض عليك دفع ضريبة على جميع المواد پورنوجرافية، وتستخدم الحكومة ضريبة پورنو الخاصَّة هذه لدفع تكاليف دفن المواد پورنوجرافية التي يُعثَر عليها هنا أو هناك، بالإضافة إلى تخصيص جزء منها لتنظيف مقالب النفايات غير القانونيَّة وإعادة تأهيل مدمني الجنس، لكن بمبلغ ليس كبيراً جدًّا.

قبل أن أسمع كلمة واحدة حتى عن پورنفيل، كان قد تم التلاعب بتقرير أثر المشروع على البيئَة وتزييف تقرير الآثار الإيجابية التي ستتبع عنه. كانت وكالة الدعاية قد بدأت تُرسل الفاكسات إلى الجماعات الدينيَّة ليل نهار لتختبر ردَّ الفعل، وكانت جماعات الضغط بدأت الضغط على الحكومة فعلاً. كانت هناك أرض الكنيسة الكريديشيَّة المملأى بالأشباح ولا أحد يريد شراءها أو تأجيرها، وكانت هناك ملايين من المواد پورنوجرافية غير المرغوب فيها. الأمر كله منطقي إذن، وهو ما رآه الجميع باستثنائي.

لم يكن هذا قرارى، ولقد جرَّبت بعض البدائل؛ كترديد دعاء إفساح مساحات زائدة للتخزين أو ابتلاع 4000 ملليجرام من الجاماكيس الذي هو شوكولاتة لا غير. جسبت أن هذا سيحل المشكلة لأمريكا. ردَّدت دعاء إعادة تدوير الجرائد القديمة المتكوِّمة، لكن تلك تختلف. ردَّدت

دعاء المماطلة، لكن وكيل الأعمال كان مُلحًا كالكابوس.

طَبِقًا لَصُحُف الصبّاح ذات يوم، فإن مشروع قانون دفن المواد الحسّاسة خرج من البيت الأبيض إلى مجلس الشيوخ، والرئيس على وشك التصديق عليه.

ويظل وكيل الأعمال يقول لي أن أوقّع هذا. الأحرف الأولى هنا، هنا، وهنا.

وأردّد دعاء الوثائق المهمّة التي لا تقرأها.

طَبِقًا لفرتيليتي، فإن مقبرة الهورنو هي ما دفع أخي آدم للخروج من مخبئه.

دوري الوحيد في المشروع كله كان توقيع الأوراق لا غير، ومنذ ذلك الحين يعتقد كل أمريكي أنه خطئي أنا أنهم يدفعون دولارين إضافيين عند شراء مجلة للصور العارية.

بعد ذلك ظهر آدم برانسن ليُصوّب مسدّسًا إلى رأس فرتيليتي المملول كي يُجبرها على معرفة مكاني.

كأن فرتيليتي لم تعرف أن هذا سيحدث!

كانت فرتيليتي تعرف كل شيء، ووصفت تهديد أخي بقتلها بأنه كان حَسَن النية.

ولاحقًا، عندما حان دوري لتصويب المسدّس نفسه إلى رأس الطيّار، فهمت السرعة التي يمكن أن تحدث بها تلك الأشياء.

ومع ذلك أنا الذي يكرهه الناس!

أنا، الذي أطلقوا اسمه على مقبرة تندر برانسن القومية لدفن المواد الحسّاسة.

قالت فرتيليتي في آخر مرّة رأيتني فيها إنني تطوّرت شكلاً حتى أنها لم تكن لتتعرفني، ثم سألتني إن كنت أحتاج كارثة جديدة.

- «أحتاج كارثة جديدة».

- «انظر في المرأة إذن».

وكان آدم لا يزال طليقاً في مكانٍ ما يطاردني على سبيل المرح.
آدم، الأخ الذي قالت لي فرتيليتي أن أصفه بأنه قَدَّيس.

قبل أن تسقط الطائرة، أو قبل أن ينفذ شريط التسجيل داخل الصندوق الأسود، ثمّة أخطاء أخرى أريد الاعتراف بها تتضمّن التالي:
برنامج (السلام النَّفسي).
تمثال تندر برانسن المصغّر.
اللعبة اللوحية (صغائر الكتاب المقدّس)، كأن أيّ شيء يقوله الله صغير!

قال لي وكيل الأعمال إن السر هو الاحتفاظ بعدة أفكار ومشاريع في جُعبتنا، وبهذا عندما يفشل أحدها يستمرّ الأمل في نجاح ما يليه.
وتمتد القائمة لتشمل:

- كتاب (ممارسة الحمية حسب الكتاب المقدّس).
- كتاب (أسرار المال والكسب في الكتاب المقدّس).
- كتاب (أسرار الجنس في الكتاب المقدّس).
- كتاب (الكتاب المقدّس لتجديد المطابخ والحمّامات).
- معطّر جو تندر برانسن.
- حملة سفر التكوين.

وهناك أيضًا الجزء الثاني من كتاب (الأدعية الأكثر تداوُلًا)، وإن كانت الأدعية التي فيه أقرب إلى الشعوذة. مثلاً، هناك دعاء جعل أحدهم يحبك، أو دعاء إصابة عدوك بالعمى.

كُلُّ هذه الأشياء من إنتاج مؤسّسة تندر برانسن، ولا واحد منها كان فكرتي.

حملة سفر التكوين بالذات لم تكن فكرتي بأيّ شكل من الأشكال، وقاومتها بيديّ وأسناني، لكن المشكلة أن هناك من كانوا يسألون إن كنت لم أفقد عذرتي بعد، أناس أذكيا يتساءلون إن كنت أعاني من نوع من التخلف العقلي بما أنني لم أمارس الجنس ولو مرّة في سنيّ هذه.

يسأل الناس: ما هي مشكلتي مع الجنس؟

يسألون: حقًا، ما هي مشكلتي؟

كانت حملة سفر التكوين عبارة عن علاج سريع فُكّر فيه وكيل الأعمال. شيئًا فشيئًا صارت حياتي علاجًا لعلاج سابق لعلاج أسبق إلى أن أنسى المشكلة الأصليّة. كانت المشكلة هذه المرّة أنه من غير الممكن أن تكون رجلًا أمريكيًّا في منتصف العمر ولم تمارس الجنس في حياتك دون أن تكون مصابًا بعلّة ما. لا يستطيع الناس أن يتصوّروا فضيلة ما في شخص آخر لا يمكنهم تصوّرها في أنفسهم، وبدلًا من إيمانك بأنك أقوى، فمن الأسهل بكثير أن تتخيّل أنك أضعف. أنت مدمن على إيذاء الذات، أنت كذاب، والناس جاهزون دائمًا لتصدق عكس ما تقوله لهم. أنت لا تملك التحكم في نفسك.

لقد خصوك وأنت طفل.

كانت حملة سفر التكوين حدثًا إعلاميًا أثار الكثير من الجدل.

وكان العلاج السريع هو أن وكيل الأعمال قرّر تزويجي.

هذا ما أخبرني به ونحن في الليموزين ذات نهار.

معنا في السيّارة المدبّر الشخصي الذي يقول لي إن إبر الإنسولين الدقيقة هي الأفضل لأنها لا تجرح العرق من الداخل. وكيلة الدعاية

موجودة أيضًا، تنظر إلى الخارج عبر النافذة الداكنة ومعها وكيل الأعمال، بينما يشحذ المدرب إبرة على الجانب الخشن من غلبة ثقاب، ثم يحقني بـ50 ملليجرامًا من اللورابولين.

استخدام إبر الإنسولين لا يؤلم فعلاً.

يقول وكيل الأعمال إنك مهما اشتهيت الجنس يمكنك أن تنساه. عندما كان مراهقًا أصيب وكيل الأعمال بحساسيةً للحليب، وكان يحب الحليب لكنه لم يعد يستطيع أن يشربه، وبعد سنواتٍ كانوا قد طوّروا نوعًا من الحليب خاليًا من اللاكتوز يمكنه أن يشربه، لكنه كان قد صار يمقت مذاق الحليب. يحكي أنه عندما أفلح عن شرب الكحول بسبب مشكلة في الكلى كان يحسب أنه سيفقد عقله من فرط حاجته إليه، لكنه الآن لم يعد يفكر في تناول كأس شرابٍ واحد.

للحيلولة دون تجعّد بشرة وجهي، حقنَ مختص الأمراض الجلديّة التابع للفريق معظم العضلات حول فمي وعينيّ بالبوتوكس لشلّ هذه العضلات طوال الأشهر الستة التالية. التفاعلات بين الأدوية المختلفة تجعلني أشعر بالكاد بذراعيّ وقدميّ. أضف إلى هذا حقنَ البوتوكس التي تجعلني لا أشعر بوجهي تقريبًا. يمكنني أن أتكلّم وأبتسم، لكن على نحوٍ محدودٍ للغاية.

نحن الآن في الليموزين المتّجهة إلى الطائرة التي ستحملنا إلى ستادٍ ما، يعلم الله وحده أين.

طبقًا لوكيل الأعمال، فإن سياتل ليست إلا المنطقة الجغرافيّة المحيطة بstad كينجدم، ديترويت هي مجرد الناس الذين يقطنون حول stad سيلفردوم. نحن لن نذهب إلى هيوستن أبدًا، لكن إلى stad أستروودوم، أو سوپردوم، أو مايل هاي، أو چون كندي، أو چاك ميرفي، أو چيكوبز فيلدز، أو شيا، أو ريجلي. كل هذه الأماكن هناك بلدات تحيط بها، لكن stadات وحدها هي المهمّة.

منسقة المناسبات معنا أيضًا في السيارة، وتُعطيني قائمةً بأسماء النساء اللاتي يردن الزواج مني، بينما يعطيني وكيل الأعمال قائمةً بأسئلةٍ يجب أن أحفظها.

السؤال الأول: «في العهد القديم، من المرأة التي حوّلها الله إلى بهار؟».

تُجهّز منسقة المناسبات زفافاً ومانسيّاً ضخماً على خط الـ50 ياردة بين الشوطين في المباراة النهائية لدوري كرة القدم، وستعتمد ألوان الزفاف على الفريقين اللذين سيصلان إلى الدور النهائي. أما ديانة العروس فسوف تعتمد على نتيجة معركة العطاءات، تلك المعركة الصامتة تمامًا التي تدور كي أعتنق الكاثوليكية أو اليهودية أو البروتستانتية، طالما انتهى أمر الكنيسة الكيريدشيّة تمامًا.

السؤال الثاني: «في العهد القديم، من المرأة التي التهمت الكلاب؟».

الخيار الآخر الذي يُفكّر فيه وكيل الأعمال هو التخلّي عن الوساطة بالكامل وتأسيس ديانتنا الكبرى الخاصّة، أن نجعل العالم يعترف بعلامتنا التجارية ونبيع للمستهلك مباشرةً.

السؤال الثالث: «هل تعتقد أن السعادة الأبدية في جنّة عدن صارت مملة نوعاً، ومن ثم كان أكل التفاحة المحرّمة مبرّراً؟».

يجلس ستتنا أو سبعتنا في الليموزين على الكرسيّين العريضين وقد تداخلت أرجلنا.

طبقاً لوكالة الدعاية فإن كلّ شيءٍ يتعلّق بالزفاف جاهز، وقد اختارت لجنة بالفعل عروساً غير طائفية، لذلك ستكون عملية إلقاء الأسئلة هذه كلها ملفّقة. اللجنة معنا في الليموزين أيضًا، وهناك من يخلطون المشروبات على البار الصغير ويناولونها إلى بعضهم البعض. ستكون

العروس فتاة عيَّنوها حديثاً كمساعدةٍ لمنسَّقة المناسبات، وهي أيضًا معنا في الليموزين، تجلس على الكرسي المقابل لي وتميل إلى الأمام. تُلقني عليَّ التحيَّة، وتقول إنها واثقة من أننا سنكون في غاية السعادة معًا.

يقول وكيل الأعمال إننا نحتاج إلى معجزةٍ كبيرة أقوم بها أثناء الزفاف. تقول وكيلة الدعاية: أكبر معجزة ممكنة.

يقول وكيل الأعمال إنني يجب أن أعثر على أكبر معجزةٍ يمكن تأديتها على الإطلاق.

مع غضب فرتيليتي مني، وأخي الطليق في مكانٍ ما، واللورابولين في مجرى دمي، ولعبة اختيار وعاءٍ مقدَّسٍ لي - مشروع سفر التكوين - وتلك الغريبة التي ستزوِّجني وتُفقدني عذريَّتي، والضَّغط النَّفسي الذي يجعلني أرغب في الانتحار، لا أدري أيَّ معجزةٍ يمكنني أن أقوم بها.

يقول مساعد المنسَّق الإعلامي إن الفودكا نفذت. هو أيضًا معنا في الليموزين. النبيذ الأبيض نفذ بدوره، لكن لدينا الكثير من ماء التونيك.

كلهم يرمقونني...

مهما فعلت، ما زالوا يريدون المزيد، الأفضل، الأسرع، المختلف، الأجدِّ، الأكبر. كانت فرتيليتي على حق.

والآن يقول لي وكيل الأعمال إنني يجب أن أؤدِّي أكبر معجزةٍ في حياتي على الإطلاق، وإنني يجب أن أبلغ بها الاكتمال.

أمين، أقول له، كأنني أجهل هذا!

يسألونني دائماً إن كنت أستطيع استخدام محمصة الخبز. هل أعرف ما تفعله جزّازة الحشائش؟

هل أعرف فيم يُستخدَم بلسم الشَّعر؟

لا يريد الناس مني أن أتصرّف كخبيرٍ في الحياة والناس، يريدون مني أن أتمتّع بنوع من براءة آدم في الجنّة في عصر ما قبل التفاحة، ببساطة المسيح وهو طفل. يسألونني: هل أعرف كيف يعمل التلفزيون؟

لا، لا أعرف، لكن أكثر الناس لا يعرفون!

الحقيقة أنني لم أكن عالم صواريخ أصلاً، كما أنني بدأت أخسر أرضاً كلّ يوم. إنني لست غيبياً، لكنني في الطريق إلى ذلك. ليس من الممكن أن تقضي حياتك البالغة في العالم الخارجي ولا تعرف كيف تعمل الأشياء. صدّق أو لا تُصدّق، لكنني أعرف كيف أستخدم فتّاحة العُلب!

أصعب جزء في كونك قائداً دينياً شهيراً أن تنزل بمستواك إلى توقّعات الناس.

يسألني الناس: هل أعرف فيم يُستخدَم مجفّف الشعر؟

طيقاً لو كليل الأعمال، فإن سرّ البقاء على القمة هو ألا تُمثّل مصدر تهديد، أن تكون لا شيء، مساحة فارغة يملأها الناس حسب هواهم، أن تكون مرآة. أنا النسخة الدينية من الفائز باليانصيب. أميركا تعج بالأغنياء والمشاهير، لكن يجدر بي أن أكون التركيبة النادرة: محتفّى بي وأحمق، شهيراً ومتواضعاً، بريئاً وثريراً. هكذا يعتقد الناس أنك تعيش حياتك

المتواضعة، حياة جان دارك ومريم العذراء، تغسل الأطباق، ثم يأتي يوم وتموت.

يسألني الناس: هل أعرف ماذا يكون العلاج اليدوي؟

يحسب الناس أن القداسة مجرد شيء يحدث لك، أن العملية كلها بتلك البساطة، كأنك مارلين مونرو بالفعل ولست نورما جين عندما يكتشفونك. قد يكون ذلك ممكناً في القرن الحادي عشر مثلاً، لكن اليوم هناك ليزر يزيل تلك الخطوط الصغيرة حول فمك قبل تسجيل سهرة الكريسماس التليفزيونية الخاصة، هناك تقشير للجلد بالكيماويات، هناك جراحات تجميل. حياة جان دارك كانت سهلة بالمقارنة.

اليوم يسألني الناس: هل أعرف ماذا يكون الحساب الجاري؟

يسألونني طوال الوقت عن سبب عدم زواجي. هل تراودني أفكار غير نقيّة؟ هل أو من بالله؟ هل أمارس العادة السريّة؟ هل أعرف فيم تُستخدم فرامة الورق؟

لا أدري، لا أدري، لديّ شكوكي، لن أجيب عن هذا السؤال. ثم أتصل بوكيل الأعمال ليشرح لي طريقة استخدام فرامة الورق.

في هذه المرحلة من القصة تصلني بالبريد نسخة من (الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية). سلّمه مساعد ما في فريق البريد الوارد إلى أحد المنسّقين الإعلاميين، الذي سلّمه إلى أحد موظفي الدعاية، الذي سلّمه إلى مسؤول جدول الأعمال النهاري، الذي وضعه على صحيفة الإفطار في جناحي بالفندق؛ وإلى جوار الـ430 جراماً من الكربوهيدرات المركّبة والـ600 جرام من بروتين الألبومين التي أتناولها كلّ صباح أجد الكتاب الضائع من موظفة التحريّات الاجتماعية رحمتها الله.

يأتيني البريد في عشرة أجولة في المرّة الواحدة أحياناً، ولديّ رقمي البريدي الخاص.

ساعِدني، عالِجني، أنقِذني، أطعِمني.
يقولون عني المنقِذ، المخلِّص، القائد.

يقولون عني المهرطق، الكافر، المسيح الدجَّال، الشيطان.

أجلسُ إذن في الفراش وقد وضعت صحيفة الإفطار على حجري
وأتصفح الدليل. لا يوجد عنوان للراسل على الطرد الذي جاء فيه، لكن
على غلاف الكتاب الداخلي أرى توقيع موظفة التحريَّات الاجتماعيَّة.
من الغريب كيف يفوق الاسم الإنسان عمراً، والبرهان النظريَّة، والرمز
الرموز إليه. تماماً كالأسماء المحفورة على كلِّ شاهدٍ على كلِّ سرداب
في ضريح كولومبيا التذكاري، لم يتبقَّ من موظفة التحريَّات الاجتماعيَّة
إلا اسمها.

كم نشعر بأننا أسمى من الموتى!

على سبيل المثال، إذا كان مايكل آنجلو بهذا الذكاء، فلمَ مات؟
أشعر أثناء تصفُّحي الدليل بأنني أحمق غبي بدين، لكنني ما زلت حيًّا.
ما زالت موظفة التحريَّات الاجتماعيَّة ميتة، وها هو الدليل على أن كلَّ
شيءٍ درسته وأمنت به في حياتها خاطئ. في نهاية هذه الطبعة من الدليل
هناك قائمة بالتصحیحات التي أُجريت على الطبعة السابقة. لقد تغيَّرت
القواعد بالفعل.

ها هي التعريفات الجديدة للمقبول والطبيعي والمعقول.

غياب الذُروة الجِنسيَّة لدى الذكور أصبح اسمه اضطراب الذُروة
الجِنسيَّة الذكوري.

ما كان اسمه فقدان الذاكرة النَّفسي بات فقدان الذاكرة الانفصالي.

اضطراب القلق المصاحب للأحلام أضحى يُعرف باسم اضطراب
الكوابيس.

تتغيَّر الأعراض من طبعية إلى طبعية، والعقلاء أصبحوا مجانين حسب

المعايير الجديدة، والذين كانوا مجانين صاروا صورة مُشرقة للصحة النفسية.

دون أن يطرق الباب يدخل وكيل الأعمال الغرفة ويجدني في الفراش أقرأ. أقول له أن ينظر ماذا جاءني بالبريد، فينتزع الكتاب من يدي في غنْف ويسألني إن كنت أعرف ماذا يكون دليل الإدانة. يقرأ اسم موظفة التحريّات الاجتماعية على الغلاف ويسألني:

- «هل تعرف ما هي جريمة القتل من الدرجة الأولى؟».

يمسك الكتاب بيدٍ ويضرب عليه بالأخرى ويصيح:

- «هل تعرف كيف سيكون شعورك وأنت جالس على الكرسي الكهربائي؟».

ويضربه...

- «هل تدرك ما ستفعله إدانتك في جريمة قتل بمبيعات تذاكر عروضك القادمة؟».

ويضربه...

- «هل تُدرك مدى فداحة دخولك السجن؟».

لا أدري عمّا يتكلّم.

يجعلني صوت المكائس الكهربائيّة في الرواق خارج الجناح أشعر بالكسل. إنها الظهيرة وأنا لا أزال في الفراش.

- «أتكلّم عن هذا!»، يقولها وهو يقبض عليّ الكتاب بيديه ويدسه في وجهي. «هذا الكتاب! هذا ما يعتبره رجال الشرطة تذكّارًا للجريمة».

يقول وكيل الأعمال إن محقّقي الشرطة يطلبون الكلام معي كلّ يوم عن قضية العثور على موظفة التحريّات الاجتماعية ميتة، يسأله رجال FBI عن نسخة دليل الاضطرابات النفسية الخاصّة بها التي اختفت مع ملفّات عملاتها في الأسبوع الذي اختفت فيه بغاز الكلورين حتى

الموت. الحكومة لا تشعر بالرضا عن فراري من مسرح الحادث.
- «هل لديك أدنى فكرة كم هم قريبا من الحصول على إذن قضائي بالقبض عليك؟».

هل أعرف معنى المشتبه به الأساسي في جريمة قتل؟

هل أدرك كيف سيبدو لهم وجود هذا الكتاب في حوزتي؟

ما زلت في الفراش ألتهم التوست (بلا زبدة) والشوفان (بلا سُكَّر بني). أتمطى وأقول له أن استرخ، انس الأمر، لقد جاء الكتاب بالبريد، فيقول متهكِّمًا إنها مصادفة قابلة للتصديق بالفعل.

ما يقصده أنه من المحتمل أنني أرسلته لنفسه، فهو بمثابة تذكار لا بأس به من حياتي القديمة. الحق أنه على الرغم من حياتي الصعبة حاليًا بكل ما فيها من أدوية وجداول ولا مصداقية على الإطلاق، إلا أنها أفضل من حياة قضيتها في تنظيف المراحيض. كما أن السرقة ليست شيئًا جديدًا عليّ. من الأساليب الجيدة الأخرى للسرقة من المحال أن تجد الشيء الذي ترغب فيه وتقطع بطاقة السعر منه، ويفلح هذا الأسلوب بالذات في المتاجر الكبيرة جدًا ذات الأقسام الكثيرة، حيث لا يستطيع بائع واحد أن يعرف كل شيء. انتقِ قبعة أو زوجًا من القفازات أو مظلة واقطع بطاقة السعر، ثم سلّمها إلى قسم المفقودات، فليس من الضروري أن تغادر المكان بها حتى. إذا اكتشف المتجر أنها ضمن بضائعه فسوف تعود إلى مكانها دون مشاكل، لكنها في معظم الأحيان توضع في سلّة أو صندوق المفقودات، وإذا لم يطالب بها أحد خلال ثلاثين يومًا فهي لك. وبما أن لا أحد فقدّها أصلًا فلن يأتي أحد ليسأل عنها. من المعروف أن المتاجر متعدّدة الأقسام لا تُكَلِّف العباقرة بإدارة قسم المفقودات.

يسألني وكيل الأعمال بسخط:

- «هل تعرف معنى غسيل الأموال؟».

من الممكن أن تكون هذه هي الحيلة نفسها، كأنني قتلت موظفة التحريّات الاجتماعية وأرسلت الكتاب إلى نفسي، أو غسلته إذا جاز التعبير. كأنني أرسلت الكتاب إلى نفسي كي أظاھر بالبراءة وأنا جالسٌ هنا مستندًا إلى وسائدي المصنوعة من القطن المصري أنفاخر بجريمتي وألتهم الإفطار ظُهرًا.

تجعلني فكرة غسل أيّ شيءٍ أشعر بالحنين إلى صوت الملابس ذات القطع المعدنية إذ تدور وتدور في الغسّالة.

هنا في جناح الفندق لست مضطرًا للبحث عن دافع في مكانٍ بعيد، فملفّي الذي كان مع موظفة التحريّات الاجتماعية فيه جميع سجلات علاجها لي، أنا الاستعرائي، مشتهي الأطفال، سارق المحال.

يسألني وكيل الأعمال: هل أعرف كيف تستجوب الـFBI المشتبه بهم؟

يسألني: هل أحسب الشرطة بهذا الغباء حقًا؟

- «بافتراض أنك لست القاتل، هل تعرف من أرسل الكتاب؟ من قد يحاول تليفق التهمة لك؟».

ربما، غالبًا، نعم، أعرف.

يعتقد وكيل الأعمال أنه شخصٌ ما من ديانة معادية، منافس غيور، كاثوليكي أو معمداني أو طاوي أو يهودي أو أنجليكاني.

أقول له إنه أخي. لديّ أخ أكبر قد لا يزال حيًا، ومن السهل تخيّل آدم برانسن طليقًا يقتل النّاجين بأساليب تجعل الشرطة تعتقد أنها انتحار. موظفة التحريّات الاجتماعية كانت تقوم بعملٍي بدلًا مني، ومن السهل تصوّرها وقد وقعت في فخّ كان مُعدًا لقتلي أنا، مجرد زجاجة بريئة المظهر اختلطت بداخلها الأمونيا مع المبيض تنتظرنني تحت الحوض لأفتحها ثم أسقط ميتًا بسبب الرائحة.

يسقط الكتاب من يد وكيل الأعمال ويهبط على السجادة، ثم ترتفع
يده الأخرى وقد ضمَّ أصابعها كالمخالب ليضعها في شعره.

- «بحق العذراء مريم! خيرٌ لك ألا تقول لي إن لديك أخًا على قيد
الحياة».

ربما، غالبًا، نعم، لديّ. لقد رأيته على متن حافلة ذات مرّة قبل
أسبوعين تقريبًا من وفاة موظفة التحريّات الاجتماعيّة.

يُثبّت وكيل الأعمال نظراته الناريّة عليّ في الفراش وقد تساقط عليّ
فتات الخبز ويقول:

- «كلا. أنت لم ترَ أحدًا».

- اسمه آدم برانسن.

يهز رأسه ويقول:

- «كلا».

- آدم اتّصل بي في بيتي وهدّد بقتلي.

- «لا أحد هدّدك بالقتل».

- بل فعل. آدم برانسن يجوب البلاد ويقتل النّاجين ليأخذنا جميعًا
إلى الجنّة، أو ليبيّن للعالم وحدة الكريديش، أو لينتقم ممن فضح أمر
التبشير والسُّخرة أيّا كان، لا أدري.

- «هل تفهم معنى غضبة الجماهير؟ هل تعرف ما ستكون قيمتك إذا
عرف الناس أنك لست النّاجي الوحيد من جماعة الموت الأسطوريّة
الشريرة؟ ماذا لو قبض على أخيك هذا وقال الحقيقة عن طائفتم؟
سوف ينسف كلّ شيءٍ قاله فريق الكتابة للعالم عن طفولتك ونشأتك».

يسألني: ما الذي سيحدث عندها؟

- لا أدري.

- «عندها ستكون لا شيء، مجرد كذاب شهير آخر، وسيكرهك العالم كله».

يصرخ:

- «هل تعرف كم سنة ستقضيها في السجن لقيامك بالاحتيال على المجتمع؟ وإساءة التمثيل؟ والدعاية الزائفة؟ والشهير؟».

ثم يقترب مني جدًا ويهمس:

- «هل أحتاج لأن أخبرك بأن السجن يجعل سدوم وعمورة كمينابوليس وسانت بول بالمقارنة؟».

يرفع الكتاب من على الأرض ويُغلفه بجريدة اليوم ويقول لي ما أعرفه ولا أعرف غيره. يقول إنني ليس لديّ أخ، يقول إنني لم أر هذا الكتاب ولم أر أخي قط، إنني حزين على موت موظفة التحريات الاجتماعية، إنني أفتقد عائلتي الميتة، إنني أحببت موظفة التحريات الاجتماعية كثيرًا وممتن إلى الأبد لكل المساعدة والتوجيه اللذين قدّمتهما لي، إنني أدعو الله كل لحظة ألا تكون عائلتي الميتة تحترق في الجحيم. يقول إنني مستاء من مهاجمة الشرطة الدائمة لي لأنهم أكثر كسلًا من محاولة البحث عن قاتل موظفة التحريات الاجتماعية الحقيقي. يقول إنني ضيّقت ذرعًا بكل هذا الكلام عن الموت والمآسي، إنني أريد مواصلة حياتي في سلام فحسب.

يقول إنني أثق وأعتز بالإرشاد الذي أتلقاه كل يوم من وكيل أعمالني العظيم، يقول إنني ممتن له من أعماق قلبي.

وقبل أن تدخل خادمة الغرف لتنظيف الجناح يقول إنه سيضع الكتاب في فزامة الورق في الحال.

- «والآن ارفع مؤخرتك من على الفراش يا جوال الخراء الكسول، وتذكّر كل ما قلته لك الآن لأنك ستعيده على مسامع الشرطة قريبًا».

من المرحاضين على جانبيّ أسمع أنينيًا وأنفاسًا ثقيلة لا أدري إن كان مصدرها الجنس أم التبرُّز. المرحاض الذي أجلس عليه فيه فتحتان على الجانبين، لكنني لا أجرؤ على النظر.

لا أدري إن كانت فرتيليتي قد جاءت أم لا.

إذا كانت موجودة وتجلس صامتةً إلى أن تنفرد بي فسوف أتوسّل إليها كي تُعطيني معجزتي الكبيرة.

إلى جوار الفتحة على يميني كُتب: أجلس هنا مکتبًا جريحا، لم أخرج إلا ربحًا.

إلى جوار هذا كُتب: هذه قصّة حياتي.

إلى جوار الفتحة على يساري كُتب: هل تريد أن أستمنيك؟

إلى جوار هذا كُتب: قَبْل مؤخّرتي.

إلى جوار هذا كُتب: بكلّ سرور.

هذا مطار نيو أورلينز، وهو المطار الأقرب لستاد سوبردوم حيث سيقام نهائي دوري كرة القدم غدًا، وحيث سيُعقد قراني.

والوقت يجري...

خارج الحمّامات تنتظرني حاشيتي وعروسي الجديدة منذ أكثر من ساعتين بينما أشعر بأنني جالسٌ هنا منذ قرون، حتى إن أحشائي على وشك السقوط من مؤخّرتي. سروالي متكوّم حول كاحليّ، وغلاف مقعد المرحاض الورقي يتشرّب الماء من المرحاض نفسه ليبلّل جلدي

العاري. رائحة فضلات الناس تُفعم الهواء وأستنشقها رغماً عني مع كل نفسٍ ألتقطه.

تسمع صوت السيْفون يُشد في مرحاضٍ تلو الآخر، لكن مع كل رجلٍ يخرج يدخل رجل جديد.

على الحائط كُتب: تعرف كيف تنتهي الحياة وأفلام الپورنو، لكن الفارق الوحيد أن الحياة تبدأ ببلوغ الذروة.

إلى جوار هذا كُتب: بلوغ النهاية هو الجزء المشير.

إلى جوار هذا كُتب: يروقني هذا التأمل.

إلى جوار هذا كُتب: رائحة الخراء تملأ الجو.

يُشد السيْفون في آخر مرحاض، يغسل الرجل الأخير يديه، وتخرج خطوات الأقدام الأخيرة من الباب.

أهمس إلى الفتحة على يساري: فرتيليتي، أنت هنا؟

أهمس إلى الفتحة على يميني: فرتيليتي، أهذه أنت؟

لا شيء هناك إلا خوفاً من دخول رجلٍ آخر يجلس ليقراً الجريدة ويُفرغ بقايا آخر وجبة تناولها في المرحاض.

ثم من الفتحة على يميني يأتيني صوتها قائلاً:

- «أكره أنك وصفتني بالعاهرة على شاشة التليفزيون».

أقول همساً إنني آسف، إنني كنت أقرأ من النص الذي كتبوه لي فقط.

- «أعرف».

وأعرف أنها تعرف.

يقول الفم الأحمر من داخل الثقب:

- «أتصلت وأنا أعرف أنك ستخونني، ولم تكن للإرادة الحرة علاقة

بالأمر. أنت مجرد بيدق أحركه».

أقول لها: شكرًا.

أسمع خطوات أقدامٍ تدخل حَمَّام الرجال، وأيًا كان الداخل فإنه ينتقي
المرحاض الواقع على يساري بالذات ليدخله.
أهمس إلى الفتحة على يميني إننا لا نستطيع الكلام الآن، ثمَّة أحد
هنا.

يقول الفم الأحمر:

- «لا بأس. إنه الأخ الأكبر فقط».

- أي أخ أكبر؟

- «أخوك، آدم برانسن».

ومن الفتحة على يساري تدخل ماسورة مسدّس، ويقول صوت
-صوت رجل- في هدوء:

- «مرحبًا بأخي الصغير».

المسدّس الخارج من الفتحة يتحرّك مصوَّبًا إلى كلِّ شيءٍ لا يراه
حامله، قدميَّ وصدري ورأسي وباب الحَمَّام.
إلى جوار ماسورة كُتِب: مُصَّ هذا.

تقول فرتيليتي:

- «لن يقتلك، لا تقلق. أنا أعرف هذا».

ويقول آدم:

- «لا أراك، لكن معي ست طلقات، وواحدة منها ستصيبك لا شك».

- «لن تقتل أحدًا». يقولها الفم الأحمر للمسدّس الأسود، كلاهما

يتبادل الحديث الآن عبر حجري العاري. «أخوك كان في شقّتي طوال
ليلة أمس يُصوَّب المسدّس إلى رأسي، وكل ما فعله هو إفساد تصفية
شعري».

يقول المسدّس:

- «اصمتي».

فيقول الفم:

- «ليست هناك طلاقات في المسدّس».

فيقول المسدّس:

- «اصمتي!».

يقول لي الفم:

- «حلمت بك مرّة أخرى ليلة أمس. أعرف ما فعلوه بك وأنت طفل،
وأعرف أنه كان شنيعاً، وأفهم سبب خوفك من الجنس».

فأهمس أن لا شيء حدث لي.

فيقول المسدّس:

- «حاولت منع ما سيحدث، لكن مجرد فكرة ما كان الكبار سيفعلونه
بكم أيها الأطفال أصابتني بالغثيان».

فأهمس أن الأمر لم يكن بذلك السوء.

يقول الفم:

- «رايتك تبكي في حلمي. كنت مجرد ولدٍ صغير في المرّة الأولى،
ولم تتصوّر ما كان على وشك الحدوث».

فأهمس أنني وضعت كل هذا ورائي. إنني داعية ديني شهير الآن.

فيقول المسدّس:

- «لم تضع ورائك شيئاً».

- بل فعلت.

- «لماذا لم تمارس الجنس مرّة واحدة حتى الآن إذن؟».

- سوف أتزوَّج غداً.

- «لكنك لن تنام معها».

فأقول إنها فتاة حسناء جذابة جدًا.

فيقول الفم:

- «لكنك لن تنام معها، لن تدخل بها كزوجتك».

يقول المسدّس للفم:

- «هذا ما فعلته الكنيسة مع كلّ تندر وكلّ بيدي كي لا تصبح لديهم

رغبة في ممارسة الجنس في العالم الخارجي».

فيقول الفم للمسدّس:

- «متهى الساديّة».

بمناسبة الزواج، أقول لفرتيليتي، فإنني بحاجة إلى أكبر معجزة ممكنة

لديك، فيجيبني الفم:

- «بل تحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك. أثناء زفافك غدًا سيسقط وكيل

أعمالك ميتًا. ستحتاج إلى معجزة كبيرة ومحام بارع».

لا أجد أن فكرة موت وكيل الأعمال تُزعجني كثيرًا.

يقول الفم:

- «ستكون المشتبه به الأول لدى الشرطة».

- لكن لماذا؟

- «هناك زجاجة من العطر الجديد الذي يحمل اسمك، Truth،

وسوف يختنق حتى الموت عندما يتشمّمه».

ويضيف المسدّس:

- «إنه مُبيض مخلوط بالأمونيا في الحقيقة».

أسأله: تمامًا كما حدث مع موظفة التحريات الاجتماعية؟

فيجيبني الفم:

- «لهذا السبب ستَّهَمك الشُّرطة بقتله».

أقول: لكن أخي هو من قتل موظفة التحريّات الاجتماعيّة.
فيقول المسدّس:

- «لم أنكر هذا لحظة، كما أنني سرقت دليل الاضطرابات النّفسيّة
وملفّاتها».

ويضيف الفم:

- «وهو من ربّ كلّ شيءٍ بحيث يختنق وكيل أعمالك حتى الموت».

يقول المسدّس للفم:

- «أخبريه بأفضل جزء».

- «صرت أراك في أحلامي كثيرًا وقد شكّنت الشُّرطة في مسؤوليتك
عن مقتل جميع النّاجين الذين لم يتتحرروا».

- جميع الكيريدش الذين قتلهم آدم.

فيقول المسدّس في ثقة:

- «بالضبط».

- «تعتقد الشُّرطة أنك قتلتهم كي تشتهر. بين عشية وضحاها تحوّلت
من خادم منازل بدين قبيح إلى قائد ديني، وغدًا سيتهمونك بأنك أنجح
قاتل متسلسل في تاريخ البلاد».

يُعلّق الفم:

- «لعل (النجاح) ليس الكلمة المناسبة هنا».

أقول إنني لم أكن بدينًا إلى ذلك الحد.

فيقول المسدّس:

- «كم كان وزنك؟ قلّ بصراحة».

كُتب على الحائط: اليوم أسوأ أيام ما تبقي من حياتك.

يقول الفم:

- «كنت بديناً، كنت بديناً».

أسأل أخي: لِمَ لا تقتلني الآن إذن؟ لِمَ لا تضع بضع طلاقاتٍ في مسدّسك وتُطلق عليّ النار؟

- «المسدّس محشو بالفعل».

وتتحركّ الماسورة لتشير إلى وجهي وركبتيّ وقدميّ وفم فرتيليتي التي تقول:

- «لا، ليس معك أي طلاقات».

- «بل معي».

- «فلتُشِبّ هذا إذن. أطلق عليه النار الآن. هلمّ، أطلق عليه النار، الآن».

فأقول له ألا يُطلق عليّ النار.

- «ليس لديّ مزاج الآن».

- «كاذب!».

- «ربما أردت أن أقتله منذ زمن طويل، لكن كلما اشتهر أكثر الآن كلما كان أفضل. لهذا السبب قتلت موظّفة التحريّات الاجتماعيّة ودمّرت ملفّه لديها، لهذا السبب جهّزت زجاجة غاز الكلورين السخيفة كي يتشمّمها وكيل أعماله».

أقول إن ما كُتِب عن اضطراباتي العقليّة وانحرافاتي في ملفّات موظّفة التحريّات الاجتماعيّة كان زائفاً كله.

مكتوب على الحائط: فلتُفرغ أمعاءك أو ترحل.

يقول الفم:

- «لا يهم من يقتل وكيل أعمالك، فالشرطة سوف تكون على خط الـ 50 ياردة للقبض عليك بتهمة القتل الجماعي بمجرد أن تخرج من مجال الكاميرات».

ويقول المسدّس:

- «لكن لا تخف، فسكون هناك لإنقاذك».

- إنقاذي؟

يقول الفم الأحمر:

- «فقط أعطهم المعجزة التي ينتظرونها، وستكون هناك بضع دقائق من الفوضى الشاملة تسمح لك بمغادرة الستاد».

- فوضى؟

يقول المسدّس:

- «ستجدنا في سيّارة».

ويقول الفم:

- «سيّارة حمراء».

فيقول المسدّس:

- «وكيف عرفت؟ إننا لم نسرقها بعد».

- «أنا أعرف كلّ شيء. سوف نسرق سيّارة حمراء ذات ناقل سرعات

أوتوماتيكي لأنني لا أجيد قيادة اليدوي».

- «ليكن إذن، سيّارة حمراء».

- «حسن».

لا أشعر بأيّ نوع من الحماس لكُلّ هذا، وأقول لها أن تُعطيني المعجزة

فحسب.

وتُعطيني فرتيلتي المعجزة، أكبر معجزة في حياتي على الإطلاق.

وهي على حق، سوف تكون هناك فوضى.

في الحقيقة، سوف تفتح أبواب الجحيم عن آخرها.

في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي لا يزال وكيل الأعمال حيًّا.
لا يزال وكيل الأعمال حيًّا في الحادية عشرة وعشر دقائق وفي الحادية
عشرة والرّبع.

لا يزال وكيل الأعمال حيًّا في الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة
إلا ربعًا.

وفي الثانية عشرة إلا عشر دقائق تُقلُّني منسّقة المناسبات من الفندق
إلى الستاد.

وجود الجميع حولنا طوال الوقت، من منسّقين ومندوبين ومديرين،
يجعل من الصعب عليّ طبعًا أن أسأل وكيل الأعمال إن كان قد أحضر
معه زجاجة من عطر Truth ومتى يتوي أن يتشمّمها، ولا أستطيع كذلك
أن أطلب منه ألا يتشمّم أيّ عطور اليوم، أن أقول له إنه سم لا عطرًا، إن
الأخ الذي ليس أخي ولم أره قط قد وصل بشكل ما إلى أمتعته ونصّب له
شَرَكًا مميّتا. كلما رأيت وكيل الأعمال، وكلما توارى عن نظري ليدخل
الحمّام أو خلافه، أجدني أدير ظهري للحظة، فقد تكون هذه هي المرّة
الأخيرة التي أراه فيها.

ليست المسألة أنني مُغرّم به إلى هذا الحد، بل ويمكنني بسهولة أن
أتخيّل نفسي في جنازته وما سارتديه وأقوله في تأبينه. أتخيّل نفسي
أضحك، ثم أرقص التانجو الأرجنتيني مع فرتيليتي عند قبره.

لكني لا أريد أن أحاكمُ بتهمة القتل الجماعي.
وأيًا كان ما أذكره عن العطور الآن فسوف تُردّده الحاشية للشرطة إذا
وجدوه مختنقًا حتى الموت.

الساعة الرابعة والنصف ونحن في منطقة الكواليس في الستاد ومعنا
الطاولات القابلة للطّي والطعام المجهّز والملابس المستأجرة. بذلات
السهرة معلّقة مع فستان الزفاف على مشاجب، ووكيل الأعمال لا يزال
حيًا ويسألني عن المعجزة الكبيرة التي أنوي الإفصاح عنها بين الشوطين.

لا أفصح له عن شيء، لكنه يريد أن يعرف، أهي كبيرة فعلاً؟
هي كبيرة، كبيرة بما يكفي لجعل كلِّ رجلٍ في هذا الستاد يرغب في
أن يوسعني ضربًا.

يرمقني بنظرة حائرة وقد رفع أحد حاجبيه.

حقًا، المعجزة كبيرة إلى درجةٍ كفيّلة بجعل الموقف يحتاج إلى كلِّ
شُرطي في هذه المدينة لمنع جماهير الستاد من قتلي. طبعًا لا أقول هذا
لوكيل الأعمال، ولا ألمّح له حتى بأن هذه هي الفكرة. سوف تنشغل
الشرطة تمامًا بمحاولة الحفاظ على حياتي ولن تتمكّن من القبض عليّ
بتهمة القتل. هذا الجزء أيضًا لا أقوله له.

الساعة الخامسة ولا يزال وكيل الأعمال حيًا بينما يضعونني في بذلةٍ
بيضاء ذات ربطة عنق بيضاء. يأتيني قاضي الصلح ليقول لي إن كلَّ شيءٍ
تحت السيطرة، كل ما عليّ فعله هو الشهيق والزفير.

تأتيني العروس بفستان الزفاف وهي تدهن إصبع الخاتم بالفازلين
وتقول إن اسمها لورا.

لكن مهلاً... هذه ليست الفتاة التي كانت معنا في الليموزين!
تقول إن من كانت معنا اسمها تريشا، لكنها أصيبت بوعكة، ومن ثم

ستحل لورا -بديلتها الجاهزة- محلها. لا داعي للقلق، سوف أتزوِّج تريشا نفسها رسمياً رغم كلِّ شيءٍ على الرغم من عدم وجودها هنا، فهي لا تزال الفتاة التي يريدونها وكيل الأعمال. تقول لورا إن الكاميرات لن تلاحظ أيَّ اختلافٍ لأنها سترتدي طرحتها.

البعض يأكل من الأصناف التي أحضرها متعهَّد الطعام، وبالقرب من الأبواب الفولاذية التي تُفتَح على الخطوط الجانبية يستعد منسَّقو الزهور لإخراج المذبح إلى ملعب كرة القدم، بما عليه من شمعدانات وتعريشة مغطاة بزهور بيضاء مصنوعة من الحرير. هناك أيضًا ورد بلدي وزهور فاوانيا وبازلاء حلوة بيضاء وستوك صناعية، كلها لزج بفعل سبراي الشعر الذي رشوها به كي تظل صلبة. الباقة الضخمة التي ستحملها العروس تتكوَّن من زهور الجلادبولي والداليا والتوليب الحريرية، بالإضافة إلى ذيل طويل من أوراق العسلية الحريرية البيضاء.

المشهد كله يبدو جميلاً حقيقياً إذا وقفت على مبعده كافية منه.

تقول فنانة الماكياج إن أضواء الملعب ساطعة للغاية، وتضع كمية ضخمة من الأحمر على شفتي.

في تمام السادسة تبدأ المباراة النهائية بين فريقَي الكاردينالز من أريزونا والكولتس من إنديانابوليس.

النتيجة بعد خمس دقائق من الربع الأول من المباراة 0-6 لصالح الكولتس، ووكيل الأعمال ما زال حيًّا. بالقرب من الأبواب الفولاذية التي تُفتَح على الملعب، يقف فتیان المذبح ووصيفات العروس اللاتي ارتدين فساتين ذات تصميمٍ ملائكي يتبادلون عبارات الغزل والسجائر.

الكولتس على خط الـ40 ياردة، ومنسَّقة المناسبات تُعطيني موجزاً بفعاليات شهر العسل، الذي سأقضيه في جولةٍ بين سبع عشرة مدينة

للترويج للكُتُب والألعاب والتمثال المصغَّر. تأسس ديانتنا الكبرى الخاصة ليس خارج الصورة، ويتم حالياً التجهيز لجولة عالمية طالما تخلَّصنا من السؤال المزعج عن ممارستي الجنس. تتضمن الخطة رحلاتٍ إلى أوروبا واليابان والصين وأستراليا وسنغافورة وجنوب إفريقيا والأرجنتين وغينيا الجديدة والجزر العذراء البريطانية، ثم أعود إلى الولايات المتحدة في الوقت المناسب لرؤية طفلي الأول.

فقط كي لا يكون هناك مجال للتخمين، تقول منسقة المناسبات، فقد سمح وكيل الأعمال لنفسه بتولي مسألة التأكد من أن زوجتي ستضع طفلنا الأول في موعد عودتي من الجولة التي ستدوم تسعة شهور. يتطلب التخطيط على المدى الطويل أن تُنجب زوجتي ستة أو سبعة أطفال. عائلة كيريدشيّة نموذجية.

تقول منسقة المناسبات إنني لن أضطر لرفع إصبع واحد. بالنسبة لي سيكون هذا حملاً بلا جماع.

تقول فنانة الماكياج إن أضواء الملعب ساطعة للغاية، وتضع كمّية ضخمة من الأحمر على وجتيّ.

بعد نهاية رُبع المباراة الأول يأتي إليّ وكيل الأعمال ليجعلني أوقع بعض الأوراق. يقول إنها وثائق لاقتسام الأرباح. الطرف المعروف باسم تندر برانسن (والمشار إليه هنا بصفته الضحية) يمنح الطرف المشار إليه هنا بصفته وكيل الأعمال حق استلام وتوزيع جميع الأموال المدفوعة لمؤسسة تندر برانسن للإعلام والتجارة، بما في ذلك (ودون الاقتصار على) مبيعات الكُتُب والمواد المذاعة والأعمال الفنية والظهور الإعلامي بأنواعه ومستحضرات التجميل، العطور الرجالية على وجه التحديد. وُقِع هنا، هنا، وهنا.

أحدهم يُبَّتْ وردة بيضاء بدبوس إلى طيَّة صدر سترتي، وآخر على ركبتيه يُلْمَعُ حذائي، وفنانة الماكياج تخلط بعض الأشياء.

يملك وكيل الأعمال الآن حقوق ملكيَّة صورتي واسمي.

إنها نهاية الرُّبْع الأول من المباراة والنتيجة التعادل 7-7 ووكيل الأعمال ما زال حيًّا.

يحقنني المدرَّب الشخصي بـ10 ستيمر مكعب من الأدرينالين ليضيف بعض اللمعة إلى عينيِّ.

تقول منسِّقة المناسبات إن كلَّ ما عليَّ فعله هو أن أمشي إلى خط الـ50 ياردة حيث سيتم الزفاف في منتصف الملعب، وستدخل العروس من الجانب المواجه. سنقف جميعًا على منصَّة مرَّبة من الصناديق الخشبيَّة التي تُخفي تحتها خمسة آلاف يمامة بيضاء، وبالنسبة للمراسم فقد تم تسجيل أصواتها بالفعل في ستوديو، وهذا ما سيسمعه الجمهور. لن أُلْفِظ كلمة واحدة إذن إلى أن يحين موعد النبوءة.

عندما أضغط بقدمي على زرِّ متوارٍ تحتها ستنتقل اليمامات من ألقاصها. تحرَّك، تكلم، اليمام. هذا كلُّ شيء.

يُعلِنُ مسؤول الملابس أننا يجب أن نستخدم مِسْدَ البطن كي نحصل على الشكل المطلوب لي، ويقول لي أن أسرع وأخلع ملابسني أمام الجميع، الملائكة والطاقم ومتعهدي الطعام ومنسقي الزهور ووكيل الأعمال، الآن. اخلع كل شيء باستثناء الجوارب والملابس الداخليَّة، الآن. يقف مسؤول الملابس بألة تعذيب محاكم التفتيش المكوَّنة من المطَّاط والأسلاك التي يُسمونها مِسْدَ بطن، ويقول لي إن هذه فرصتي الأخيرة لإفراغ مثانتي قبل الساعات الثلاث التالية، ويقول وكيل الأعمال:

- «لم تكن لتضطر لارتداء هذا الوحش لو استطعت الحفاظ على وزنك».

مرّت أربع دقائق من الرّبع الثاني من المباراة ولا أحد يستطيع العثور على خاتم الزفاف.

يلوم وكيل الأعمال منسّقة المناسبات التي تلوم مسؤول الملابس الذي يلوم مدير المنصّة الذي يلوم الجواهري الذي كان من المفترض أن يتبرّع بخاتمٍ مقابل وضع إعلانٍ له على المنطاد الذي يدور حول الستاد، وبالخارج يدور المنطاد في السماء عارضًا اسم الجواهري بحروفٍ لامعة، وبالداخل يُهدّد وكيل الأعمال بمقاضاته لمخالفته شروط العقد ويحاول الاتّصال بالمنطاد باللاسلكي.

تقول منسّقة المناسبات أن نتظاهر بالباس الخاتم. سيجعلون الكاميرات تدور من زاوية تُظهر مني ومن العروس رأسينا وأكتافنا فقط، وستتظاهر عندها بأنني أضع الخاتم في إصبع تريشا.

تقول العروس إنها ليست تريشا، وتقول منسّقة المناسبات:

- «وتذكّر، حرّك فمك بالكلمات فقط ولا تنطقها، فكلُّ شيءٍ مسجّل مسبقًا».

مرّت تسع دقائق من الرّبع الثاني من المباراة، ووكيل الأعمال حي ويصرخ على الهاتف:

- «أسقطوه! اقطعوا عنه الكهرباء! أعطوني مسدّسًا وأسقطه بنفسه! أريد أن يهبط هذا المنطاد اللعين!».

تقول منسّقة المناسبات إن ذلك غير ممكن، فبمجرّد أن يخرج الزفاف من الستاد سيُلقي طاقم المنطاد خمسة عشر ألف رطلٍ من الأرز على المرآب الخارجي.

يشير لي مدير المنصّة أن أتحرّك معه، فقد حان وقت اتّخاذ كلِّ منا مكانه.

الكولتس والكاردينالز يتصادمون في الملعب والنتيجة 17-20،
والحشود تصرخ مطالبةً بالمزيد من كرة القدم.

يتحرّك الملائكة مع المذبح ذي الزهور الحريرية والشمعدانات
المشتعلة واليمامات الحبيسة.

مِشد البطن يعتصر أعضائي الداخلية داخل حَلقي.

العد التنازلي للشوط الثاني يجري ولا يزال وكيل الأعمال حيًّا،
وأستطيع التقاط أنفاسي بصعوبة.

يتحرّك مدرب اللياقة البدنية إلى جوارى قائلاً: خُذ، سيضيف هذا
بعض اللون إلى وجنتي، ويضع زجاجة صغيرة تحت أنفي ويطلب مني
أن أستنشِق بقوة.

الجماهير تضرب بأقدامها وعقارب الساعة تطارد بعضها البعض
ونتيجة المباراة متقاربة للغاية، وأستنشِق.

والآن من فتحة أنفك الأخرى، فأستنشِق.

ثم يختفي كلُّ شيء من أمام عيني، وباستثناء طنين الدم وهو يندفع في
عروقي إلى أذني وخفقات قلبي الذي يرتطم بمِشد البطن، لا أعني شيئًا.
لا تخف شراً، لا تر شراً، لا تسمع شراً، لا تحس شراً.

من على بُعدٍ تشير لي منسّقة المناسبات أن أخرج على النجيل
الصناعي. تشير إلى الخط الأبيض في منتصف الملعب، ثم إلى الواقفين
على منصّة الزفاف المغطّاة بالزهور البيضاء.

يخفت طنين الدم إلى أن أسمع صوت موسيقا، وأخرج إلى الملعب
مارًا بمنسّقة المناسبات حيث الآلاف الذين يهتفون. تُدوي الموسيقا لا
أدري من أين، ويدور المنطاد في السماء قائلاً: «أطيب الأمانى من عائلة
منتجات فيليب موريس».

تصل العروس -لورا أو تريشا أو أيا كانت- من الجانب المواجه،
ودون أن يفتح فمه يقول قاضي الصُّلح:

- «هل تقبل يا تندر برانسن أن تكون تريشا كونرز زوجتك لترعاها
وتتناسل معها لأكبر عددٍ ممكن من المرَّات ما حييتما؟».

يمكنك أن تسمع صدى مئات السَّماعات في الملعب.

دون أن أفتح فمي أقول:

- «أقبل».

ودون أن يفتح فمه يقول قاضي الصُّلح:

- «هل تقبلين يا تريشا كونرز أن يكون تندر برانسن زوجك ما
حييتما؟».

ويقول فم لورا دون صوت:

- «أقبل».

وأمام الكاميرات المسلَّطة علينا نتظاهر بوضع الخاتمين.

ونتظاهر بتبادل القبلة الأولى.

ظَلَّت الطَّرحة في مكانها على وجهها، وظَلَّت لورا تريشا، ومن على
مسافة بعيدة بدا كلُّ شيءٍ رائعًا.

خارج مجال الكاميرا بدأ رجال الشُّرطة دخول الملعب، فلا بُد أن
وكيل الأعمال مات إذن. العطر. غاز الكلورين.

رجال الشُّرطة على خط الـ10 ياردة.

أطلب الميكروفون من قاضي الصُّلح من أجل النبوءة، المعجزة.

رجال الشُّرطة على خط الـ20 ياردة.

يُعطيني الميكروفون، لكنه لا يعمل.

رجال الشرطة على خط الـ25 ياردة.

أقول: اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

رجال الشرطة على خط الـ30 ياردة، والأصفاة مفتوحة وجاهزة لتزيين

معصمي.

ويعمل الميكروفون ويخرج صوتي هادراً من السماعات العملاقة.

رجال الشرطة على خط الـ35 ياردة، ويقولون إن لدي الحق في التزام

الصمت...

... وإذا اخترت التخلي عن هذا الحق، فسوف يُستخدم أي شيء

تقوله ضدك في المحكمة.

وأختار التخلي عن هذا الحق...

وألقي النبوءة.

رجال الشرطة على خط الـ40 ياردة.

ويتردد صوتي عبر الستاد وأنا أقول:

- «نتيجة مباراة اليوم النهائية 27 للكولتس و24 للكاردينالز. سيفوز

الكولتس بالدوري بفارق ثلاثة أهداف».

وتنفتح أبواب الجحيم عن آخرها.

الأدهى الآن أن المحرك الثاني انطفأ للتو. أخاطبكم من قمرة القيادة

على متن الرحلة 2039 وقد تبقى معي محركان اثنان فقط.

كي تفعل المطلوب بشكل سليم، عليك أن تأخذ ورقة من الورق البرتقالي المُصَفَّر وتطويه حول ورقة أخرى من الورق الأبيض، ثم تضع القسيمة داخل الورق المطوي، وتُثَبَّت عددًا من الطوابع التجارية بطول الأوراق المطوية من الخارج، ثم تطوي ورقة أخرى من ورق الخطابات حول كل هذا، وتضع كل شيء داخل مطروف. ألصق عنوان المرسل إليه على المطروف، وبهذا تكون قد جئيت ثلاثة سنتات. افعل هذا ثلاثًا وثلاثين مرّة وتكون قد جئيت دولارًا تقريبًا.

المكان الذي نحن فيه الليلة كان فكرة آدم برانسن.

يقول الخطاب الذي أطويه: «هل تحمل المياه التي تدخل منزل آل ويلسون معها طفيليات خطيرة؟».

المكان الذي نحن فيه من المفترض أن يكون آمنًا.

الورق البرتقالي المُصَفَّر حول الورق الأبيض، القسيمة بالداخل، الطوابع، ورق الخطابات، كل شيء في المطروف، وأقترب من الهرب بمقدار ثلاثة سنتات.

«هل تحمل المياه التي تدخل منزل آل كاميرون معها طفيليات خطيرة؟».

يجلس ثلاثتنا -آدم وفرتيليتي وأنا- حول المائدة في غرفة الطعام نحشو المظاريف بهذه الأشياء، وفي العاشرة توصل مدبرة المنزل الباب

الأمامي، وتوقّف في طريق عودتها إلى المطبخ لتسأل إن كانت ابنتنا أفضل الآن. هل قال الأطباء جديدًا عن حالتها؟ هل ستعيش؟
تجيب فرتيليتي وما زال هناك بعض الأرز في شعرها:
- «لم تنته مرحلة الخطر بعد».

طبعًا ليست لدينا ابنة، لكنها فكرة آدم برانسن.
حولنا التشكيكة المعتادة من ثلاث أو أربع عائلات، آباء وأبناء يتكلّمون عن السرطان والعلاج الكيماوي والحروق والترقيع الجلدي والعدوى البكتيريّة.

تسألنا مدبّرة المنزل عن اسم ابنتنا فتبادل نحن الثلاثة النظرات، فرتيليتي وقد أخرجت لسانها لتلعق غطاء المظروف، وأنا وقد أخذت أرمق آدم كأنني أنظر في مرآة تعرض لي صورتي كما كانت قبلاً.
ثم يقول ثلاثتنا في آنٍ واحدٍ ثلاثة أسماء مختلفة.
تقول فرتيليتي: أماندا.

ويقول آدم: پاتي.

وأقول: لورا.

وتتداخل الأسماء الثلاثة معًا.

ابنتنا...

تنظر إليّ مدبّرة المنزل وقد ارتدت بقايا بذلتي البيضاء المحترقة، وتساءل عن سبب وجود ابنتنا الصغيرة في المستشفى للعلاج، فيقول ثلاثتنا في آنٍ واحدٍ ثلاثة أسباب مختلفة.

تقول فرتيليتي: انحراف العمود الفقري.

ويقول آدم: شلل الأطفال.

وأقول: السُّل.

تُراقِبنا مدبَّرة المنزل ونحن نطوي الورق، الأبيض داخل البرتقالي المُصفر، القسيمة، الطوابع، ورق الخطابات، ثم تعود عينها إلى الأصفاد حول معصمي.

«هل تحمل المياه التي تدخل منزل آل ديكسن معها طفيليات خطيرة؟».

كان آدم هو من جاء بنا إلى هنا، لليلةٍ واحدةٍ فقط على حدِّ تعبيره، وسنكون في أمانٍ هنا. الآن وقد أصبحتُ قاتلاً جماعياً، فأدم يعرف كيف نبدأ الرحلة شمالاً في الصباح حتى نصل إلى كندا، لكننا نحتاج الليلة مكاناً يمكننا الاختباء فيه وطعاماً وبعض النقود، وهكذا جاء بنا إلى هنا.

كان هذا بعد الستاد وبعد أن مرَّقت الحشود خطوط سُرطة مكافحة الشغب إرباً، بعد خدعة زواجي والعثور على وكيل الأعمال ميتاً وكفاح رجال السُّرطة للحفاظ على حياتي كي يعدمونني بعد ذلك. لقد صبَّ ستاد سوپر دوم محتوياته كلها على أرض الملعب لحظة أن أعلنت فوز الكولتس، ومع أن نصف الأصفاد كان قد انغلق على معصمي بالفعل، إلا أن السُّرطة لم تكن إلا ريشة في مهب ريح السَّكاري الذين انهمروا على الملعب من كلِّ جهة، وفي مكانٍ ما كانت الفرقة الموسيقيَّة تعزف السلام الوطني الأمريكي.

من كلِّ حدبٍ وصوبٍ انقضَّت الجماهير على أرض الملعب. كانوا يُلوِّحون بقبضاتهم المضمومة وهم ينطلقون نحونا على النجيل. كاردينالز أريزونا ما زالوا يرتدون ملابس اللعب، وكولتس إنديانا بوليس عند مقاعدهم يتبادلون التحيَّات والتنهاني.

في اللحظة التي بلغ فيها رجال السُّرطة منصَّة الزفاف، ضغطتُ الزر الخفي لتطير خمسة آلاف يمامة مكوَّنة حائطاً صلباً حولي، فتعيق اليمامات

الشُّرطة لفترةٍ كانت كافية لوصول الحشود الغاضبة إلى منتصف الملعب،
فيقاوم رجال الشُّرطة الجماهير بينما أختطف أنا باقة زهور العروس.

أثناء وجودي هنا وقيامي بحشو المظاريف أريد أن أحكي للجميع
عن هروبي الكبير، عن قنابل الغاز المسيل للدموع التي ألقتها شُرطة
مكافحة الشغب وتطايرت فوق الرؤوس، عن زئير الجماهير الذي دَوَّى
تحت قبة الستاد، عن اختطافي للباقة ذات الزهور البيضاء الحريرية من
العروس التي أغرقت الدموع وجهها، وعن الباقة الغارقة بسراي الشعر
التي أشعلتها بلهب شمعة مشتعلة، فتحوّلت إلى مشعل يمكنني أن أبعث
به من يهاجمني.

حاملاً المشعل المصنوع من زهور الجلادبولي الصناعيّة والأسلاك
الساخنة أمامي، وثبُّتُ من منصّة الزفاف وحاربتُ لأشق طريقي عبر
ملعب كرة القدم. خط الـ50 ياردة، خط الـ40 ياردة، خط الـ30 ياردة.
أرتدي بذلتي البيضاء وأراوغ وأندفع، أعدو وأدور. خط الـ20 ياردة. كي
لا يُعرقلني أحد أخذتُ ألُوْح بزهور الداليا المحترقة من جانبٍ إلى جانبٍ
أمامي. خط الـ10 ياردة.

عشرة آلاف مشجّع يطاردونني ويبغون تحويلي إلى عجّين.
بعضهم ثمل، بعضهم محترف، لكن لا أحد منهم تدور محرّكاته
بالكيمياويّات عالية الجودة التي تعاطيتها.

تمتد الأيدي للإمساك بذيل السترة الأبيض.

ينقض الرجال على قدمي.

المنشّطات هي ما أنقذ حياتي.

ثم تسجيل الهدف.

أعبرُ أسفل المرمى متّجهاً إلى الأبواب الفولاذيّة التي ستُخرّجني من
الملعب.

شُعلتي الآن عبارة عن بضع أوراق صغيرة محترقة، ألقها وراء كتفي قبل أن أحشر نفسي بين الأبواب الفولاذية المزدوجة وأوصدها من الداخل.

جمهور المباراة النهائية يقرع الأبواب الموصدة بكل ما لديه من عنف، لكني آمن هنا لبضع دقائق أقضيها وحدي مع الطعام وفنانة الماكياج. جثة وكيل الأعمال مغطاة بملاءة بيضاء وموضوعة على محفة إلى جوار البوفيه، الذي يتكوّن غالبًا من ساندويتشات الديك الرومي والمياه المعدنية والفواكه الطازجة وسلطة الباستا، بالإضافة إلى كعكة الزفاف. تلتهم فنانة الماكياج ساندويتشًا من الديك الرومي، وتومئ برأسها صوب وكيل الأعمال الميت وتغمغم أنني أبلت بلاءً حسنًا، فلطالما كانت تمقت الرغد.

تسألني وهي ترتدي ساعته الرولكس الذهبية الثقيلة:

- «هل تريد ساندويتشًا؟».

أسألها إن كانت هناك أصناف أخرى بخلاف الديك الرومي، فتناولني زجاجة من المياه المعدنية وتقول إن بذلتي تحترق من الخلف.

أسألها: كيف أخرج؟

تقول:

- «أخرج من هذا الباب».

الأبواب الفولاذية ورائي تكاد تنهار تحت ضغط الجمهور الغاضب.

تقول:

- «اقطع الرواق الطويل إلى نهايته، ثم انعطف يمينًا واخرج من باب

الخروج».

أشكرها، فتقول إن هناك ساندويتش لحم إذا كنت أريده.

أحمل الساندويتش في يدي وأخرج من الباب الذي أشارت له، ثم أقطع الرواق إلى نهايته وأخرج من باب الخروج.

في المرآب بالخارج هناك سيّارة حمراء ذات ناقل سرعات أوتوماتيكي، فرتيليتي جالسة وراء عجلة القيادة وآدم إلى جوارها. أجلس في المقعد الخلفي وأوصد الباب، وأقول لفرتيليتي أن ترفع نافذتها وهي تعبت بأزرار الراديو.

ورائي تنهمر الحشود من أبواب الخروج لمحاصرتنا، وجوههم تقترب منا بشدّة حتى أنني أشعر ببصاقهم على وجهي بالفعل. ثم تأتينا المعجزة الأكبر من السماء. يبدأ المطر في الهطول، مطر أبيض. مَنْ من الجنة، أقسم لك.

يهطل المطر أملس ثقيلًا فيجعل الحشود تنزلق وتتعثر وتسقط أرضًا. ترتطم القطرات البيضاء بالسيّارة وتدخل من النوافذ لتُغطّي المقاعد والأرض وشعورنا.

يتطلّع آدم في انبهار إلى أعجوبة هذا المطر الأبيض الذي نزل فجأة كي يُنقذنا، ويغمغم أنها معجزة، لكن فرتيليتي تقول وهي تنطلق بالسيّارة: - «لا، إنه أرز أيها العبقري».

يدور المنطاد في السماء قائلاً: «تهانينا وشهر عسلٍ سعيدًا». تقول فرتيليتي:

- «ليتهم لم يفعلوا هذا. الأرز يقتل الطيور».

فأقول لها إن الأرز الذي يقتل الطيور أنقذ حياتنا.

أصبحنا في الشارع، وبعد قليل أصبحنا على الطريق السريع.

يلتفت آدم من المقعد الأمامي ويسألني:

- «هل ستأكل هذا الساندويتش كله؟».

فأقول: طبعًا، إنه ساندويتش لحم.

يقول آدم إننا يجب أن نتجه شمالًا. إنه يعرف كيف نجد توصيلة، لكنها لن تغادر نيو أورلينز حتى الصباح التالي. لقد قضى عشر سنواتٍ يجوب البلاد جيئةً وذهابًا في السِرِّ دون أيِّ نقود.

تجوبها قاتلاً الناس، أقول.

بل أسلمهم لله، يرد.

اخرسا، تنهرنا فرتيليتي.

يقول لنا آدم إننا بحاجةٍ إلى بعض النقود وطعامٍ ومكانٍ ننام فيه، وهو يعرف أين نجد بعضًا من كلِّ هذا، يعرف مكانًا فيه أناسٌ لديهم مشاكل أكبر من مشكلتنا، وكل ما علينا هو أن نكذب قليلًا.

يقول لنا آدم:

- «من الآن فصاعدًا لديكما طفلة».

- لا، ليس لدينا.

- «وظفلتكما مريضة جدًا».

- لا، ليست كذلك.

- «أنتما في نيو أورلينز كي تدخل طفلكما المستشفى. هذا كل ما عليكم قوله».

ويقول إنه سوف يتولَّى الباقي، ثم يقول لفرتيليتي أن تعطف من هنا.

- «والآن انعظفي من هنا، ثم يسارًا بعد شارعين».

المكان الذي يأخذنا إليه يمكننا قضاء الليل فيه مجانًا، ويمكننا تناول

بعض الطعام الذي سيتبرّع به أحدهم، كما يمكننا القيام ببعض العمل -ترتيب الوثائق أو حشو المظاريف- كي نجني بعض المال. يمكننا الاستحمام ومُشاهدة أنفسنا في نشرة الأخبار المسائيّة ونحن نهرب. يقول آدم إنني أبدو في صورة مزريّة ستجعل من الصعب أن يتعرّف عليّ أحد بصفتي القاتل الجماعي الذي أفسد نهائي دوري كرة القدم. المكان الذي سنذهب إليه، يقول، فيه أناس لديهم مشاكلهم الخاصّة.

تقول فرتيليتي:

- «كم شخصًا يجب أن تقتل كي تترقى من قاتلٍ متسلسل إلى قاتلٍ جماعي؟».

يقول لنا آدم:

- «انتظرا في السيّارة وسأدخل لأجسّ النبض. فقط تذكّرا أن طفلتكما مريضة للغاية».

ثم يقول إننا وصلنا، وتنظر فرتيليتي إلى المنزل ثم إلى آدم وتقول:

- «أنت المريض للغاية فعلاً».

- «بل أنا الأب الروحي للطفلة المسكينة».

وأقرأ اللافتة في الفناء الأمامي التي تقول: «جمعية رونالد مكدونالد الخيريّة».

تخيّل أنك تعيش في منزلٍ واحد، لكن المنزل ينتقل إلى بلدةٍ مختلفة في كلِّ يوم.

كان آدم يعرف ثلاثة سُبُل للخروج من نيو أورلينز. كان قد أخذنا إلى موقفٍ للشاحنات على أطراف المدينة وقال أن نختار. المطارات مراقبة، محطات القطارات والحافلات شرحه، ولا يمكن لثلاثتنا السفر بالأوتوستوب، كما أن فرتيليتي رفضت القيادة طوال الطريق إلى كندا. - «أكره القيادة إلى أقصى حد، بالإضافة إلى أن طريقة أخيك للتنقل أمتع كثيرًا».

في اليوم التالي، بعد قضائنا الليل في جمعية رونالد مكدونالد الخيرية، نقف على أرض المرآب المفروشة بالحصى خارج مقهى موقف الشاحنات، ويُخرج آدم مدية من جيبه الخلفي ويفتح النصل سائلًا: - «ما اختياركما إذن؟».

كان آدم قد دخل المقهى وتكلّم مع سائقي الشاحنات. لا أحد هنا متجهًا إلى الشمال مباشرة، ويجب أن نختار واحدةً من هذه، يقول، ويشير إلى ثلاثتها.

هناك منزل من طراز وستبري متجه غربًا على الطريق السريع 10 إلى هيوستن.

هناك منزل من طراز پلانتيشن متجه إلى الشمال الشرقي على الطريق السريع 55 إلى چاكسون.

هناك منزل من طراز سپرينجهيل متجه إلى الشمال الغربي إلى بوسير سيتي على الطريق السريع 49، متوقفاً في ألكزاندريا وپاينهيل أولاً، ثم غرباً على الطريق السريع 20 إلى دالاس.

ما أتكلّم عنه هنا هو المنازل سابقة التجهيز، تلك التي تُقسّم إلى أنصاف أو أثلاث وتوضع على الشاحنات لتُنقل إلى حيث سيتم تجميعها وتركيبها. الجزء المفتوح من كلّ وحدة مغطى بالبلاستيك نصف الشفّاف، وبالداخل الأشكال المشوّشة للأرائك والسرائر والسجّاد الملفوف والأجهزة الكهربیّة والموائد والمقاعد.

بينما كان آدم يُثرثر مع سائقي الشاحنات داخل المقهى ليعرف وجهة كلّ منهم، كانت فرتيليتي معي في الحّمّام تصبغ شعري الأشقر باللون الأسود في الحوض وتغسل اللون البرونزي الزائف عن يديّ ووجهي. كنا قد حشونا ما يكفي من المظاريف لشراء ثياب لي من متجرٍ للملابس المستعملة، بالإضافة إلى بعض الدجاج المحمّر الذي جاءت معه مناديل ورقیّة وبعض سلّطة الكولسلو.

يقف ثلاثتنا في المرآب ويُلوّح آدم بالمديّة قائلاً:

- «اختار بسرعة، فلن يبقى الرجال الذين ينقلون هذه المنازل الجميلة لتناول طعامهم طوال الليل».

يقول آدم إن معظم السائقين الذين يقطعون مسافاتٍ طويلة يقودون شاحناتهم طوال الليل، فالطريق يكون أقلّ ازدحاماً وحرارة الجو ألطف، وخلال النهار الساخن المزدحم يركنون الشاحنات وينامون في الصناديق الملحقة بكابينة كلّ شاحنة.

تسأل فرتيليتي:

- «وما الفارق الذي سيصنعه الاختيار؟».

فيجيب آدم:

- «الفارق في مستوى الراحة».

هكذا كان آدم يقطع البلاد من مكانٍ إلى آخر طوال الأعوام العشرة الماضية.

المنزل الذي من طراز وستبري فيه غرفة طعام رسمية التصميم ومدفأة مركّبة في غرفة المعيشة.

المنزل الذي من طراز پلانتيشن فيه خزانات ملابس واسعة ورُكن لتناول الإفطار.

المنزل الذي من طراز سپرينجهيل فيه چاكوزي في الحَمَّام الفاخر، والحَمَّام الفاخر فيه حوضين وجدار من المرايا. غرفة المعيشة وغرفة النوم الرئيسة بكلّ منهما كوّة لدخول الضوء الطبيعي.

كل هذا يعتمد على أيّ نصفٍ تدخل. أكرّر أن هذه أجزاء من منازل، منازل مُفكّكة.

قد يكون الجزء الذي تدخله عبارة عن عُرف نوم بالكامل أو مطبخ وحَمَّام فقط دون عُرف نوم، وقد تكون هناك ثلاثة حَمَّامات ولا شيء آخر، أو لا حَمَّامات على الإطلاق.

لا الأضواء ولا السباكة تعمل بالمناسبة.

مهما كانت وسائل الترف التي تحصل عليها، سوف يظل شيء ما ناقصًا. مهما اخترت بعناية، فلن تشعر بالرضا التام أبدًا.

نختار المنزل الذي من طراز سپرينجهيل، ويستخدم آدم مديته لفتح البلاستيك الذي يُغطّي الجانب المفتوح من أسفل. يفتح مساحة قدمين فقط بما يكفي لإدخال رأسه وكتفيه، ومن الداخل يخرج الهواء ساخنًا جافًا.

يزحف آدم إلى الداخل حتى خصره، ويقول عبر البلاستيك نصف الشَّفَاف وقد تدلَّت مؤخَّرته وساقاه خارجًا:

- «الجدران مطلَّية بأزرق زهرة الدُّرة، ولدينا غرفة معيشة نموذجية، والمطبخ به ميكروويف، وهناك ثُرَيًّا مصنوعة من البلاستيك الشَّفَاف تعلق مائدة الطعام».

يجذب آدم جسده كله إلى الداخل، ثم يبرز رأسه الأشقر من فتحة البلاستيك مبتسمًا وهو يقول:

- «أسرة كبيرة من طراز كاليفورنيا، طاولة مطبخ من الخشب الحبيبي، خزانة أوروبية التصميم، وستائر عموديَّة للنوافذ. اختيار ممتاز للمنزل الذي سنبدأ به».

ثم تزحف فرتيليتي وأنا بعدها عبر الغلاف البلاستيكي.

تمامًا كما بدا داخل المنزل من الخارج - أشكال الأثاث والألوان - ضبابيًّا مُبهما، فهكذا يبدو العالم الخارجي، العالم الحقيقي، من داخل البلاستيك الآن، مشوشًا وغير حقيقي. تضاء مصابيح موقف الشاحنات النيون في الخارج فتبدو معتمة ملطَّخة، بينما تضعف ضوءاء الطريق السريع وتنتكم بعض الشيء.

يميل آدم حاملًا شريطًا لاصقًا يسد به الفتحة التي دخلنا منها من الداخل ويقول:

- «لم نعد نحتاجها. عندما نصل إلى وجهتنا سنخرج من الباب الأمامي أو الخلفي كأبيِّ أحد».

السجَّاد الطويل ملفوف وموضوع عند أحد الجدران في انتظار بقية المنزل كي يتم تركيبه؛ والأثاث وحشايا الفراش مغطَّاة بالبلاستيك المضاد للأتربة، وخزانات المطبخ مُغلَّقة وموصدة.

تُجرب فرتيليتي تشغيل ثريًا غرفة الطعام، لكنها لا تعمل بالطبع.
يقول آدم:

- «ولا تستخدم المرحاض كذلك، وإلا قضينا بقية الرحلة مع فضلاتكما إلى أن نصل».

تومض مصابيح النيون من موقف الشاحنات وأعمدة النور على الطريق السريع عبر أبواب غرفة الطعام فرنسية التصميم، بينما نجلس حول المائدة ذات القشرة المصنوعة من خشب القيقب لأكل دجاجنا المحمّر.

هذا الجزء من منزلنا المفكك فيه غرفة نوم واحدة، بالإضافة إلى غرفة المعيشة والمطبخ وغرفة الطعام ونصف حمام.

إذا قطعنا الطريق كله إلى دالاس، يقول آدم، فيمكننا الانتقال إلى منزل آخر يقطع طريق الولايات 35 إلى أوكلاهوما، ثم يمكننا اللحاق بأحد المنازل التي تقطع الطريق نفسه إلى كانساس، ثم شمالاً على طريق الولايات 135 في كانساس ومنه غرباً إلى طريق الولايات 70 إلى دنفر، وفي كولورادو سنلحق بمنزلٍ متّجه إلى الشمال الغربي على طريق الولايات 76 حتى يلتقي بطريق الولايات 80 في نبراسكا.

نبراسكا؟

ينظر آدم إليّ ويقول بضم مليء بالدجاج نصف الممضوغ:
- «نعم، أرضنا القديمة أنا وأنت».

لماذا نبراسكا؟

يقول وهو ينظر إلى فرتيليتي التي تنظر إلى طعامها:

- «كي نصل إلى كندا سنسلك طريق الولايات 80 إلى طريق الولايات 29 عبر حدود الولاية في أيوا، ثم نواصل الطريق شمالاً على هذا الطريق مروراً بساووث داكوتا ونورث داكوتا وحتى كندا».

- «إلى كندا مباشرة». تقولها فرتيليتي وتُعطيني ابتسامة تبدو مفتعلةً لأن فرتيليتي لا تبسّم أبدًا.

عندما نتبادل تحية المساء تنام فرتيليتي على حشية الفراش في غرفة النوم، بينما يأخذ آدم قطعة من الأريكة القابلة لللفك والتركيب المصنوعة من المخمل الأزرق، ويجعله منظره هذا يبدو ميتًا في تابوت.

لفترةٍ طويلةٍ أستلقي على ظهري مستيقظًا أتساءل عن حيوات من تركتهم خلفي؛ ترثور أخو فرتيليتي، موظفة التحريات الاجتماعية، وكيل الأعمال، عائلتي التي ماتت كلها... أو مات معظمها.

يغط آدم في نومه، وعلى مقربةٍ تدب الحياة في محرّك الشاحنة.

أسائل نفسي عن كندا وإن كان الهرب سيحل أيّ شيء. أستلقي هنا في أزرق زهرة الذرة المُظلم وأتساءل إن كان الهرب علاجًا لعلاجٍ لعلاجٍ لعلاجٍ لمشكلةٍ لا أذكرها.

يرتعد المنزل كله، تتأرجح الثُريا، تهتز أوراق السراخس الحريّة في سلالها المجدولة، تترنّح الستائر على النوافذ، ثم يسود الصمت.

يبدأ العالم في الحركة وراء الغلاف البلاستيكي وبيتعد سريعًا سريعًا حتى يختفي تمامًا.

وأغيب في النوم.

إنه يومنا الثاني على الطريق، وأشعر بأن شفتيّ باهتتان مصفرتان وعضلاتي أقل تناسقًا. لا يمكنني أن أعيش حياتي بشعرٍ أسود. أريد بعض الوقت - دقيقة واحدة فقط، ثلاثين ثانية فقط - في دائرة الضوء.

مهما حاولت إخفاء هذا بكلّ قوتي، فإنني - شيئًا فشيئًا - بدأت أنهار. نحن في دالاس، تكساس، نُفكر أن نستقلّ نصف منزلٍ من طراز ويلمنجتن ذي طاولة مطبخ مغطّاة بالقرميد الأملس وشطّاف في الحمّام الرئيس. ليست هناك غرفة نوم رئيسة، لكن هناك غرفة غسيل بها توصيلات الغسّالة والمجفّف. بالطبع لا توجد كهرباء أو ماء أو هاتف. أدوات المطبخ بلون اللوز وليست هناك مدفأة، لكن غرفة الطعام بها ستائر طويلة تصل إلى الأرض.

كان هذا بعد أن استعرضنا عددًا من المنازل أكبر من أن أتذكّره؛ منازل بها مدافع تعمل بالغاز، منازل بها أثاث ذو تصميمٍ فرنسي ريفي، وطاولات قهوة كبيرة مغطّاة بالزجاج، وكشّافات إضاءة.

الغروب أحمر ذهبي في أفق تكساس، ونحن واقفون في مرآب خارج محطة شاحنات خارج دالاس. أردت منزلًا به غرفة نوم منفصلة لكلّ منا لكن بلا مطبخ، وأراد آدم منزلًا به غرفتي نومٍ فقط ومطبخٍ لكن بلا حمّام. الوقت يشارف على النفاذ، الشمس على وشك الغياب تمامًا، والسائقون يستعدّون للقيادة طوال الليل.

بشرتي باردة وتتصبّب عرقًا، وجسمي كله - حتى جذور شعري

الشقراء- يؤلمني. في منتصف أرضية المرآب المفروشة بالحصى بدأت
أمارس تمارين الضغط، ثم انقلبت على ظهري وبدأت تمارين البطن
كأنني مصاب بالتشنجات.

كانت الدهون قد بدأت تتجمّع تحت جلدي بالفعل، وعضلات بطني
بدأت تختفي، أما عضلات الذراعين والكتفين فبدأت تتهدّل. أريد بعض
السّمنة، أريد بعض الوقت في الشمس.

خمس دقائق فقط، أتوسّل لأدم وفرتيليتي، قبل أن نخرُج على الطريق
مرّة أخرى. خمس دقائق فقط في سرير اكتساب السّمنة.
يقول آدم:

- « هذا غير ممكن يا أخي الصغير. لا بُد أن الـFBI تراقب كلّ صالة
ألعاب رياضية وكلّ صالون تجميل ومتجر للأطعمة الصحيّة في الغرب
الأوسط كله».

بعد يومين فقط كنت قد ضيّقت ذرعًا بالطعام المحمّر اللعين الذي
يقدمونه في مواقف الشاحنات. أريد الكرّفس، أريد البازلاء الصينية
والألياف والشوفان والأرز البنيّ ومُدِرّات البول.

تقول فرتيليتي لأدم:

- «لقد بدأ ما حدثتكَ عنه. يجب أن نحبسه في مكانٍ ما في الحال. إنه
يعاني من أعراض الانسحاب من الانتباه الذي كان يحصل عليه».

دفعني الاثنان في خشونة داخل منزلٍ من طراز ميسون دو إيجانس
بينما كان السائق يُشغّل محرّك الشاحنة بالفعل، ثم دفعاني داخل غرفة
النوم في المؤخّرة وليس فيها إلا حشية فراشٍ عارية وتسريحة عملاقة
على طراز دول البحر الأبيض المتوسّط تحمل مرآة كبيرة. كنت أسمعهما
خارج الغرفة يُكوّمان. قطع الأثاث -أرائك قابلة للفك والتركيب،
طاولات صغيرة، مصابيح مصمّمة على شكل زجاجات نبيذ قديمة،

كراسٍ طويلة- أمام الباب كي لا أستطيع الخروج.

تمر تكساس سريعًا خارج نافذة غرفة النوم، وفي الغسق تمر لافتة تقول: «أوكلاهوما سيتي، 250 ميلًا».

ترتج الغرفة كلها، والجدران مغطاة بورق حائط عليه أشكال زهور صفراء صغيرة تهتز بسرعة كبيرة تصيبني بالغثيان. أينما تحركت في غرفة النوم هذه أرى نفسي في المرأة الكبيرة.

تعود بشرتي إلى لونها الأبيض التقليدي في غياب الأشعة فوق البنفسجية التي أحتاجها. لعله خيالي فقط، لكن أشعر بحشو أحد أسناني وقد تخلخل، فأحاول ألا أصاب بالهلع.

أمزق قميصي وأفحص جسدي بحثًا عمًا به من تلفيات. أقف بشكل جانبي أمام المرأة وأشد بطني إلى الداخل. أحتاج إلى حقنة من الدورأتستون حاليًا، أو الأنافار، أو الديكا-ديورابولين. لون شعري الجديد يجعلني أبدو كأني مغسول. لم تنجح الجراحة الأخيرة التي أجريت على جفني، وعليه بدأت الانتفاخات تحت العينين في الظهور بالفعل. أدور لأرى إن كان هناك شعر ينمو على ظهري.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أمامك إصلاحات على الطريق».

آخر ما دهنته من كريم السُمرة الذي أستخدمه متكئًا في أطراف عيني والتجاعيد حول فمي وعبر جبهتي.

أحاول أن أغفو، وأمزقُ خيوط غلاف حشية الفراش بأظفاري.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «النقل الثقيل يلزم اليمين».

طَرقة على الباب، وتقول فرتيليتي عبره وعبر الأثاث المكوّم:

- «معي ساندويتش تشيز برجر إذا كنت تريده».

فأصبح في سخط:

- «لا أريد تشيز برجر لعينًا مليئًا بالدهون!».

تقول فرتيليتي:

- «يجب أن تتناول السُّكَّر والدهون والملح كي تعود إلى طبيعتك.
هذا في صالحك».

فأصبح بأني أريد علاجًا بالشمع لجسمي كله، أريد كريمًا للشعر.
وأدق على الباب بعنف...

أريد ساعتين في الساونا، أريد تسلُّق ثلاثمئة طابق على ماكينة السلالم
الكهربائية.

تقول فرتيليتي:

- «كل ما تحتاجه هو بعض الصبر وستكون بخير».

إنها تقتلني:

- «إننا ننقذ حياتك».

إنني أحتجز الماء داخل جسمي، كتفاي تتهدَّلان، الانتفاخات تحت
عينيَّ تحتاج إلى كونسيلر، أسناني تتحرَّك من مكانها. أريد عمليَّات
التجميل. أين متخصص التغذية؟ اتَّصلوا بطبيب الأمراض الجلديَّة.
عضلات ساقيَّ تضمّر. سأعطيكم أيَّ شيء تريدون. سأعطيكم نقودًا.
تقول فرتيليتي إنني لا أملك أيَّ نقود.

- إنني شهير.

- «أنت مطلوب في جريمة قتل جماعي».

- يجب أن يُحضِر إليَّ أحدهما بعض مُدِرَّات البول.

تقول فرتيليتي:

- «عندما نتوقَّف المرَّة القادمة سأحضر لك ساندويتشًا بلا دهون».

- هذا لا يكفي.

- «هذا أكثر مما تحصل عليه في السجن».

دعونا نعيد التفكير في هذا، أقول، ففي السجن ستكون هناك معدات لرفع الأثقال، سأقضي وقتًا لا بأس به في الشمس، ولا بُد أن لديهم ألواحًا لممارسة تمارين الضغط والبطن، ولربما يمكنني تدبير بعض الوينستروال من السوق السوداء. فقط أخرجوني من هنا، أتوسّل، افتحوا الباب.

- «ليس قبل أن تستعيد عقلك».

- أريد دخول السجن!

- «لديهم الكرسي الكهربائي في السجن».

- سوف أخاطر.

- «لكنهم قد يقتلونك».

- لا بأس. كل ما أريده هو أن أكون محور الاهتمام لمرة واحدة أخيرة.

- «ادخل السجن وستكون محور الاهتمام كله».

- أريد مرطبًا للبشرة، أريد أن تُلْتَقَطَ صوري. أنا لست كالناس

العاديين، وكى أو اصل الحياة لا بُد من الظهور الإعلامي المستمر. أريد أن أكون في بيتي الطبيعيّة، على شاشة التلفزيون. أريد أن أكون حُرًّا، أَوْقِعْ كُتُبِي.

تقول فرتيليتي عبر الباب:

- «سأتركك وحدك بعض الوقت. يجب أن تستريح».

- كم أمقت كوني فانيًا!

- «فكّر في الأمر كله كأنه أحداث مسرحيّة (سيدتي الجميلة) أو

(بجماليون)، لكن بالعكس».

عندما أفيق مرّة أخرى، أجدني مُصابًا بالدُّوار وفرتيليتي تجلس على حافة الفراش تُدلك ذراعِيّ وصدرِي بنوعٍ رخيصٍ من مُرطَّب البشرة، وتقول:

- «مرحبًا. كدنا نحسب أنك لن تعود».

أين نحن؟

تنظر حولها وتجيب:

- «نحن في منزلٍ من طراز ماپلوود شاتو. المطبخ مغطّى بالمشمّع، وأرضية الحمّامَيْن بالقائيل، والجدران مطلية بالأزرق المخضر».

لا، أهمس، أعني أين نحن على الخريطة؟

- «أعرف ما تعنيه».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أمامك منعطف».

الغرفة التي نحن فيها مختلفة عمّا أذكره. ورق الحائط عليه أفيال راقصة، الفراش الذي أرقد عليه به مظلةٌ تسدل منها ستائر من الدانتيل الأبيض مصنوعة بالماكينه ومربوطة بشرائط من الساتان الوردية، وثمّة ستائر بيضاء ذات فتحات تهوية تُغطّي النوافذ، وانعكاسي وفرتيليتي يتجلّى من مرآةٍ على شكل قلبٍ على الحائط.

أسأل عمّا حدث للميسون دو إليجانس.

- «كان هذا منذ منزلين. إننا في كانساس الآن، في نصف منزل ماپلوود شاتو بأربع عُرف نوم. إنه أفضل أنواع المنازل مسبقه التجهيز».

- حَقًّا؟

تقول وهي تُملِّس على الغطاء الذي تدرَّتْ به:

- «آدم يقول إنه الأفضل على الإطلاق. ألوان الملاءات متناسقة مع الجدران، وهناك أطباق في خزانة غرفة الطعام تتماشى مع لون الأريكة والمقاعد الموف في غرفة المعيشة، بل إن المناشف في الحمام لونها موف أيضًا. لكن لا يوجد حمَّام، ليس في هذا النصف على الأقل، لكنني متأكِّدة من أن لونه موف أيضًا».

أسألها عن آدم.

- «نائم».

- وليس قلقًا عليَّ؟

- «لقد أخبرته بأن كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام في النهاية، وهو سعيد للغاية في الحقيقة».

ترقص ستائر الفراش وتتأرجح مع حركة المنزل على متن الشاحنة.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «قيادة آمنة».

أكره أن فرتيليتي تعرف كلَّ شيءٍ.

تقول فرتيليتي:

- «أعرف أنك تكره أنني أعرف كلَّ شيءٍ».

أسألها إن كانت تعرف أنني قتلت أباها.

بهذه البساطة تخرُج مني الحقيقة، اعترافي الكامل على فراش الموت.

- «أعرف أنك تكلمت معه ليلة موته، لكن ترفور انتحر».

وأني لم أكن عشيقه الشاذ.

- «أعرف هذا أيضًا».

وأنتي صاحب الصوت الذي أرادت ممارسة الجنس معه على الهاتف.

- «أعرف».

تفرك بعض المرطّب بين يديها وتُدلك كنفّي به قائلة:

- «لقد أتصل ترثور بخطك الساخن لأنه كان يبحث عن مفاجأة، ووجودي معك للسبب نفسه».

بعينين مغلقتين أسألها إن كانت تعرف كيف سينتهي كلُّ هذا.

- «على المدى القريب أم البعيد؟».

- الاثنين.

- «على المدى البعيد سنموت جميعاً ثم تتعفن أجسادنا، لا مفاجأة هنالك. على المدى القريب سنعيش في تباتٍ ونبات».

- حقاً؟

- «حقاً، فدع عنك القلق».

أرمق نفسي والعمر يتقدّم بي في المرأة ذات شكل القلب.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «لا داعي للسرعة المفرطة».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «السرعة مراقبة بالرادار».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «لسلامتك شغل الأنوار ليلاً».

- «هلا استرخيت إذن وتركت الأشياء تحدث؟».

أسألها: هل تعني الأشياء كالكوارث والألم والبؤس والتعاسة؟ أترك كلُّ هذا يحدث فحسب؟

- «والبهجة، والسكينة، والسعادة، والقناعة». وتسرد أسماء أجنحة

ضريح كولومبيا التذكاري كلها. «إنك لست مضطراً للتحكّم في كلِّ شيء، ولا يمكنك التحكّم في كلِّ شيء».

- لكن يمكنك أن تستعد لوقوع الكوارث.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «اربط حزام الأمان».

تقول فرتيبيتي:

- «إذا ظللت تُقلِق نفسك بالكوارث، فهي ما سيحدث لك بالضبط».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «احذر الصخور المتساقطة».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أمامك منحني خطر».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «الطريق يكون زلِقًا عندما يبتل».

خارج النافذة تقترب نبراسكا مع كلِّ دقيقة تمر.

العالم كله كارثة تنتظر الحدوث.

تقول فرتيبيتي:

- «أريدك أن تعرف أنني لن أكون موجودة طوال الوقت، لكنني

سأجِدك دائمًا».

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «أوكلاهوما، 25 ميلًا».

تقول فرتيبيتي:

- «مهما حدث، مهما فعلت أو فعل أخوك، فهو الشيء الصحيح».

تقول فرتيبيتي:

- «يجب أن تثق بي».

أقول لها إنني أريد بلسمًا للشفاه، إن شفتيّ متشققتان.

تمر خارج النافذة لافتة تقول: «استسلم».

تقول فرتيبيتي:

- «ليكن. لقد سامحتك على خطاياك. إذا كان هذا سيساعدك بعض

للشيء، سأحضر لك بلسم الشفاه».

طبعًا فقدنا فرتيليتي في موقفٍ للشاحنات خارج دنفر، كولورادو. حتى أنا توقعت أن يحدث هذا. ما حدث أنها تسللت خارج الشاحنة لتشتري لي بلسم الشفاه بينما يُفرغ السائق مئاته. كنت وآدم مستغربين في النوم عندما سمعنا صرختها. وطبعًا هي التي خطّطت لكل ما حدث.

في الظلام، وفي نور القمر المتسرّب عبر النوافذ، أمشي متعثّرًا في قطع الأثاث إلى حيث كان آدم قد فتح البابين الأماميين على مصراعيهما. إننا نبتعد عن موقف الشاحنات، وتزداد سرعتنا إذ يتحرّك السائق بالشاحنة على الطريق السريع، وفرتيليتي تعدو وراءنا. ذراعها مفرودة عن آخرها وأنبوب بلسم الشفاه الصغير في يدها. شعرها الأحمر يُرفرف خلفها، وقدمها تصفعان الأسفلت.

يمد آدم يده لإنقاذها ويتمسك بإطار الباب باليد الأخرى.

يرتج المنزل في عنفٍ وتسقط طاولة ذات سطح من الرخام وتتدحرج مرورًا بآدم وإلى خارج الباب، وتتفادها فرتيليتي لتتحطم على أرض الطريق.

يصيح آدم:

- «أمسكي يدي!».

يهتز كرسي من غرفة الطعام ويسقط عبر الباب ليتحطم بدوره. وقد كاد يُصيب فرتيليتي، لكنها تصرخ:

- «لا!».

كلماتها تكاد تذوب في قلب زئير المحرّك وهي تقول له أن يأخذ منها أنبوب البلسم.

- «لا! سوف نفقز. يجب أن نبقي معاً».

- «لا! خذه، إنه يحتاجه».

- «إنه يحتاجك أنتِ أكثر».

النوافذ التي فتحتها تمتص الهواء امتصاصاً إلى الداخل. الوسائد المطرّزة تطير من على الأريكة وتشب من الباب الأمامي حول آدم، تطير نحو فرتيليتي وتضربها في وجهها وتكاد تجعلها تتعثر. التابلوهات في إطاراتها - صور لنباتاتٍ على قدرٍ من الذّوق وصورٍ لخيولٍ سبق - تطير من على الحائط وتنفجر إلى آلافٍ من شظايا الزجاج والخشب والفن.

أريد أن أساعد، لكنني ضعيف. لقد فقدت الكثير جداً من الاهتمام خلال الأيام القليلة الماضية وأستطيع الوقوف بصعوبة. معدّلات السُّكر في دمي لا بُد أنها فلكيّة، ولا أستطيع إلا المشاهدة إذ تبتعد فرتيليتي عنا أكثر ويخاطر آدم بخروج جزءٍ أكبر من جسده في الهواء أكثر فأكثر.

تنقلب الزهور الحريريّة، ومن الباب تُبحر في الهواء ورود حريريّة حمراء وزهور السوسن وإبرة الراعي وتُرفرف حول فرتيليتي. بذور الخشخاش - رمز النسيان - تقع على الطريق فتكاد تُسقطها، وتقذف الرياح زهور برتقالٍ وأوركيد زائفة، وزهور أنفاس الرضيع وزنابق بيضاء عند قدمي فرتيليتي.

تقول فرتيليتي:

- «لا تقفز!».

تقول:

- «سوف أجدكما. أعرف أين ستكونان».

لجزءٍ من الثانية تكاد تنجح وتتلامس أصابعهما، تكاد تبلغ يد آدم، وعندما يحاول جذبها إلى الداخل تنفلت أصابعهما...

... إلا قليلاً؛ فقط الجزء من الثانية الذي سمَّح لها بوضع أنبوب بلسم الشفاه في يده.

ثم تسقط فرتيليتي في غياهب الظلام والماضي وراءنا.

رَحَلت فرتيليتي، ولا بُد أننا نتحرَّك بسرعة 60 ميلاً في الساعة. يستدير آدم ويُلقي بالأنبوب في وجهي بقوة جعلته يرتد عن حائطي الشاحنة مرَّتين، ويقول مزمجرًا:

- «أتمنى أن تكون سعيدًا الآن. أتمنى أن تُشفى شفتاك».

تُفتَح خزانة الآنية الصيني في غرفة الطعام، ومنها تسقط أطباق وسُلطانيَّات وصوانٍ وكؤوس وأكواب وتتدحرج عبر الباب الأمامي، ويتحطَّم كل هذا على الطريق تاركًا وراءنا أثرًا طويلًا يلمع في ضوء القمر.

لا أحد يركض وراءنا، ويصارع آدم تليفزيونًا بشاشة شبه رقميَّة ينزلق نحو الباب. بصرخةٍ يقذفه نحو الباب، ثم يقذف أريكة صغيرة من المخمل، ثم البيانو الصغير، وينفجر كل شيء وهو يصدم الأرض.

ثم ينظر إليّ...

ضعيفًا غيبًا يائسًا أحبو على الأرض بحثًا عن بلسم الشفاه.

مُكشَّرًا عن أنيابه وشعره يطير وراء رأسه يقول:

- «أجدر بي أن أرميك أنت من هذا الباب».

ثم تمر لافتة تقول: «نبراسكا، 98 ميلًا».

ثم ترحف ابتسامة مثيرة للتوجُّس إلى وجه آدم ببطء، ويمشي مترنِّحًا إلى الباب الأمامي المفتوح، ويهتف ورياح الليل تعوي حوله.

يهتف:

- «فرتيليتي هوليس!».

يهتف:

- «شكرًا لك!».

للظلام ورائنا، للعتمة والشظايا والحُطام ورائنا يهتف آدم:

- «لن أنسى كلَّ ما قلتِ إنه يجب أن يحدث!».

في الليلة السابقة لعودتنا إلى الديار أحكي لأخي الأكبر كلَّ شيءٍ
أذكره عن مقاطعة الكنيسة الكيريدشِيَّة.

في مستعمرة الكنيسة كنا نُربِّي كلَّ شيءٍ نأكله، القمح والبيض
والخِراف والماشية. أذكر أننا كنا نُعنى ببساتينٍ بديعة ونصيد أسماك
سلمون قوس القزح اللامعة من النهر.

نجلس في الشُّرفة الخلفيَّة لمنزلٍ من طراز كاسا كاستيل يشق ليل
نبراسكا بسرعة ستين ميلاً في الساعة على طريق الولايات 80. هذا الطراز
من المنازل به شمعدانات من الزجاج البلُّوري المنقوش على كلِّ جدار،
وأحواضٍ ومراحيض مذهَّبة في الحَمَّامات، لكن دون مياهٍ أو كهرباء
بالطبع. كل شيءٍ جميل الشكل، لكن لا شيءٍ يعمل.
يقول آدم:

- «لا كهرباء أو مياه جارية، تمامًا كما كنا طفلين».

نجلس في الشُّرفة الخلفيَّة وقد تدلَّت أقدامنا على الحافة والأسفلت
يهرع تحتنا وعدام الديزل كربه الرائحة الخارج من الشاحنة يُفعم الهواء
حولنا.

في الكنيسة الكيريدشِيَّة، أقول لأدم، عاش الناس حياة بسيطة مُثمرة.
كنا قوماً ملتزمين نُحافظ على كرامتنا، هواؤنا نظيف وماؤنا نظيف، أيامنا
ذات فائدة وليالينا مُطلقة. هذا ما أذكره.

ولهذا لا أريد أن أعود.

لن نجد شيئاً هناك إلا مقبرة تندر برانسن القومية لدفن المواد الحساسة. لا أريد أن أرى سنيماً من الپورنو جرافي جاءت من جميع أرجاء البلاد كي تتعفن هنا رأي العين. كان وكيل الأعمال قد أراني إيصالات الاستلام. أطنان من الپورنو تملأ شاحناتٍ عن آخرها، شاحناتٍ ومقطوراتٍ تعج بسُخام الأمة تجيء كلَّ شهرٍ كي تدفنها الجرّافات على عمق ثلاثة أقدامٍ على امتداد العشرين ألف فدان.

لا أريد أن أرى ذلك المنظر، ولا أريد لأدم أن يراه، لكنه ما زال يحمل المسدّس، وفرتيليتي ليست معي هنا كي تُخبرني إن كان محشواً فعلاً أم لا. هذا بالإضافة إلى أنني اعتدت تماماً أن يقول لي الآخرون ماذا أفعل، أين أذهب، كيف أتصرف.

وظيفتي الجديدة إذن هي أن أتبع آدم.

وهكذا سنعود إلى مقاطعة الكنيسة. في جراندي آيلاند، يقول آدم، سوف نسرق سيارة، وسنبليغ الوادي مع شروق الشمس كما يتوقع. إنها مسألة ساعاتٍ فقط، ومع فجر الأحد سنكون قد عدنا إلى الديار. يقول آدم وكلانا يرمق الظلمة وراءنا وكلّ ما فقدناه حتى الآن:

- «ماذا تذكر أيضاً؟».

- كلُّ شيءٍ في مقاطعة الكنيسة كانت نظيفةً طوال الوقت، الطُّرُق ممهّدة، الصيف طويل معتدل الحرارة والمطر ينزل كلَّ عشرة أيام. أذكر أن الشتاء كان هادئاً صافياً. أذكر تنقية بذور زهور القطيفة وعبّاد الشمس. أذكر تكسير الحطب.

يسألني آدم:

- «هل تذكر زوجتي؟».

- كلا.

المسدّس في يده أو حجره، وإلا لما كنت جالساً هنا الآن.

- «لم يكن فيها ما يُذكر على كلِّ حال. كانت بيدي جليسن، وكان من المفترَض أن نحيا حياةً طويلة سعيدة معاً».

- إلى أن أبلغ أحدهم الحكومة وبدأ التحقيق.

- «كان من المفترَض أن نُنجب دسنةً من الأطفال ونجني مالاً جمًّا».

- إلى أن جاء مأمور المقاطعة يطلب أوراق الأطفال كلهم.

- «كان من المفترَض أن نقضي بقية حياتنا في تلك المزرعة، وكلُّ عامٍ

يمر كما سابقه».

- إلى أن بدأت الـFBI التحقيق.

- «كان من المفترَض أن نصبح من كبار الكنيسة ذات يوم».

- إلى أن جاء الخلاص.

- «إلى أن جاء الخلاص».

أذكر أن الحياة كانت هادئة مسالمة في وادي المستعمرة؛ الدجاجات والأبقار تجري طليقةً، الملابس المغسولة معلقة في الهواء حتى تجف، رائحة القش في الحظائر، فطائر التفاح تبرد على عتبة كلِّ نافذة. أذكر أنه كان أسلوب حياةً مثاليًّا.

ينظر إليَّ آدم ويهز رأسه نفيًّا.

- «إلى هذه الدرجة أنت أحمق».

في الظلام يبدو آدم مثلي لو لم تحدث كلُّ هذه الفوضى لي. إنه مجموعة ضابطة لي على حدِّ تعبير فريليتي. لو لم يتم تعميدي وإرسالي إلى العالم الخارجي، لو لم أصبح شهيرًا مبالغًا في قيمتي، لكان هذا أنا بعينيَّ آدم الزرقاوين وشعره الأشقر النظيف، لكانت كتفائي مستويَّتين وبحجمهما الطبيعي، لكانت يداي بأظفارهما المقلَّمة المطليَّة يديه القويَّتين، لكانت شفطائي المتشقَّقتان شفطيه، لكان ظهري مستقيمًا، لكان قلبي قلبه.

يرمق آدم الظلام ويغمغم:

- «لقد دمرتهم».

يقصد الناجين.

- «كلا، أقصدهم جميعاً، المستعمرة كلها. أنا أبلغت الشرطة. غادرت الوادي ذات ليلة ومشيت حتى وجدت هاتفاً».

أذكر أن الطيور كانت تسكن كل شجرة، وأنا كنا نصطاد جراد البحر بربط قطعة من دهن الخنزير بالخيط وإلقائها في الجدول الصغير، وعندما نسحبها نجد جراد البحر يُغطيها كلها.

- «أعتقد أنني ضغطت الرقم صفر على الهاتف، لكنني طلبت التحدث إلى الأمور على كل حال. قلت لمن ردّ عليّ إن طفلاً واحداً من كل عشرين طفل كيريدشي له شهادة ميلاد سليمة. قلت له إن الكيريدش يُخفون أطفالهم عن الحكومة».

أذكر الخيول. كانت لدينا مجموعات من الخيول نحرث بها ونجر العربات، وكنا نناديها بألوانها لأن إطلاق الأسماء على الحيوانات حرام.

- «قلت لهم إن الكيريدش يسيئون معاملة أطفالهم ولا يدفعون ضرائب على غالبية دخلهم. قلت لهم إن الكيريدش كسالى عديمو الحيلة. قلت لهم إن الأطفال بالنسبة للأباء هناك هم مصدر دخلهم الوحيد، إنهم عبيد لديهم».

أذكر الكتل الجليدية تتدلى من أسقف المنازل، أذكر اليقطين والشواء بعد الحصاد.

- «أنا الذي بدأت التحقيق».

أذكر الغناء في الكنيسة، حشو اللُحُف وخياطتها، إطعام المواشي في الحظائر.

- «غادرت المستعمرة تلك الليلة ولم أعد قط».

أذكر تدليلي والعناية بي.

- «لم نملك خيولاً قط بالمناسبة، والدجاجات والخنازير القليلة التي كنت تراها كانت كذبة كبيرة. أنت كنت في المدرسة طوال الوقت ولا تذكر إلا ما علموك إياه عن حياة الكريديش منذ مئة عام. بحق السماء! منذ مئة عام كان الجميع يملكون خيولاً».

أذكر أنني كنت سعيداً أشعر بالانتماء.

- «لم يكن هناك كريديشي أسود أو أصفر. لم يكن كبار الكنيسة إلا حفنة من النخاسين العنصرين المنافقين».

أذكر الإحساس بالأمان.

- «كلُّ ما تذكره خاطئ».

أذكر شعوري بأنني محبوب ذو قيمة.

- «ما تذكره كذبة لا أكثر. لقد ربوك ودرّبوك، ثم باعوك».

وهو لا؟

كلا، آدم برانسن كان أول العنقود. تلك الدقائق الثلاث هي ما صنع الفارق كله. كان سيملك كلِّ شيء، الحظائر والدجاج والجملان، السلام والأمان. كان سيرث المستقبل وأظل أنا مبشراً عاملاً، أجز الحشائش وأجز الحشائش، عمل بلا نهاية.

يمر بنا ليل نبراسكا المُظلم والطريق في سرعةٍ ودفء. بدفعةٍ واحدة، أقول لنفسي، يمكنني إخراج آدم برانسن من حياتي إلى الأبد.

- «كلُّ طعامنا تقريباً اشتريناه من العالم الخارجي. لقد ورثت مزرعة تربية وبيع أطفالٍ لا أكثر. لم نكن نعيد تدوير أيِّ شيءٍ حتى».

لهذا السبب إذن أتصل بالمأمور؟

- «لا أتوقّع منك أن تفهم. إنك ما زلت طفلاً في الثامنة يجلس في المدرسة، يجلس في الكنيسة، يُصدّق كلَّ ما يقولونه لك. إنك تذكر

صورًا في كُتُب فقط. لقد خَطَّطوا لك حياتك كاملةً، وما زلت تغط في نومك حتى الآن».

وآدم برانسن مستيقظ؟

- «لقد استيقظت في الليلة التي أجريت فيها تلك المكالمة. في تلك الليلة فعلت شيئًا لا يمكن التراجع عنه».

ومن ثم مات الجميع.

- «باستثنائي أنا وأنت».

وكلُّ ما تبقى لأفعله هو أن أقتل نفسي.

- «هذا ما درَّبوك على فعله فحسب. إن هذا أقصى تعبير عن العبودية».

ما الذي تبقى لي إذن كي تصبح حياتي مختلفة؟

- «الوسيلة الوحيدة التي ستعثر بها على هويَّتِكَ هي أن ترتكب أكثر شيءٍ درَّبوك على اجتنابه على الإطلاق، أن ترتكب الإثم الأعظم، الخطيئة الكُبرى، أن تدير ظهرك لتعاليم الكنيسة برُمَّتها».

يقول آدم:

- «حتى الجنة التي وعدوك بها لم تكن إلا قفصًا أنيقًا كبيرًا، وستظل عبدًا طوال حياتك ما لم تقضم من التفاحة».

لكنني التهمت التفاحة كلها. لقد فعلت كلَّ شيء. ظهرت على شاشة التلفزيون وتنكَّرت للكنيسة، نطقت كُفْرًا أمام ملايين الناس، كذبت وسرقت وقتلت (إذا حسبت ترفور هوليس). لقد شوَّهت جسدي بالأدوية والعقاقير، دمَّرت وادي الكنيسة الكريديشيَّة كله، عملت كلَّ أحدٍ طوال السنوات العشر المنصرمة.

- «لكنك ما زلت لم تفقد عذريَّتكَ».

بوثةٌ واحدةٌ جيدة، أقول لنفسِي، يمكنني أن أحل جميع مشاكلي إلى الأبد.

يقول آدم:

- «تعلم ما أعنيه. الاختراق الأفقي، إخفاء قطعة السجق، الأهة الكبيرة، الحظ السعيد، بلوغ النهاية، إحراز الهدف، الفوز باليانصيب، تركيب الماسورة، حرث الحقل، حشو الفطيرة، القذارة الكبرى. الجنس! كُف عن محاولة إصلاح حياتك وركّز على مشكلتك الكبيرة الوحيدة».

يقول آدم:

- «يجب أن نجعلك تنام مع امرأة يا شقيقي الأصغر».

تبلغ مساحة مقاطعة الكنيسة الكيريدشية 20560 فدأنا بالضبط، أي مساحة الوادي الواقع عند ألسنة نهر فليمنج كلها تقريباً في شمال غرب جرانند أيلاند، نبراسكا. أربع ساعات هي زمن الرحلة بالسيارة من جرانند أيلاند، وإذا كنت قادماً من سيوكس فولز في الشمال فالرحلة تبلغ تسع ساعات.

هذا القدر مما أعرفه حقيقي.

مازلت أتساءل عن الطريقة التي فسّر بها آدم كل شيء. قال آدم إن أول خطوة تتخذها أي ثقافة في العالم لاستعبادك هي إخصاؤك، وبخلاف ذلك تتخذ بعض الثقافات التدابير اللازمة كي تجعلك لا تستمتع بالجنس كثيراً، فيقطعون منك أجزاء حساسة -سواءً من البظر أو القلفة- من المفترض أن تجعلك تستمتع بالعملية أكثر، ومن دونها تشعر بأنك أقل آدمية.

يقول آدم إن هذه هي الفكرة كلها باختصار.

نتحرّك غرباً بقية الليل بعيداً عن الموضع الذي سشرق منه الشمس محاولين أن نسبقها، محاولين ألا نرى ما ستظهره لنا عندما نبلغ الديار. على لوحة عدادات السيارة أُلصقَ تمثال صغير طوله ست بوصات لرجل يرتدي ملابس الكنيسة الكيريدشية، السروال الفضفاض والمعطف الصوفي والقبعة. العينان من البلاستيك الذي يبرق في الظلام، ويداه مرفوعتان معاً بالدعاء بعيداً عن جسده، حتى أنه يبدو على وشك أن يغطس غطسة البجعة من اللوحة إلى المقعد الأمامي.

قالت فرتيليتي لآدم أن يبحث عن شيفروليه حديثة في مكانٍ ما في محيط المربَّعين السكنيين القرييين من موقف الشاحنات في جراندي أيلاند، وقالت إننا سنجد المفاتيح في السيَّارة، وإن خزان الوقود سيكون مليئًا. استغرقنا خمس دقائق تقريبًا للعثور على السيَّارة بعد أن تركنا الكاسا كاستيل.

ينظر آدم إلى التمثال أمامه ويقول:

- «وما المفترَض أن يكون هذا؟».

- من المفترَض أن يكون أنا.

- «لكنه لا يُشبهك على الإطلاق».

- من المفترَض أن يوحى بالورع الشديد.

- «يبدو كشیطان!».

أقود السيَّارة...

... ويتكلَّم آدم.

يقول آدم إن الثقافات التي لا تخصيك تستعبدك، أي أنها تخصي عقلك بدلًا من جسدك. إنها تجعل الجنس يبدو شديد القذارة والخطورة والإيذاء، حتى أنك، على الرغم من معرفتك الجيدة بأنه ليس كذلك على الإطلاق، سترفض ممارسته تمامًا. يقول آدم إن معظم الديانات في العالم الخارجي تفعل هذا، والكريديش حذوا حذوها.

ليس هذا ما أريد أن أسمعه الآن، لكن عندما أحاول تشغيل الراديو أجد جميع أزراره مثبتة على محطات دينية. جوقة تُنشِد هنا، واعظ هناك يقول لي إنني إنسان سيء ومخطئ، ثم يأتيني صوت مألوف من إحدى المحطات، (كهانة تندر برانسن الإذاعية). هي حلقة من ألف حلقة كنت قد سجَّلتها في ستوديو لا أذكر أين كان.

أقول على الراديو إن إساءة كبار الكنيسة الكريديشية لا توصف بكلمات.

يقول آدم:

- «هل تذكر ما فعلوه بك؟».

أقول على الراديو إن الانتهاكات كانت بلا نهاية.

- «أعني عندما كنت طفلاً».

في الخارج بدأت الشمس تلحق بنا وتُشكّل أشباحًا من الظلام الدامس.

أقول على الراديو إن تحكّمهم في عقولنا لم يترك لنا فرصة إطلاقًا. لن نرغب في الجنس أبدًا، لن نخون الكنيسة أبدًا، سنقضي حياتنا كلها في العمل.

يقول آدم:

- «وإذا لم تمارس الجنس أبدًا فلن تحس بالقوّة أبدًا، لن يكون لك صوت أو هويّة خاصة بك أبدًا. الجنس هو الفعل الذي يفصلنا عن آبائنا، الأطفال عن الكبار. في العالم الخارجي يبدأ المراهقون التمرد بممارسة الجنس».

وإذا لم تمارس الجنس أبدًا، يقول آدم، فلن يخرج عالمك عن الحدود التي رسمها لك أبواك. إذا لم تكسر هذه القاعدة، فلن تكسر أيّ قاعدة أخرى.

أقول على الراديو إنه من العسير على كلّ من يقطنون العالم الخارجي أن يتصوّروا مدى تدريينا.

يقول آدم:

- «في الستينات لم تكن حرب فيتنام هي السبب في كلّ الفوضى التي حدثت، ولا المخدّرات، بل حبوب منع الحمل. للمرّة الأولى في التاريخ يستطيع أيّ أحد ممارسة الجنس كما يشاء والشعور بهذا النوع من القوّة».

عبر التاريخ كان أقوى القادة والحكّام مهوسين بالجنس، فهل كانوا يستمدّون شهيتهم للجنس من سلطتهم أم العكس؟

- «وإذا لم تُمارس الجنس أبداً، فهل ستشتهي أي نوع من السُلطة؟ البتة! وبدلاً من انتخاب موظفين حكوميين لُطفاء مملين يعانون من الكبت الجنسي، فلربما يجدر بنا العثور على أكثر المرشّحين هياجاً عليهم يقومون بعملهم!».

تمر لافتة تقول: «مقبرة تندر برانسن القومية لدفن المواد الحساسة، 10 أميال».

يقول آدم:

- «هل تفهم ما أقصده؟».

- الديار على بُعد عشر دقائق فقط.

- «هل تذكر ما حدث؟».

- لم يحدث شيء.

أقول على الراديو إنه من المستحيل أن أقوى على وصف البشاعات التي تعرّضنا لها.

مع اقترابنا أكثر من أرض الكنيسة، أرى المزيد والمزيد من المجالات الإباحية التي طارت من الشاحنات المكشوفة على جانبي الطريق. صور بهت ألوانها لنساء عاريات تماماً تلف كل منهن نفسها حول جذع شجرة، لرجال غارقين بماء المطر اعتلوا الأغصان بقضبانٍ منتصبه. عُلب أفلام الفيديو السوداء بين الحصى والحجارة على جانبي الطريق. ذميمة امرأة مصنوعة من خامة القاييل الوردية مثقوبة ومُلقاة بين الحشائش، وقد جعلتها الرياح تُلوّح لنا بيديها ونحن نمر بالسيارة.

يقول آدم:

- «الجنس ليس شيئاً بشعاً مرعباً».

أقول على الراديو إنه من الأفضل أن أتناسى الماضي وأواصل حياتي. أمامنا نقطة تنتهي فيها الأشجار المترابطة على جانبي الطريق ولا شيء

بعدها، والشمس أدركتنا وقد ارتفعت في السماء، وعلى مدى البصر ليس هناك سوى أرضنا اليباب.

تمر لافتة تقول: «مرحبًا بكم في مقبرة تندر برانسن القومية لدفن المواد الحساسة».

لقد وصلنا...

يمتد الوادي وراء اللافتة حتى الأفق أجرد عاريًا، كل شيء رمادي تمامًا يتخلله بعض الجرفات الصفراء المركونة الصامتة لأنه يوم الأحد. ليست هناك شجرة واحدة.

ليس هناك طائر واحد.

المعلم الوحيد الباقي موجود في مركز الوادي، مجرد عمود إسمتي عالٍ يرتفع من البقعة التي كانت تحتلها دار الاجتماعات حيث سقط الجميع موتى منذ عشرة أعوام. على الأرض تحيط بنا من كل جانب صور لرجالٍ مع نساء، لنساءٍ مع نساء، لرجالٍ مع رجال، لرجالٍ ونساءٍ مع حيواناتٍ وأدواتٍ مختلفة الأشكال والألوان.

ولا ينبس آدم بينت شفة.

أقول على الراديو إن حياتي الآن مُفعمّة بالسعادة والحب.

أقول على الراديو إنني أتطلع إلى زواجي بالمرأة التي اختيرت لي كجزءٍ من حملة سفر التكوين.

أقول على الراديو إنني بمساعدة أتباعي سأبذل شهوة الجنس التي سيطرت على عالمنا.

الطريق طويل ومليء بالحفر من حافة الوادي ونحو العمود الإسمتي في المنتصف، وعلى جانبي الطريق تتجمع القضبان الصناعية والمجلات مع المهابل المصنوعة من اللاتكس والواقبات الذكرية الفرنسية في أكوام

يتصاعد منها الدخان، الذي يطير في غيمة بيضاء خانقة عبر الطريق.
أمامنا يكبر حجم العمود أكثر وأكثر إذ يقترب، أحيانًا يتواوى بين
دخان المواد الهورنوجرافية المحترقة، وأحيانًا يلوح.
أقول على الراديو إن حياتي كلها معروضة للبيع في مكتبة قريبة منك.
أقول على الراديو إنني -بعون الله- سأجعل هذا العالم كله يُعرض
عن الجنس تمامًا.

يُغلق آدم الراديو ويقول:

- «غادرت الوادي في الليلة التي عرفت فيها ما فعله الكبار بكم، بكل
تندر وبيدي».

يستقر الدخان على الطريق ويتسرب إلى السيارة وإلى رئاتنا لاذعًا
حارقًا أعيننا.

تجري الدموع على وجتي وأنا أقول إنهم لم يفعلوا شيئًا.
يسعل آدم ويقول:
- «اعترف».

يظهر العمود الإسمني من جديد وقد اقترب أكثر.
لا يوجد ما أعترف به.

الدخان يُغلف كل شيء ويعميننا تمامًا.
ثم يقولها آدم:

- «لقد جعلوكم تُشاهدون».

لا أرى شيئًا لكنني أوصل القيادة.

يقول آدم والدموع تترك أثرًا أسود على وجهه:

- «ليلة أن أنجبت زوجتي طفلنا الأول، أخذ كبار الكنيسة كل تندر
وبيدي في المقاطعة وجعلوهم يُشاهدون. صرخت زوجتي كما قالوا

لها أن تفعل بالضبط. صرخت وهلل الكبار وعووا أن عاقبة الجنس هي الموت. صرخت وجعلوا الولادة مؤلمة قدر الإمكان. صرخت ومات الطفل، طفلنا. صرخت ثم ماتت».

أول ضحيتين للخلاص.

كانت تلك هي الليلة التي خرج فيها آدم من مقاطعة الكنيسة الكيريدشية وأجرى المكالمة إياها.

- «جعلكم الكبار تُشاهدون كل امرأة وهي تضع طفلاً».

سرعتنا لا تربو على العشرين أو الثلاثين ميلاً في الساعة، لكن في مكانٍ ما أمامنا بين الدخان يقبع النُصب التذكاري المتبقي من ديانة الكيريدش.

لا أقول شيئاً وأحاول التنفس فحسب.

- «وطبعاً من يرغب في ممارسة الجنس بعدها؟ لن ترغب في الجنس بعدها أبداً، لأنه كلما وضعت أمك طفلاً كانوا يجعلونكم تجلسون هناك وتُشاهدون، لأن الجنس بالنسبة لكم صار مُرادفاً للألم والخطيئة وصراخ أمك».

الدخان شديد الكثافة لا يجعلني أرى آدم حتى.

ثم إنه قالها...

- «والآن لا يبدو الجنس لك إلا عذاباً».

يقولها كأنه يبصق...

عطر الحقيقة، Truth.

وفي تلك اللحظة ينجاب الدخان.

ونرتطم بالعمود الإسمنتي مباشرةً.

في البدء ليس هناك شيء إلا الغبار، كذراتٍ من بودة الأطفال الناعمة العالقة بهواء السيارة وقد اختلطت بالدخان.

يدور الغبار والدخان في الهواء، والصوت الوحيد الذي تسمعه هو صوت المحرك وشيء ما يقطر منه، زيت أو وقود أو مضاد للتجمد...
... إلى أن يبدأ آدم بالصراخ.

الغبار الأبيض من كيسي الهواء الواقين اللذين حميانا لحظة الارتظام ثم سقطا فارغين على لوحة العدادات، وإذ يبدأ الغبار في الانقشاع تصحبه صرخات آدم وهو يقبض على وجهه وقد استحال لون الدم السائل من بين أصابعه إلى الأسود.

بيده يمسك آدم تمثالي الصغير الذي تلتخّ بالدماء وصار يبدو الآن كشيطانٍ حقيقي أكثر من أيّ وقتٍ سابقٍ.

بيده الأخرى يتحنّس الأرض ويسحب مجلة ليضعها على وجهه، مجلة مفتوحة على صفحةٍ فيها صورة لرجلٍ وامرأة يتضاجعان، ومن تحتها يقول آدم:

- «أريدك أن تجد صخرةً وتهوي بها على وجهي عندما أقول لك».

- لا أستطيع.

- «إنني لن أدعك تقتلني».

- لكنني لا أتق به.

يقول آدم في ألم من تحت المجلة:

- «سوف تُعطيني حياة أفضل. بوسعك أن تفعلها. إذا أردت أن تُنقذ حياتي فافعل هذا ما أجلي».

يقول آدم:

- «إذا لم تفعل، فمجرد أن تذهب لتجد نجدة سأزحف بعيداً وأختبئ، وسأموت هنا وحدي».

أزِن الصخرة التي وجدتها في يدي وأسأله: هل سيقول لي متي أتوقّف؟

- «سأقول لك عندما أكتفي».

هل يعدني؟

- «أعدك».

أرفع الصخرة فيسقط ظلُّها على المتناكحين على وجه آدم.
وأهوي بها...

وتغوص الصخرة في وجهه...

- «مرّة أخرى! بقوة أكبر!».

وأهوي بالصخرة...

وتغوص في وجهه أكثر...

- «مرّة أخرى!».

وأهوي بالصخرة...

- «مرّة أخرى!».

وأهوي بالصخرة بقوة أكبر...

وتسيل الدماء من الصفحات لتحيل لون الرجل والمرأة إلى الأحمر، ثم الأرجواني.

- «مرّة أخرى!» يصرخ آدم بحروفٍ مشوّهة وقد فارق فمه وأنفه شكلهما الأصلي.

وأهوي بالصخرة على أذرع الرجل والمرأة وسيقانهما ووجهيهما.
- «مرّة أخرى!».

وأهوي بالصخرة إلى أن تصير لزجةً تمامًا من فرط الدم الذي لوّثها، إلى أن تتهاوى المجلة من المنتصف، إلى أن تصبح يداي حمراوين قانيتين.

ثم أتوقّف وأغمغم: آدم؟

أحاول أن أرفع المجلة لكنها تتمزّق في يدي وقد تشبّعت تمامًا بالدماء.

ترتخي يد آدم التي تحمل التمثال، الذي يتدحرج إلى القبر الذي حفرتَه للعثور على شيءٍ صلب.

أغمغم: آدم؟

وتحمل الريح الدخان فوقنا.

وينتشر ظلُّ ضخمٍ نحونا من قاعدة العمود الإسمنتي. في لحظةٍ يمس آدم فقط، وفي اللحظة التالية يُغطّيه بالكامل.

السيدات والسادة، لقد انطفأ المحرّك الثالث هنا على متن الرحلة 2039، ولم يتبقّ لدينا سوى محرّك واحد قبل أن نبدأ هبوطنا الأخير.

يسقط الظل البارد لُنُصْب الكنيسة الكِرِيدِشِيَّة التذكارِي عَلِيَّ طوَال
النهار وأنا أَدْفِن جِنَّةَ آدَم برانسِن. تحت طبقات الفُحش، وتحت فتحات
الشَّرَج الجائعة والخَنَائِي الفاتنات، أَحْفَر بيديَّ فِي تربة باحة الكنيسة وقد
أحاطت بي شواهد القبور التي نُقِشَتْ عَلَيْهَا جماجم وزهور صفصاف
والكلمات التي تتوقَّعُهَا.

الذي رحل لكنه لم يُنْسَ...

الذي يرقد في سلام...

الذي سُلِبَ من هذه الحياة...

عسى أن يكون مثواه الجنة رغم ذنوبه...

الأب الحبيب...

الأم العزيزة...

العائلة الحائرة...

فليُنْعِمَ عَلَيْهِ اللهُ بِالمَغْفرةِ وَالسَّلَامِ...

موظفة التحريّات الاجتماعيَّة الفاشلة...

وكيل الأعمال الدَّمِيم...

الأخ الضَّال...

لعله البوتوكس الذي حقنوني به أو التفاعل بين العقاقير المختلفة أو
قِلَّة النوم أو الآثار طويلة المدى لابتعادي عن أضواء الشهرة، لكنني لا

أشعر بشيءٍ ومذاقٍ فمي مُر. أضغط على الغدد اللمفاويّة في عنقي، لكنني لا أشعر إلا بازدرائها لي.

من الجائز أنني بعد موت جميع من حولي أصبحت ذا براعةٍ في فقدان الناس، موهبةً طبيعيّةً، نعمةً.

لعلي طوّرت مهارة الافتقار للمشاعر، تمامًا كعُقم فرتيليتي الذي يجعل العمل المثالي لها أن تكون أمًا بالوكالة.

تمامًا كما تنظر إلى ساقك المبتورة من تحت الرُكبة ولا تشعر بشيءٍ في البداية، ما قد يكون تأثير الصدمة فحسب.

لكنني أمل ألا يكون كذلك.

لا أريد أن يزول عدم الإحساس هذا.

وأدعو الله ألا أحس شيئًا بعد الآن أبدًا.

لأنه إذا زال، فسوف يكون الألم شديدًا بما لا يُقاس، وسيدوم ما حييت.

لن تتعلّم هذا في أيّ مدرسة، لكن لمنع الكلاب من إخراج شيءٍ دفتته تحت الأرض عليك أن ترش القبر بالأمونيا، ولإبعاد النمل رُش بعض ملح الصوديوم.

لإبعاد الصراصير استخدم الشبّة.

لإبعاد الفئران استخدم زيت النعناع.

لتنظيف بُقع الدم تحت أظفارك، ضع أناملك داخل فصوصٍ من الليمون وافرّكها جيدًا، ثم اغسلها بالماء الدافئ.

لم يتبقّ من حطام السيّارة المحترق إلا المقاعد التي يتصاعد منها الدخان، شريط من الدخان الأسود يتبدّد عبر الوادي.

عندما رفعت جثة آدم سقط المسدّس من جيّب سترته، والصوت الوحيد في المكان كان صوت بضع ذباباتٍ تحلّقت حول الصخرة الملطّخة بالدماء.

ما تبقى من وجه آدم ما زال متوارياً تحت المجلة الحمراء اللزجة، وعندما أفرد ساقه أولاً ثم كتفيه في الحفرة التي صنعتها، يظهر تاكسي أصفر في الأفق متجهًا ناحيتي.

لن تتسع الحفرة لاحتواء آدم إلا إذا وضعت على جانبه وكوّرت جسده بعض الشيء، وعندما أنتهي أركع على الحافة وأبدأ في تغطيته بالتراب.

عندما ينفذ التراب التنظيف أبدأ في استخدام المواد البورنوجرافية المحيطة بي لتغطية الحفرة؛ كُتِبَ إباحية مفككة، مجلات صورها باهتة، تريسي لوردز وچون هولمز، كايل كليفاج وديك رامبوني، فييريتورات ذات بطاريات فارغة، أوراق لعب، واقيات ذكريّة منتهية الصلاحية هشّة لدنة لكنها لم تُستخدم قط.

أعرف هذا الشعور.

واقيات ذكريّة ذات خطوطٍ عرضيّة بارزة للمزيد من الحساسية.

آخر شيءٍ أريده هو الحساسية، أيًا كان نوعها.

هاك واقيات ذكريّة مبطّنة بمخدّرٍ موضعي من أجل ممارسةٍ طويلة، ويا للتناقض! تستطيع مضاجعتها لساعاتٍ كاملة، لكنك لن تشعر بشيء! أريد أن تكون حياتي كلها مبطّنة بمخدّرٍ موضعي.

يتقدّم التاكسي الأصفر مني مرتجًا بين الحُفَر الصغيرة في الأرض. شخص واحد يجلس في المقعد الخلفي.

لا أدري من، لكنني أستطيع التخمين.

ألتقط المسدّس وأحاول أن أدسه داخل جيب سترتي، فتمزّق الماسورة بطانة الجيب ويغيب المسدّس كله بالداخل، ولا أدري حقًا إن كان محشوًّا أم فارغًا.

يتوقّف التاكسي على مسافةٍ لا قريبة ولا بعيدة مني وتخرج منه فرتيليتي وتلّوح لي، ثم تميل على نافذة السائق ويحمل إليّ الهواء كلماتها إذ تقول له:

- «انتظري من فضلك. لن أستغرق إلا دقيقة».

ثم تدنو مني وقد فردت ذراعيها إلى جانبيها لتحفظ توازنها وخفضت رأسها وهي تخطو فوق الطبقات اللزجة من المجلات المستعملة وخلافه.

- «خطر لي أنك قد تحتاج إلى صُحبتِي الآن».

أنظر حولي بحثًا عن منديل أو لباسٍ داخلي قديم أمسح به الدم عن يديّ، وترفع فرتيلتي عينيها إلى أعلى قائلة:

- «واو! الطريقة التي يسقط بها ظلُّ نُصْبِ الموت التذكاري هذا على قبر آدم شديدة الرّمزيّة حقًا!».

الساعات الثلاث التي استغرقتها في دفن آدم هي أطول مدّة قضيتها دون عمل في حياتي، والآن ها هي ذي فرتيلتي هوليس قد جاءت لتُخبرني بما أفعل، وعملي الجديد أن أتبعها.

تدور فرتيلتي لتنظر إلى الأفق وتقول:

- «هذا وادي ظلِّ الموت فعلاً. لقد اخترت المكان المناسب تمامًا لتهشيم جمجمة أخيك. قابيل وهايبل جدًا، هه؟».

قتلتُ أخي...

وقتلُ أخاها...

آدم يرانسن...

وترفور هوليس...

لا يمكنك أن تأتمني على أخٍ أيٍّ أحدٍ وفي يدي هاتف أو صخرة.

تدس فرتيلتي يدها في حقيبتها وتسالني:

- «هل تريد بعض عِرْقِ السُّوس؟».

فأرفع لها يديّ الملوّثتين بالدماء، فتتمتم:

- «لا أظن».

وتنظر من فوق كتفها إلى التاكسي المنتظر وتلوح بيدها أن انتظر،
فيُخرج السائق ذراعه ليُلوح لها بدوره.

- «دعني ألخص لك الأمر سريعاً. آدم وترفور قتلا نفسيهما».

تقول لي إن ترفور قتل نفسه لأن حياته صارت خالية تماماً من
المفاجآت، لأنه لم تعد هناك مغامرات فيها. ترفور كان مريضاً بلا أمل
في الشفاء، وكان يموت مللاً حرفياً، والشيء الوحيد الغامض الذي
تبقي له كان الموت نفسه.

وآدم أراد الموت لأنه كان يعرف أن تدريبه طوال حياته لم يسمح له
بأن يكون أي شيء إلا كريدشياً. لقد قتل آدم الناجين لأنه كان يعرف أن
مجتمعاً من العبيد لا يمكن أن يؤسس مجتمعاً جديداً من الأحرار. كما
قاد موسى بني إسرائيل لجبل كامل عبر الصحراء، أرادني آدم أن أنجو
لكن من دون عقلي المبرمج على العبودية.

تقول فرتيليتي:

- «أنت لم تقتل أخي، ولم تقتل أخاك كذلك. يمكنك اعتبار ما
فعلته مجرد مساعدة على الانتحار لا أكثر».

من حقيبتها تُخرج باقةً من الورد البلدي الأحمر البانغ والقرنفل،
زهوراً حقيقيةً، ثم تنحني لتضعها على المجلات التي دفنت آدم تحتها.
ترفع ناظرها إليّ من موضعها وتقول:

- «هاك رمز آخر. هذه الزهور ستموت خلال ساعاتٍ قليلة،
وستقضي الطيور حاجتها عليها، وسيجعلها الدخان تتعفن، وغالباً
سوف تُسويها الجرافات بالأرض غداً. لكن الآن، في الوقت الحالي،
في هذه اللحظة، ما زالت محتفظة بجمالها».

كم هي شخصية حساسة محببة حقاً!

تهض فرتيليتي وئمسكني من جزءٍ نظيفٍ من ذراعي لم يتلوّث بالدم
وتجذبني نحو التاكسي.

- «يمكننا الاستسلام للإنهاك لاحقاً، عندما لا يُكلّفني هذا ما لآ كثيراً».

في طريق العودة إلى التاكسي تحكي لي عن غضب البلاد كلها عليّ
بسبب إفسادي نهائي كرة القدم. لا يمكننا أن نستقل طائرة أو حافلة إلى
أيّ مكان. الصُحف تصفني بالمسيح الدجّال، قاتل الكيريدش. قيمة
جميع منتجات تندر برانسن ارتفعت إلى عنان السماء، لكن للأسباب
الخطأ تماماً. جميع الديانات الكبرى في العالم - اليهودية والكاثوليكية
وغيرها - لسان حالها أننا حدّرناكم.

أخبي يديّ الداميتين في سترتي قبل أن نبلغ التاكسي، وأحس بزناد
المسدّس تحت إصبعي.

تفتح فرتيليتي الباب الخلفي وتُدخلني، ثم تدور وتدخل من الباب
الآخر وتقول للسائق مبتسمةً:

- «إلى جراندا أيلاند على ما أظن».

يقول عدّاد التاكسي إنها مدينة له بـ780 دولارًا حتى الآن.

يرمقني السائق في المرأة ويقول بسخرية:

- «هل تخلّصت أمك من المجلة التي تستمني عليها؟ هذا المكان

ممتد لأميال. إذا فقدت شيئاً هنا فلن تعثر عليه أبداً».

تهمس لي فرتيليتي:

- «لا تدعه يستفرك».

تهمس أن السائق مدمن خمر، وتنوي أن تدفع الأجرة ببطاقتها

الائتمانية لأنه سيكون ميتاً في حادثٍ خلال يومين ولن يجد الوقت
الكافي لسحب المبلغ.

تكاد الشمس تبلغ منتصف السماء ويتقلَّص ظل العمود الإسمنتي مع مرور الدقائق.

أسألها: كيف حال سمكتي؟

- «أوه، سمكتك، تَبًّا!».

يتحرَّك التاكسي متأرجحًا نحو العالم الخارجي.

لا شيء يؤلمني الآن، لكنني لا أريد أن أسمع هذا.

- «سمكتك... أنا آسفة حقًّا. لقد ماتت».

السمكة رقم 641...

أسألها: هل شعرت بأي ألم؟

- «لا أظن».

أسألها: هل نسيت إطعامها؟

- «كلا».

أسألها: ما الذي حدث إذن؟

- «لا أدري. لقد ماتت فحسب ذات يوم».

لم يكن هناك سبب، لم يكن هناك معنى، لم يكن هناك رمز ما. لقد

ماتت السمكة فحسب.

كانت مجرد سمكة لعينة حمقاء، لكنها كانت كلِّ ما أملك.

سمكتي الحبيبة.

وبعد كلِّ ما حدث، من المفترض أن يكون سماع خبر كهذا سهلاً.

سمكتي العزيزة.

لكنني أجلس هنا في مقعد التاكسي الخلفي والمسدَّس في يدي ويدي

في جيبي، وأنفجر في البكاء.

في جراند أيلاند كان لدينا ابن صغير أصابه داء اللوبوس بالشلل كي نستطيع قضاء بضعة أيام في أحد منازل رونالد مكدونالد هناك، ثم إننا استقلينا منزلاً من طراز پاركوود متَّجهاً غرباً لم يكن به إلا أربع عُرف نوم، وقد نمنا في اثنتين منها بينما تفصل بيننا الاثنتان الأخرى.

في دنفر كانت لدينا ابنة صغيرة مصابة بشلل الأطفال كي نستطيع قضاء الليل في منزل رونالد مكدونالد آخر ونأكل ولا نشعر بالعالم يمضي أسفلنا ونحن نائمين. قضينا الليل هناك في غرفة نوم واحدة، لكنها كانت بفراشين.

ثم خرجنا من دنفر في منزلٍ من طراز توبسيل مانور متجه إلى شايان. كنا نتسكع بين المُدُن فقط، ولم يُكلفنا هذا مالاً.

تنقلنا في نصف منزلٍ من طراز ساتون پالاس تاونهوم متَّجهاً إلى لا ندري أين، وخرجنا منه في بيلينجز، مونتانا.

ثم بدأنا في لعب روليت المنازل...

كففنا عن دخول مقاهي مواقف الشاحنات لنسأل عن وجهة كل منزل، وقرَّرنا أن نقطع الغلاف البلاستيكي على متن أيِّ شاحنة ونُغلقه وراءنا من الداخل فحسب.

سافرنا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في نصف منزلٍ من طراز فلأمينجو لودج، ولم نستيقظ إلا عندما وجدنا العمال يُرْكَبونه على قاعدته في هاملتن، مونتانا، وخرجنا من الباب الخلفي في اللحظة التي وصلت فيها العائلة السعيدة التي اشترته.

كُلُّ ما كان معنا هو مسدّس آدم وحقيبة فرتيليتي.

كنا ضائعين في الصحراء.

خرجنا من ميسولا، مونتانا، في ثُلث منزلٍ من طراز كرافتسمان مانور يتجه غربًا إلى طريق الولايات 90.

مرّت لافتة تقول: «سپوكان، 300 ميل».

وبعد سپوكان مرّت لافتة تقول: «سياتل، 200 ميل».

في سياتل كان لدينا ابن صغير مصاب بثُقب في القلب.

في تاكوما كانت لدينا فتاة صغيرة فقدت الإحساس في ذراعيها وساقها.

قلنا للناس إننا لا نعرف ما أصابها، فقالوا لنا أن ننتظر حدوث معجزة.

قال لنا الآباء ذوو الأطفال الموتى أو الأطفال المحتضرين بالسرطان

إن الله رحيم.

عشنا معًا فرتيليتي وأنا كأننا متزوّجين، لكننا لم نتبادل أيّ كلام تقريبًا.

أتجهنا جنوبًا على طريق الولايات 5 عبر پورتلاند، أوريجون، في

نصف منزلٍ من طراز هولبي هيلز.

وقبل أن نستعد، نجد نفسينا في الديار، وأعني بهذا المدينة التي التقينا

فيها للمرّة الأولى. نقف على الرصيف إذ يتعد منزلنا الأخير، ونتركه

يتعد.

لم أخبر فرتيليتي بعد بأن أمنية آدم الأخيرة كانت أن أنام معها.

كأنها لا تعرف بالفعل.

لكنها تعرف. في تلك الليالي التي قضيتها غائبًا عن الوعي كان هذا

كل ما تكلم عنه آدم معها. يجب أن نمارس الجنس معًا كي أتحرّر وأشعر

بقوّتي، كي أُثبت لفرتيليتي أن الجنس من شأنه أن يكون أكثر من مجرد

مستشار تسويق ثري في منتصف العمر يُفرز حمضه النووي بداخلها. لكن الآن ليس هناك مكان يمكننا قضاء الليل فيه، فشقتي وشقتي أُجرهما أناس آخرون، وفرتيليتي تعرف هذا.

تقول فرتيليتي:

- «ثمة مكان يمكننا قضاء الليلة فيه، لكن يجب أن أجري اتصالاً أولاً».

في كايينة الهاتف ثمة أحد مُلصقاتي التي وضعتها منذ مليون سنة مضت.

«أعطِ لنفسك، لحياتك، فرصةً أخرى. اتصل بي للمساعدة». ثم رقم هاتفني القديم.

أتصل، فيقول لي صوت مسجّل إن الرقم مرفوع من الخدمة، فأقول للتسجيل: كفى مزاحاً.

تتصل فرتيليتي بالمكان الذي تقول إننا نستطيع قضاء الليلة فيه، وتقول:

- «اسمي فرتيليتي هوليس، من طرف دكتور أمبروزي».

إنها وظيفتها الشريفة...

إنها دائرة التاريخ المغلقة التي تكلم عنها وكيل الأعمال، والآن تبدو لي قدرات فرتيليتي التنبؤية سهلة للغاية. لا شيء جديداً يحدث.

- «نعم، معي العنوان. آسفة على الاتصال المفاجئ، لكن الفرصة لم تسنح من قبل. لا، طوال الليل، لكن كل مرة سُنحَس بمبلغ جديد. كلا، لا يوجد خصم».

تقول في الهاتف:

- «يمكننا مناقشة التفاصيل عندما نلتقي. كلا، لست مضطراً لإعطائي

بقشيشاً».

تُطْرَق لي بأصابعها وتهمس طالبةً قلمًا، ثم تكتب على مُلصَق خطي
الساخن القديم عنوانًا، مكرّرةً رقم المنزل واسم الشارع في الهاتف.
- «حسن، في السابعة إذن».

في السماء فوقنا الشمس نفسها تُراقبنا ونحن نرتكب الأخطاء
والخطايا ذاتها مرّةً بعد مرّة. إنها السماء الزرقاء ذاتها بعد كلِّ ما خُصناه.
لا شيء جديدًا يحدث، لا مفاجآت.

المكان الذي ستأخذني إليه هو المنزل الذي كنت أعمل فيه،
والزوجان اللذان ستُقدّم لهما نفسها الليلة هما صاحبا الصوت الذي كان
يحمل لي الأوامر عبر الهاتف.

الرحلة إلى فراش فرتيليتي محفوفة بالنوافذ ذات الزجاج المنقوش والطلاء المتقشر والقرميد الذي دبَّ فيه العَفَن والبُقَع الناجمة عن الصدأ. في كلِّ مكانٍ في الطريق إليها ثَمَّة بالوعات مسدودة وعلامات بلاء وستائر متهدِّلة وتنجيد تالف.

كان هذا بعد أن صعد الرجل والمرأة اللذان كنت أعمل لديهما مع فرتيليتي إلى الطابق العلوي ليفعلوا ما لا يعلمه إلا الله، وكان بعد أن زحفتُ إلى الداخل عبر نافذة القبو التي أكَّدت فرتيليتي أنها ستكون غير موصدة، وبعد أن اختبأتُ في الفناء الخلفي بين الزهور الصناعيّة التي سرقت كلاً منها من قبرٍ ما، وبعد أن ضربت فرتيليتي جرس الباب في تمام الساعة.

الغبار يُغلّف كلَّ شيءٍ في المطبخ، والأطباق الصيني مكوَّمة في الحوض وفيها من بقايا الطعام، وداخل الميكروويف يوحي بأن طعاماً قد انفجر فيه.

ولأنني العبد الذي رُبِّي ودُرِّب وبيعَ كما تعرف، فإني أبدأ التنظيف في الحال. سَلني عن كيفيّة تنظيف الميكروويف من خُثارة الحليب.

لا، لست أمزح، هلُم...

سَلني...

السِر هو أن تغلي كوباً من الماء في الميكروويف لدقائق قليلة، ما يجعل تنظيف الخُثارة سهلاً بفعل البخار.

سَلني عن كَيْفِيَّةِ تَنْظِيفِ يَدَيْكَ مِنْ بَقَعِ الدَّمِ.
الحيلة هي أن تنسى السرعة التي يمكن أن تحدث بها تلك الأشياء؛
الانتحار والحوادث والجرائم العاطفية.

فرتيليتي بالأعلى تمارس عملها.
عليك فقط التركيز على البقعة حتى تُمحي ذاكرتك كلها، والتكرار
يُعلِّم الحمار حقًا.

تجاهل شعورك عندما تكون الموهبة الحقيقية الوحيدة التي تتمتع بها
هي إخفاء الحقيقة. إنك تملك موهبة ربّانية حقيقية في ارتكاب الخطايا
الشيعة. هذا هو نداؤك الحقيقي. لديك موهبة طبيعية في الإنكار. إنها
نعمة.

إن كان يمكنك أن تعتبرها كذلك...

أقضي الليل كله في التنظيف، ولم أزل أشعر بالقذارة.

قالت لي فرتيليتي إن الإجراء سينتهي قبل منتصف الليل، ثم ستركانها
في غرفة النوم الخضراء وقد رفعت قدميها على وسادة، وبعد أن ينام
الزوجان في حجرتهما سيمكنني أن أتسلل إلى غرفتها في أمان.

تقول ساعة الميكروويث إنها الحادية عشرة والنصف الآن.

أخاطر بالصعود، والرحلة إلى فراش فرتيليتي محفوفة بالنباتات الذابلة
ومقايض الأبواب المتسخة، ببقع الذباب وبصمات الأصابع الملوثة
بحبر الجرائد، بالحلقات المتخلفة عن الأكواب وحروق السجائر التي
أفسدت الأثاث كله. شباك العناكب في كل مكان.

الظلام سائد في غرفة النوم الخضراء، ومن بين الظلال تقول فرتيليتي:

- «أليس من المفترض أن ننام معًا الآن؟».

أقول إنني أعتقد هذا.

- «أتمنى أنك لا تمنع أن تكون الثاني في الدور».

لا أمانع. أعني أنني أنفذ رغبة آدم.

- «هل معك واثق؟».

فأقول إنني حسبت أنها عاقِر.

- «بالطبع، لكنني نمت مع مليون رجلٍ وقد أصيبك بمرضٍ فتاك».

فأقول إن ذلك يُمثلُ مشكلةً لو كنت أنوي الحياة لفترةٍ طويلة فقط.

- «هذا ما أشعر به بالضبط نحو ديونني للبنك».

وهكذا نمارس الجنس... إن كان يمكنك أن تعتبره كذلك... فبعد

أن انتظرت حياتي كلها، لم أكد أدخلها حتى انتهى كل شيء، ثم تقول

فرتيليتي وهي تدفعني عنها:

- «أتمنى أنك تشعر بالقوة الآن».

ولا تمنحني فرصة ثانيةً لأطارحها الغرام، إن كان يمكنك أن تعتبره

كذلك...

أظل أراقبها لفترةٍ طويلة بعد أن غابت في النوم وأتساءل عن أحلامها؛

إن كانت تحلم الآن بكارثةٍ جديدة أو جريمة قتلٍ أو انتحار، وإن كانت

تحلم بي.

أستيقظ في الصباح التالي لأسمع فرتيليتي تُكلم أحداً على الهاتف همساً، وأنهض لأجدها قد ارتدت ملابسها وتساءل مُحدّثها:

- «أريد السؤال عن رحلة الثامنة صباحاً إلى سيدني. حسن، ذهاب فقط. مقعد مجاور للنافذة إذا أمكن. هل تقبلون الفيزا؟».

ثم تضع السماعة عندما تلاحظ أنني أراقبها وترتدي حذاءها، ثم تبدأ في وضع دفتر التنظيم اليومي الخاص بها في حقيبتها الكبيرة قبل أن تتراجع وتضعه على التسريحة.

أسألها: إلى أين أنت ذاهبة؟

- «سيدني».

- لكن لماذا؟

- «بلا سبب».

أسألها أن تُخبرني بالسبب، لكنها تبدأ في جرّ حقيبتها نحو باب الحجرة وتقول في حنق:

- «لأنني حصلت على مفاجأتي، حصلت على مفاجأتي اللعينة، ولتحل بي اللعنة لأنني لا أريدها، لا أريد أيّاً من هذا!».

- ماذا؟

- «أنا حامل!».

- لكن كيف تعرف هذا؟

تصرخ:

- «لأنني أعرف كل شيء! أو كنت أعرف كل شيء، لأنني لم أعرف هذا ولم أتوقَّعه. لم أعرف أنني سأتي بطفلٍ إلى هذا العالم البائس الممل الشنيع، طفل سيرث موهبة رؤية المستقبل مني ويعيش ميتاً من الضَّجْر، طفل لن يفاجئه شيء في حياته. هذا ما لم أتوقَّعه».

- والآن ماذا؟

- «سأذهب إلى أستراليا».

- لماذا؟

- «أمي قتلت نفسها، وأخي قتل نفسه. فكَّر بالأَسباب».

- لكن لماذا أستراليا بالذات؟

تخرج من الغرفة وتجر الحقيبة نحو السلاالم. أريد أن أتبعها لكنني عارٍ، وأسمعها تهتف:

- «اعتبرها عملية إجهاض راديكالية».

يخرج من غرفة النوم الرئيسة رجل يرتدي البذلة الزرقاء التي كويتها مرارًا، وبصوتٍ سمعته عبر الهاتف ألف مرَّة يسألني:

- «هل أنت دكتور أمبروزي؟».

عندما ارتديت ملابسني على عجل كانت فرتيليتي قد خرجت من الباب الأمامي، ومن نافذة الغرفة أراها تعبر الحديقة نحو تاكسي ينتظرها:

تخرج إلى البهو امرأة ترتدي بلوزة حريرية غسلتها بيديَّ مرارًا، وتتجه نحو الرجل ذي البذلة الزرقاء بعدم فهم، ثم تصرخ المرأة:

- «إنه هو! أتذكره؟ الرجل الذي كان يعمل لدينا. إنه المسيح

الدجال!».

أدس دفتر فرتيليتي تحت إبطي وأفر إلى الخارج، ودون أن أتوقَّف

عن العذو خروجًا من الباب الأمامي ومرورًا بالحديقة ونحو محطة الحافلات، أبحث عن تاريخ اليوم في الدفتر لأجد الإجابة.
في الواحدة وخمس وعشرين دقيقة ظهر اليوم سوف يتم اختطاف الطائرة 2039 المتجهة إلى سيدني، أستراليا، على يد شخصٍ مجنون قبل أن تسقط الطائرة في صحراء الأوتباك الأسترالية.

السيدات والسادة، بصفتي الراكب الأخير على متن الرحلة 2039 التي تعبر الآن سماء صحراء الأوتباك الأسترالية، فإنه واجبي أن أعلمكم بأن محرّكنا الأخير قد انطفأ للتو.
الرجاء ربط أحزمة المقاعد إذ نبدأ الآن هبوطنا الأخير في غياهب النسيان.

المطار يعج برجال الـFBI الباحثين عن تندر برانسن القاتل الجماعي، تندر برانسن الرسول الزائف، تندر برانسن مُفسِد نهائي دوري كرة القدم، تندر برانسن الذي هَجَرَ عروسه الجميلة على المذبح.

تندر برانسن المسيح الدجّال.

ألحق فرتيليتي عند مكتب الحجز وأسمعها تقول:

- «تذكرة واحدة. لديّ حجز».

الصبغة السوداء التي استخدمناها كانت منذ أسابيع، والآن عادت جذور شعري الشقراء تظهر من جديد، كما أن طعام الطريق الغارق في الدهون أعادني بديناً مرّة أخرى. الآن لا ينقصني إلا حارس أمنٍ يُصوّب سلاحه نحوي.

أُتفقد جيب سترتي لأجده خالياً وقد اختفي مسدّس آدم بشكلٍ ما، وتقول فرتيليتي خافضةً رأسها:

- «مسدّس أخيك معي إذا كنت تبحث عنه. سوف تُختطف هذه الطائرة لا محالة حتى لو اضطررت لفعل هذا بنفسني».

أقول لها إن المسدّس خالٍ من الطلقات، وهي تعرف هذا.

- «بل محشو عن آخره. كنت أكذب عليك فقط كي لا تقلق».

كان آدم يستطيع إطلاق النار عليّ في آية لحظةٍ إذن.

ترفع فرتيليتي من حقيبتها جرّة نحاسية ثقيلة لامعة، وتقول لموظف مكتب الحجز:

- «سأخذ رفات أخي معي على متن الطائرة. هل هناك مشكلة في هذا؟».

يقول الموظف إنه لا توجد مشكلة. لا يمكن فحص الجرة بالأشعة السينية، لكنهم سيسمحون لها بأخذها معها.
تدفع فرتيليتي ثمن التذكرة ونتجه نحو بوابات الأمن، وتناولني الجرة قائلة:

- «إنني أحمل هذه منذ نصف ساعة. اجعل نفسك مفيداً».
تركيز رجال الأمن القلقين مُنصب على الجرة فلا يُعبرونني اهتماماً. إنها مصنوعة من المعدن ولا أحد يريد فتحها، ناهيك عن دسّ يده فيها وتفتيشها.

يبدو أن رجال الأمن يتحرّكون هنا وهناك في أزواج، ينظرون إلينا ويتكلّمون في أجهزة الووكي توكي. تحتك الجرة بساقي من داخل الحقيبة، وتنظر فرتيليتي إلى تذكرتها وإلى اللافتات مع كلّ بوابةٍ نعبرها، وعندما نبلغ البوابة الأخيرة تقول:

- «هلم، أعطني الحقيبة واذهب».
يصطف الناس حولنا في طابور إذ نُعلن مكبّرات الصوت صعود الركاب إلى متن الطائرة.

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 50 إلى 75 الصعود إلى متن الطائرة.

لا أدري من من هؤلاء هو الإرهابي المجنون الذي سيختطف الطائرة. في الساحة المفتوحة ورائنا بدأت أزواج رجال الأمن تصبح رباعيات وسداسيات، وتجذب فرتيليتي يد الحقيبة مني بعنف. اصطحاب ترفور معها غير منطقي على الإطلاق.

- «أريد حقيبتى!».

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 30 إلى 45 الصعود إلى متن الطائرة.

يُهرول رجال الأمن عبر الساحة المفتوحة نحونا وقد استلَّ كلُّ منهم سلاحه.

والآن أفهم أين مسدس آدم. إنه في الجِزَّة، أقول، وأحاول اختطاف يد الحقيبة من يد فرتيليتي.

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 10 إلى 29 الصعود إلى متن الطائرة.

ثم تنكسر يد الحقيبة وتسقط منها الجِزَّة على الأرض المفروشة بالسجَّاد فأطاردها أنا وفرتيليتي.

فرتيليتي تنوي اختطاف الطائرة.

- «يجب أن يفعلها أحدهم. إنه القَدْر».

الجِزَّة في يدينا معًا الآن.

يُرجى من حاملي تذاكر الصفوف من 1 إلى 9 الصعود إلى متن الطائرة.

أقول إنه ليس من الضروري أن يموت أحد هنا.

النداء الأخير لركَّاب الرحلة 2039 إلى سيدني.

- «يجب أن تسقط هذه الطائرة في أستراليا. إنني لا أخطئ أبدًا».

يصيح أحد رجال الأمن:

- «مكانك!».

تُكرَّر، هذا هو النداء الأخير لركَّاب الرحلة 2039 إلى سيدني.

كان رجال الأمن يُطوِّقوننا عندما انفتحت الجِزَّة لتنتثر منها رفات

ترفور هوليس في كلِّ مكان.

من التراب...

تتناثر الرفات في عيونهم.

... وإلى التراب نعود.

وفي أنوفهم وأفواههم.

تتناثر رفات ترفور في سحابة حولنا، ويسقط مسدس آدم على السجادة.

وقبل فرتيليتي، وقبل رجال الأمن، وقبل أن تُقْلِع الطائرة، أختطف المسدس من على الأرض، ثم أختطف فرتيليتي. حسن، حسن، حسن، أحسن، أقول وأنا أصوب المسدس إلى رأسها، سنفعل هذا على طريقتها. وأمشي إلى الورا ساحبًا إياها نحو البوابة صارخًا ألا يتحرك أحد، ثم أتوقف كي يُمَرَّق موظف التذاكر تذكرتها وأومئ نحو الجرة المفتوحة وبقايا ترفور التي أغرقت السجادة.

أقول: هل يسمح أحدكم بوضعه في الجرة مرةً أخرى؟ إنه أخوها.

رجال الأمن يتخذون أوضاعهم المعتادة التي تراها في الأفلام ويصوبون أسلحتهم نحو رأسي، بينما يعيد موظف التذاكر معظم ترفور إلى الجرة ويناولها لفرتيليتي التي تشكره في حرج.

سوف نصعد إلى متن هذه الطائرة، أقول، وسوف تنطلق بنا.

وأمشي إلى الورا ساحبًا إياها نحو مدخل الطائرة متسائلًا عن كنه المختطف المجنون الحقيقي، وتنفجر فرتيليتي في الضحك عندما أسألها، وعندما أسألها لِمَ تضحك تجيبني:

- «يا للسخرية! ستعرف بعد قليل جدًا».

الركاب محتشدون في النصف الخلفي من الطائرة وقد انحنوا وخفضوا رؤوسهم وأخذ بعضهم ينتحب، وفي الممر القريب من

قمرة القيادة ثمة كومة فيها المحافظ والساعات والحواسب والهواتف المحمولة وأجهزة التسجيل والستريو الصغيرة وخواتم الزفاف. إنهم مدرّبون حقاً.

كأن أيًا من هذا له علاقة بهم.

كأن أيًا من هذا له علاقة بأموالهم.

أقول لطاقم الطائرة أن يوصد أبواب الكابينة. لقد سبق لي أن جرّبت الطيران من ستادٍ إلى آخر.

في المقاعد الأقرب لنا يجلس باكستاني بدين وشابان في عمر الجامعة ورجل صيني.

أسأل فرتيليتي: أيهم؟ من هو المختطف الحقيقي؟

تُنقّب فرتيليتي في كومة القرابين وتقول وهي تلتقط ساعة يد ثمينة وقلادة من اللؤلؤ:

- «فكّر بالأسباب يا شرلوك».

وتضيف وهي تضع سوارًا ماسياً حول معصمها:

- «إنني مجرد رهينة بريئة هنا».

أصيح في الجميع أن يهدأوا، لكن هناك إرهابياً قاتلاً خطيراً على متن هذه الطائرة وينوي إسقاطها.

يصرخ أحدهم، فأصرخ فيه أن اصمت، من فضلك.

أقول للجميع أن يبقوا كما هم إلى أن أعثر على هذا الإرهابي.

تلتقط فرتيليتي خاتم سوليتير من الكومة وتضعه في إصبعها.

أقول للركاب إن أحدهم ينوي اختطاف الطائرة. لا أعرف من يكون لكنه يسعى إلى إسقاطها في أستراليا.

وتفهمه فرتيليتي في جَذل...

هذا الشعور الممض بأن هناك دعاة كبيرة لا أدركها.

أقول للجميع أن يحافظوا على هدوئهم، ثم أقول لواحدة من المضيفات أن تدخل قمرة القيادة وتُبلغ القبطان بأنني لا أريد أن أؤذي أحداً حقاً، لكنني يجب أن أغادر هذا البلد. يجب أن نُقلع ثم نهبط في مكان آمن، في مكان ما في منتصف الطريق بين هنا وسيدني حيث سينزل الجميع.

وإلى فرتيليتي الضاحكة أقول إنني سأتركها تنزل بدورها.

سوف نُكمل هذه الرحلة، أقول، لكنني سأكون وحدي مع طيارٍ واحدٍ فقط، وبمجرد أن تُحلّق الطائرة مرّةً أخرى سأجعله يشب منها بالمظلة. واضح؟

فتجيبني المضيقة، والمسدّس مصّوب إلى وجهها، بالإيجاب.

سوف تسقط هذه الطائرة في أستراليا، أقول، وشخص واحد فقط سيموت.

وتبدأ الحقيقة في الاتضاح تدريجياً...

ربما ليس هناك مختطفٍ آخر. ربما أنا المختطف.

بدأ الناس حولنا في تبادل الهمسات. لقد تعرّفوا عليّ. أنا القاتل الجماعي الذي ظهر على شاشة التلفزيون. أنا المسيح الدجال. أنا المختطف.

وأبدأ في الضحك...

أقول فرتيليتي: لقد دبّرت كلّ هذا، أليس كذلك؟

تجيب ضاحكة: بلى.

وأسألها ضاحكاً إن كانت حاملاً بحق، فتجيب ضاحكة:

- «أخشى هذا، لكنني لم أتوقَّع هذا فعلاً. إنها معجزة حقيقية غير مغشوشة».

تُغلق أبواب الكابينة وتوصد، وتبدأ الطائرة في التحرك، وتقول فرتيليتي:

- «طيلة حياتك كنت تحتاج إلى الآخرين ليقولوا لك ما تفعله؛ عائلتك، كنيسة، أصحاب العمل، موظفة التحريّات الاجتماعيّة، وكيل أعمالك، أخيك. لكن لا أحد يستطيع مساعدتك في هذا الموقف. كل ما أعرفه أنك ستجد سبيلاً للخروج من هذا المأزق، ستجد سبيلاً لإلقاء حياتك الفاشلة كلها وراء ظهرك، وسيعتبرك العالم كله ميتاً».

تبدأ محرّكات الطائرة في الطنين الصاخب، وتناولني فرتيليتي خاتم زفافٍ ذهبيّاً.

- «وبعد أن تحكي قصّة حياتك وتفرغ منها تماماً—بعد ذلك سنبدأ حياةً جديدةً معاً ونعيش سعيدين إلى أن يُدركنا الموت».

- 2 -

في مكانٍ ما في الطريق إلى پورت فيلا في جُزُر نيو هبرايدز أقدم وجبة العشاء كما حلمت دائماً. وجبتي الأخيرة.
كلُّ مَنْ وجدته يدهن الخبز بالزُّبد قبل أن يكسره أتوعده بأن أطلق عليه النار.

كلُّ مَنْ يتناول مشروبه والطعام لا يزال في فمه سأطلق عليه النار.

كلُّ مَنْ لا يضع منديلاً في حجره سأطلق عليه النار.

كلُّ مَنْ يستخدم أصابعه لا المعلقة.

كلُّ مَنْ يبدأ في الأكل قبل تقديم الطعام للجميع.

كلُّ مَنْ ينفخ في الطعام لتبريده.

كلُّ مَنْ يتكلّم وفي فمه طعام.

كلُّ مَنْ يشرب النبيذ الأبيض حاملاً الكأس من أعلى أو النبيذ الأحمر حاملاً الكأس من أسفل.

كلكم سيتلقّى طلقةً في رأسه.

نحن على ارتفاع ثلاثين ألف قدم فوق سطح الأرض، وننتقل بسرعة 455 ميلاً في الساعة. نحن ذروة الإنجاز البشري، وسوف نجلس ونتناول هذه الوجبة معاً كقومٍ متحضّرين.

هذا هو اعترافي إذن. اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

وطبقاً لفرطيليتي، فإذا استطعت فقط أن أجد سبيلاً للفرار، الفرار من وجودي هنا، الفرار من السقوط، من كوني تندر برانسن، من الشرطة، من ماضي، من قصة حياتي المتشابكة البائسة المحروقة... قالت فرطيليتي أن أجد وسيلة لإخبار الناس بكل شيء حتى وصولي إلى هذه النقطة، وعندها سأجد المخرج.

إذا نجوت سيمكنني أن أرحل تاركاً قصة حياتي القديمة ورائي.

إذا نجوت، قالت، سنعمل على تحسين أدائي الجنسي.

سنعمل على بناء حياة جديدة معاً، سنتلقى دروساً في الرقص معاً.

قالت فرطيليتي أن أحكي قصة حياتي إلى أن تصدم الطائرة الأرض، وعندها سيحسب العالم أنني مت. قالت أن أبدأ من النهاية.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

لا أدري إن كان هذا الشيء يعمل، لا أدري إن كنت تسمعي.

لكن إذا كان يمكنك أن تسمعي، أريدك أن تُصغي. وإذا كنت تُصغي، فما بين يديك الآن هو القصة التي تحكي كل الأخطاء التي حدثت. هذا هو مُسجّل الرحلة 2039، أو الصندوق الأسود كما يُطلقون عليه، على الرغم من أنه برتقالي اللون، وبداخله حلقة من الأسلاك التي تحوي التسجيل الدائم لكل ما تبقى. إن ما وجدته هو قصة كل ما حدث.

هَلُم...

يمكنك تسخين هذه الأسلاك إلى أن تتَّقَد ولن تختلف القصة التي ستُخبرك بها في شيء.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

وإذا كنت تُصغي، فيجب أن تعرف أن المسافرين هبطوا في پورت فيلا بجمهورية فانواتو مقابل نصف دستةٍ من المظلات والمزيد من زجاجات الحين الصغيرة، وبعدها عُدنا إلى التحليق نحو أستراليا، ووثب الطيَّار إلى حُرِّيَّته.

سوف أُرَدِّدها مرَّة بعد مرَّة، لكنني لست بقاتل.

إنني وحيد تمامًا هنا وقد انطفأت المحرَّكات الأربعة وبدأت الطائرة السقوط في أستراليا بسرعة اثنين وثلاثين قدمًا في الثانية. السرعة النهائية.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

مرَّة أخرى، أنت تصغي لمُسجِّل الرحلة 2039. وعلى هذا الارتفاع -اسمعي- وبهذه السرعة، ومع خلو الطائرة، سيكون الصندوق الأسود قد سجَّل كلَّ كلمةٍ قلتها هنا في قمرة القيادة، ولن تتحوَّل قِصَّتِي إلى مليون شظيةٍ مكسورة دامية ثم تحترق مع حطام طائرةٍ تزن ألف طن. عندما تتحطَّم الطائرة سيبحثون عن الصندوق الأسود، وستنجو قِصَّتِي، وسأعيش إلى الأبد.

وإذا استطعت أن أفهم ما قصدته فرتيليتي سأستطيع إنقاذ نفسي، لكنني لا أستطيع لأنني غبي.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان، ثلاثة...

هذا هو اعترافي إذن.

دعائي، قِصَّتِي، تعويذتي.

اسمِّعوني، شاهِدوني، تذكَّروني.

الفاشل العزيز...

المُنقذ الفاسد...

الحبيب الذي كان، في الطريق إلى الله...

إنني حبيسٌ هنا، في سقوطي السريع، في حياتي، في قمره القيادة،
والصحراء الأسترالية تقترب بسرعة جهنمية.

وثمة أشياء كثيرة أتمنى لو أستطيع تغييرها، لكنني عاجزٌ عن ذلك.

هي النهاية إذن، وهي مجرد قصة الآن.

هذه حياة وموت تندر برانسن، والسماء زرقاء جميلة في كل اتجاه،
والشمس مكتملة حارقة أمامي مباشرة. إننا فوق السُّحُب، واليوم يوم
جميل إلى الأبد.

اختبار، اختبار، واحد، اثنان...

«جسدك مجرّد شيءٍ ترتديه وأنت تتسلّم الأوسكار. الغرض الوحيد من يدك أن تحمل بها جائزة نوبل. شفتاك مخلوقتان فقط كي تطبع قبلة في الهواء على وجه مذبعة التوك شو. قلبك لا ينبض إلا كي تكون ضيفاً دائماً على مائدة العشاء في البيت الأبيض. جهازك العصبي المركزي ليس موجوداً إلا كي تخاطب الجمعية العامة للأمم المتحدة.»

يُقدّم لنا صاحب «نادي القتال» في روايته الثانية حكاية مليئة بالتفاصيل المثيرة والمدهشة والساخرة، عن تندر برانسن -النّاجي الأخير من طائفة الموت الكريديشيّة- الذي يحكي قصّة حياته الحافلة للصدوق الأسود على متن الرحلة 2039 على ارتفاع 39 ألف قدم في مكانٍ ما فوق المحيط الهادئ. إنه وحيدٌ الآن على متن الطائرة التي تبقّت لها ساعات قليلة قبل أن ينفذ منها الوقود تماماً وتسقط في الصحراء الأسترالية الواسعة، لكن قبل أن يحدث هذا سوف يروي برانسن لنا تفاصيل رحلة تحوُّله من الطفل الكريديشي المطيع، والخادم المتواضع الذي كانه، إلى الزعيم الديني العالمي الملهم صاحب السيرة الذاتية والكتب الأكثر مبيعاً، ويُرينا لمحة من الجنون الذي يسود عالمنا المعاصر.

"هي رحلة مضطربة هائجة عبر تقلبات الشهرة وطبيعة الايمان."

سان فرانسيسكو كرونيكل

ISBN 978-977-6483-01-9



9 789776 483019

توزيع حصري: دار التنوير

